المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



موقف الإسلام
من الإكراه على الحق

دراسة تأصيلية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب:

عبدالله بن عيد بن صالح المالكي

الرقم الجامعي: ٤٢٥٨٨١٣١

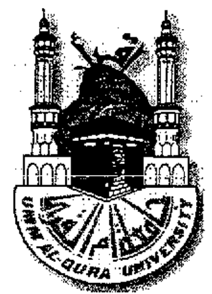
إشراف

أ.د/ محمد عبدالحافظ حافظ

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

طباعة القطان

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

كلية الدعوة وأصول الدين

<u>إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات</u>

الاسم الرباعي: عبد الله بن علي بن صالح المالكي الرقم الجامعي ٤٢٥٨٨١٣١

كلية (الدعوة وأصول الدين) قسم العقيدة تخصص العقيدة

المرحلة: (**الماجستير**)

العنوان(موقف الإسلام من الإكراه على الحق)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٠ / ٢ / ١٤٢٩هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة وحيث قد تم عمل اللازم،فإن اللجنة توصي في صيغتها النهائية الدرجة العلمية المذكورة أعلاه.

والله الموافق،،،،

<u>أعضاء اللجنة</u>

المشرف: أ.د. محمد عبد الحافظ حافظ عبده

المناقش الداخلي: د/ أحمد السيد علي رمضان

المناقش الداخلي: د. سعود بن عبد العزيز العريفي

<u>عضو اللجنة المفوض بالتأكد من الأخذ بالتعديلات وإتمامها:</u>

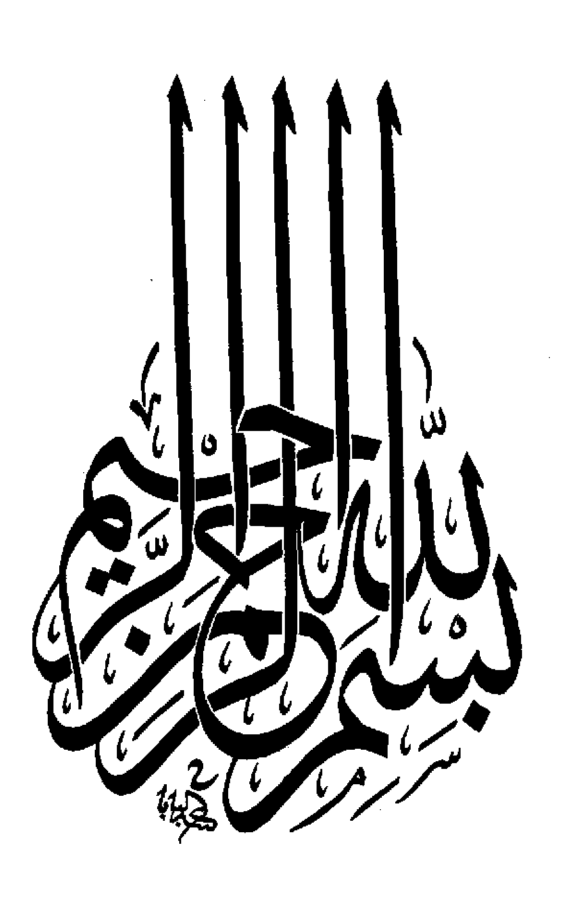
الاسم: التوقيع:

رئيس قسم العقيدة

الاسم: سالم القرني

التوقيع:

يعتمد


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

اسم البحث: (موقف الإسلام من الإكراه على الحق).

اسم الباحث: (عبدالله بن عيد بن صالح المالكي) .

الدرجة : (ماجستير).

خطة البحث:

المقدمة: وتشمل على أهمية الموضوع ومنهجي في البحث وخطة البحث.

التمهيد: وبينت فيه أن الغاية من خلق الناس هو الخضوع الكامل لله.

الباب الأول: حاجة البشرية للإسلام ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: بينت فيه أن الإسلام دين الفطرة ودين العقل والرحمة وأنه لا يتصادم مع فطر البشر أبداً.

الفصل الثاني: بينت فيه أن الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم دين الله الحق فهو دين الأنبياء جميعًا من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

الباب الثاني: الإكراه على الحق ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: وضحت فيه أن الحق لا يتعدد في باب العقائد بل هو واحد وذكرت الأدلة العقلية والنقلية على ذلك وعرضت لأقوال المخالفين وفندتها .

الفصل الثاني: وضحت فيه مفهوم الإكراه على الحق الصحيح في الإسلام وهو إكراه على البقاء في الإسلام بعد الدخول فيه وإكراه على الالتزام بالشعائر الإسلامية، ووضحت فيه كذلك الإكراه المرفوض في الإسلام فهو إكراه الكافر الأصلي على الدخول في الإسلام.

الباب الثالث: الدعوة إلى حرية الاعتقاد ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: وضحت فيه مفهوم الحرية في الإسلام وموقف الناس من حرية الاعتقاد وذكرت الضوابط والشروط لقبول هذا المصطلح الوافد.

الفصل الثاني: بينت العلاقة بين قتل المرتد وحرية الاعتقاد وأنه لا تعارض بينهما بالمفهوم الإسلامي الصحيح لمعنى حرية الاعتقاد.

الباب الرابع: شبهات حول مسائل الإكراه والرد عليها وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: وضحت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتعارض أبدًا مع موقف الإسلام من الإكراه على الحق أو عدمه بالمفهوم الصحيح.

الفصل الثاني: وضحت أن التحاكم إلى الشريعة وإقامة الحدود لا يتعارض مع المفهوم الصحيح للإكراه على الحق أو عدمه.

الفصل الثالث: بينت أن الجهاد بأنواعه وأقسامه لا يتعارض مع الحريات ولا مع المفهوم الصحيح لعدم الإكراه على الحق.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً شملت الرسالة على مجموعة من الفهارس.

* *   * *   * *

The thesis abstract

The research title: The viewpoint of Islam towards submitting all people to God.

The researcher's name : Abdullah Eid Saleh Al Malki .

Degree : Master degree .

The research plan:
Introduction : It includes the topic significance , my approach and writing the
thesis plan:

Preface : I make clear the idea that the aim behind God's creation to people is to submit completely to God.
The first volume: Humanity needs Islam . It contains two chapters.
The first chapter : Islam is the religion of instinct.
The second Chapter : Islam is the virtual Religion that God adopted .
Volume two: Submitting people to God's worship . It contains two chapters :
Chapter one : God
Chapter two : the concept of submission .
Volume three : The call for the freedom of faith . It contains two chapters .
The first chapter : The viewpoint of people towards the freedom of faith .
Chapter two : agnosticism and the freedom of faith .
Volume four : The controversies about the issue of submission and dealing with them . It contains three chapters .
The first chapter : Permitting good deeds and prohibition of evil ones.
Chapter two : judging by Islamic Legislation and afflicting of Islamic penalty rules.
Chapter three : The Holy war .

Conclusion : Herein I mentioned the most important results and recommendations including the idea that sbmitting people to God by means of a right concept complies with the sound minds and the sound instinct.
At last the thesis included a group of indexes

* * * * * *

المقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبي الرحمة والهدى محمد بن عبدالله ﷺ ومن سلك طريقه إلى يوم الدين وبعد: -

فإن البحث في مسائل العقيدة والدين من أجل ما يجهد الباحث فيه فكره ويقضي فيه وَقته لأننا في زمن يُراد تمييع مسائل الدين وتلميع مسائل العولمة بمفهومها الشامل إننا في زمن بين إفراط وتفريط بين قوم أفرطوا وغلوا في مسائل العقيدة حتى فسقوا وكفروا ولم يعذروا وبين قوم فرطوا وتساهلوا وقبلوا كل عذر ولو لم يكن عذراً.

إن مسألة الإكراه في الدين من المسائل التي أصبحت بين مد وجزر، فآثرت أن أكتب فيها ما قد يبين به الحق ويتباين به الباطل، واسهم ولو بجهد المقل في خدمة الدين.

وعند القراءة والتأمل وجدت أن موضوع الإكراه له مأخذان:

١-دراسة الإكراه كمانع من موانع تكفير المعين، وهذا المأخذ كتب فيه ضمن موانع التكفير.

٢-الإكراه كحجة يتخذها أعداء الإسلام للقدح فيه فخذ مثلاً، القدح في ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة إكراه الناس على مالا يريدون ، والهدف من ذلك واضح وهو إلغاء هذا الركن وإماتة الغيرة من قلوب المسلمين.

فأثرت أن أسهم في هذا الباب ببحث جعلت له العنوان التالي:

(موقف الإسلام من الإكراه على الحق دراسة تأصيلية).

أسباب اختيار الموضوع.

أما أسباب اختيار الموضوع فهي كما يلي :

١-أهمية الحفاظ على عقيدة المسلم وإيمانه بتوضيح ما قد يقع فيه المسلم من كفر أو بدعة أو فسقٍ وهو لا يعلم خطورة كلمته التي قالها وذلك من باب إقامة الحجة عليه وأهمية الدفاع عن الإسلام فيما رمي به مما هو منه براء من عنف وإكراه وقتل،

وأولى الناس بذلك من ينتسب لأهل العلم.

٢-توضيحٌ وتحقيقٌ لمسألة الإكراه في الدين مما أثير حولها من غبش في الفهم بسبب ما جاءت به العقول المقلده من أفكار غريبة عن الإسلام كحرية المعتقد والكلمة والفكر وأن الإنسان حر في تفكيره ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا الإسلام بأنه دين يسلب الحرية ويتدخل في شخصية الإنسان إننا في زمن الحرية كلمة طالما سمعناها عبر وسائل الإعلام المختلفة.

٣-خلط بعض الكتاب ذوي التوجهات المريبة بين الالتزام بالدين وبين الإكراه في الدين فجعلوا الالتزام بأوامر الشرع من الإكراه المخالف للحرية فأساءوا فهم المصطلح الشرعي بقصد أو بغير قصد لتبرير أهداف يسعون لها.

٤-وجد قوم يسعو إلى تقريب الإسلام إلى مفاهيم العولمة الغربية الجديدة ولو أدى ذلك إلى القدح في أصول الدين وقد أثاروا في أطروحاتهم وكتبهم مسألة الإكراه وكلامهم في حكم المرتد عن الإسلام غير خاف.

الدراسات السابقة:

على حسب علمي لا توجد دراسة عن مسائل الإكراه في الدين شاملة تجمع المسائل في هذا الباب وإنما بحث الإكراه كمانع من موانع تكفير المعين، ولم يفرد على حسب علمي ببحث مستقل فأسأل الله ﷻ أن يوفقني لبحث هذا الموضوع بما يرضيه عني ويعينني على ذلك.

منهجي في البحث: اتبعت في هذه الدراسة التأصيلية المنهج التحليلي النقدي :

١-الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة الصحيحة ودراسة ما فيهما مما يتعلق بمسالة الإكراه على الدين.

٢- عزو الآيات القرآنية.

٣- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية فإن كان في الصحيحين أو أحدهما

اكتفيت بذلك إلا ما ندر وإن كان في غيرهما ذكرت تخريج الحديث من مصادره قدر المستطاع وأحياناً أشير إلى من صحح الحديث أو ضعفه .

٤- تتبع ما أثير حول الإسلام من ناحية أنه دين عنف وإكراه والرد عليها على حسب الاستطاعة.

٥- عزو أقوال أهل العلم إلى مصادرها قدر المستطاع.

٦-قمت بتراجم الأعلام الذين نقلت عنهم فقط وليسوا من المشهورين المكثرين من التأليف المتفننين في العلوم إلا ما ندر.

٧-قمت بتوضيح بعض المصطلحات الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.

٨-قمت بعمل أربعة فهارس:

١ - فهرس الآيات.

٢ - فهرس الأحاديث.

٣ - فهرس تراجم الأعلام.

٤ - فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

أما الخطة التي سرت عليها فهي على النحو التالي:

أولاً: المقدمة وتشتمل على بيان أسباب اختيار الموضوع والدراسات السابقة، ومنهجي فيه وخطة البحث، وتلي المقدمة.

التمهيد وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الغاية من خلق الخلق.

المبحث الثاني: سنة التدافع بين الحق والباطل وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف السنة في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: حتمية التدافع بين الحق والباطل.

الخاتمـــــة:

وذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات فهذا هو جهد المقل، يعتريه ما يعتري العمل البشري من قصور فما كان فيه من صواب فمن الله وما كـان فيـه مـن خطـأ فمـن نفـسي والشيطان.

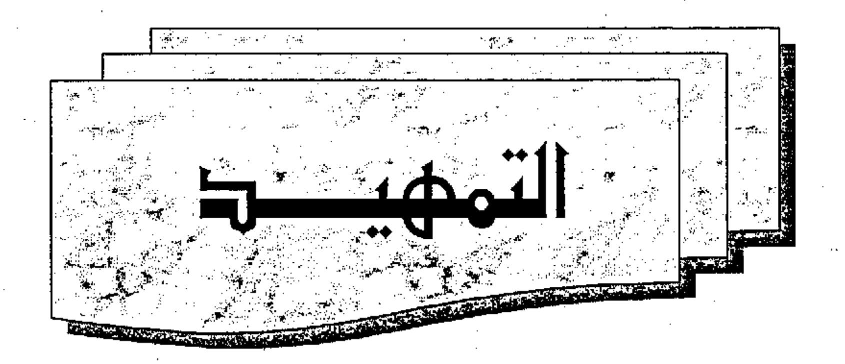
وفي الختام لا يسعني إلا أن أقدم الشكر والعرفان لجامعـة أم القـرى ممثلـة في كليـة الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة بـرئيس القـسم وأعـضاء هيئـة التـدريس الأجـلاء وأخص بالذكر منهم شيخي وأستاذي العظيم الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالحافظ الـذي أتحفني بجزيل علمه وكرم محياه فكان لي بمثابة الوالد لولده.فأقدم لـه الـشكر والعرفـان والدعاء له بالتوفيق والسداد في اموره كلها ثم لا أنسى أن أقدم الشكر لكل مـن أعـانني على إتمام هذا البحث من الأصدقاء الكرام أهل العرفان والجميل.

والله ولي ا لتوفيق والسداد.

الطالب

عبدالله بن عيد المالكي

* *　　* *　　* *



التمهيد

وفيـــــه: -

۞ المبحث الأول : الغاية من خلق الخلق.

۞ المبحث الثاني : سنة التدافع بين الحق والباطل .

* * * * * *

المبحث الأول: الغاية من خلق الخلق

خلق الله الخلق من أجل غاية عظيمة وهدفٍ أسمى ألا وهي العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝﴾ [الذاريات:٥٦- ٥٨] .

قال ابن كثير في تفسيره: « أي إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم. فقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً وهذا اختيار ابن جرير وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥] هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك وقال الضحاك[١]: المراد بذلك المؤمنون »[٢].

قال القرطبي في تفسيره: « قيل: إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبده، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص. والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليوحدون قال القشيري[٣]: والآية دخلها التخصيص على القطع لأن المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يقال أراد منهم العبادة »[٤].

وقال الإمام الشنقيطي في أضواء البيان: « التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية الكريمة (إلا ليعبدون) أي إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم أي أختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر »[٥].

---

(١) الضحاك بن مزاحم بن الهلالي أبو محمد، عالم من علماء التفسير الكبير، توفي عام ١٠٢هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٢٢٣)، وشذرات الذهب (١/ ١٢٤) .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤/ ٣٦٧).

(٣) أبو القاسم عبدالكريم بن هوزان بن عبدالملك القشيري النيسابوري الفقيه الشافعي، ولد عام ٣٧٥هـ ومات ٤٦٥هـ، له « التفسير الكبير » . انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/ ٨٣)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٢٧) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي، (١٧/ ٥٨).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٧/ ٦٧٣).

عند التأمل في كلام العلماء السابق في تحديد معنى (إلا ليعبدون) أجد أن اختلافهم من باب اختلاف التنوع، ومن أجل توضيح ذلك لابد من تعريف العبادة في أصلها اللغوي لأن القرآن العظيم نزل بلسان عربي مبين فالعبادة في مصطلح أهل اللغة:

الخضوع والتذلل قال الزمخشري في أساس البلاغة « وطريق وبعير معبد: مذلل، وتقول: لا يجعلني كالبعير المعبد والأسير المعبد »[1].

وقال الزبيدي[2] في تاج العروس[3]: « أصل العبودية: الذل والخضوع .. » .

وقال الزمخشري[4] في الكشاف[5]: « العبادة: أقصى غاية الخضوع والتذلل » .

فإذا فسرنا العبادة بهذا المعنى اللغوي لا يخرج عن هذا المعنى جميع مخلوقات الله ﷻ فكلها خاضعة له متذللة مفتقرة إِلِيهِ ذَاتِياً وَهُوَ ﷻ ممدها ومعينُهَا، لا يحتاج إليها وهي محتاجة إِلَيْه ﷻ .

ويدخل في ذلك الكافر والمسلم فكلهم خاضعٌ له متذلل مفتقر إليه في أموره كلها في طعامه وشرابه في سكونه وحركته في نومه وصحوه.

فيكون معْنَي الآية أن الجن والإنس إنما خلقتهم ليكونوا خاضعين مُتَذَلِّلِينَ لله محتاجين له في كل أحوالهم فطرة وطبعاً.

---

(١) أساس البلاغة (٢٩١).

(٢) الزبيدي: محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي، عالم في اللغة، ولد عام ١١٤٥، وتوفي عام ١٢٠٥، من أهم مؤلفاته: تاج العروس في شرح القاموس وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي. انظر: الأعلام (٧/ ٧٠) .

(٣) (٢/ ٤١٠).

(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري المعتزلي، ولد عام ٤٦٧ مات عام ٥٣٨هـ، من أئمة العلم باللغة والآداب، من أهم مؤلفاته: الكشاف في تفسير القرآن العظيم وأساس البلاغة . انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٤ ص(٢٥٤)، والأعلام جـ٧ ص(١٧٨) .

(٥) الكشاف (١/ ٦٢).

لا يخرج أحدهم عن ذلك سواءٌ أطاع أَمْ عصى، وأما من أطاع وعبدالله حق العبادة فقد أكمل العبودية واستحق الأجر من الله في الجنة، وأما من عصى وتكبر وكفر فلم يحقق كمال العبودية لله ﷻ فاستحق النار.

وهذا المعنى يوافق اختيار ابن جرير الطبري: « أي إلا ليقروا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً » ورواه ابن جرير عن ابن عباس.

فالمؤمن يطيع ربه باختياره فيؤمن وينقاد لأوامره ونواهيه فيحقق العبادة في أكمل معانيها وينجح في الاختبار ويتجاوز الابتلاء كما قال تعالى في سورة الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝﴾ [الكهف:٧].

وأما الكافر فإقراره بالعبودية كرها لأنه مُذْعِنٌ ومنقاد لقضاء ربه جبراً عليه فهو محتاج لربه خاضع له كوناً وقدراً وإن لم يَسْتَجِبْ شرعاً كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝﴾ [مريم:٩٣].

واستخلف الله الإنسان على وجه هذه الأرض ليقيم العدل والحق، فيجازي المحسن على إحسانه، ويجازي المسيء على معصيته كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ۝﴾ [فاطر:٣٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ۝﴾ [ص:٢٦]، وأما مفتاح هذا الاستخلاف في الأرض فهو تحقيق العبودية في أكمل معانيها كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝﴾ [النور:٥٥].

قال ابن تيمية: « ولفظ العبد في القرآن: يتناول من عبدالله، فأما عبد لا يعبده فلا يطلق عليه لفظ عبده كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝﴾ [الحجر:٤٢] وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾

[الفرقان:٦٣] إلى أن قال وقد يكون كونهم عبيداً: هو اعترافهم بالصانع وخضوعهم له وإن كانوا كفاراً كقوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝﴾ [مريم:٩٣] «أي ذليلاً خاضعاً»(١).

وأخذ الله العهد والميثاق على بني آدم لتحقيق العبودية الكاملة لله وأشهدهم على أنفسهم وأقروا بذلك وهم ما زالوا في صلب أبيهم آدم كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤].

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل: «يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ أن لا يعذبهم»(٢).

خلق الله الخلق من أجل عبادته العبادة الكاملة الصحيحة التي تقودهم إلى العلم بالخالق بأسمائه وصفاته وإتقان خلقه وعلوه و فَكُلَّما كان الإنسان أعلم بربه كان أقربهم إلى الله عبادة وتعظيماً قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨].

العبودية المنجية من النار.

قال الله ﷻ رداً على اليهود والنصارى في دعواهم أن عزيراً ابن الله وأن عيسى ابن الله وبيان الطريق الصحيح للعبادة: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝﴾ [التوبة:٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١-٤٣-٤٤) بشيء من التصرف.

(٢) البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار برقم (٢٨٥٦) (٦/ ٦٩) فتح الباري وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم (٥٠) (١/ ٥٩) ت/ محمد فؤاد عبدالباقي.

ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة:٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان:٢٢].

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل: « يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.. »[1].

إن مجرد الاعتراف بوجود الخالق الرازق المدبر لا ينجي العبدَ من النار إذا لم يحقق العبودية الكاملة لله المتضمنة إفراده بالعبادة وإخلاص الدين له ﷻ فإن جل من حاربهم الرسول ﷺ كانوا مقرين بوجود خالق رازق مدبر وما منعه ذلك من قتالهم ووصفهم بالكفر بالله، لأن مجرد الاعتراف بهذا الخالق لا يكفي للنجاة من النار قال تعالى عن أهل مكة المشركين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت:٦١] وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف:٩]. وهل نفعهم إقرارهم هذا؟ قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦].

بل إن الله ذم الذين يَعْبُدُوَن مَعَهُ أحداً وهو الفرد الصمد لم يلد ولم يولد.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان:٣٠] وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل:٧٣].

فالعبودية لله تشمل الإقرار بربوبيته ﷻ وإفراده بالعبادة ولكن ما مفهوم العبادة في الإسلام؟

قال ابن تيمية: « العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة: فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدقُ الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة (٢).

المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة »[١].

إن مفهوم العبادة في الإسلام شاملٌ يشمل أصول الدين والتشريعاتِ والأخلاق والعلاقات مع المسلم وغيره وشؤون المعاملات وبناء الدولة المسلمة والسياسة الشرعية للراعي والرعية وبعبارة أعَمَّ: العبادة هي منهج الحياة الذي يرسم للمسلم طريقه وسلوكَهُ وعلاقاته في حياته الدنيا مع الله ومع نفسه ومع غيره.

إن المتأمل في واقع البشرية اليوم يجد أنها تنكبت وضلت عن الصراط المستقيم فهم بين مغضوب عليهم وضالين وبين ملحدين وثنيين، قد عبَّدوا أنفسهم لغير الله، فَسَلَّطَهُمُ الله عليهم فأذاقوهم ألوان العذاب والإذلال ولو كان لهم عقل يُفَكِّرُ في طريق الحق لعلموا أن ما هم فيه هو طريق الباطل لأن الدين الحق لا يذل بل يكرم، ويعدل ولا يظلم، ويعطي ويحث على العطاء لا يأخذ ليكنز الأموال لمصلحة فردٍ أو طائفة معينة بل الإسلام دين العدالة والإكرام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

والخلاصة أن الغاية من خلق الخلق إخلاص العباده بجميع صورها وأنواعها لله الواحد الفرد الصمد تحقيقاً شاملاً لأعمال القلوب والجوارح فإذا فعلوا ذلك خضع الكون لهم بجميع نواميسه ونظامه.

---

(١) العبودية (٣٨)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

المبحث الثاني: سنة التدافع بين الحق والباطل:

وفيه ثلاثة مطالب:

۞ المطلب الأول: تعريف السنة في اللغة والاصطلاح:

تعريف السنة في اللغة العربية: قال في مختار الصحاح: « السنة الطريقة وقال أيضاً: « السنن » الطريقة يقال: استقام فلان على سَنَن واحد »[١].

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: « السنن سن سُنة حسنة طرق طريقة حسنة»[٢].

فالسنة في اللغة بمعنى الطريقة التي يسير عليها الفرد أو تسير عليها المجموعة أو الأمم السابقة سواء كانت السنة حميدة أو ذميمة.

تعريف سنة التدافع بين الحق والباطل في اصطلاح العلماء:

قال القرطبي: « إن السنة تَعْني طريقة الله وعادته السالفة في نَصْرِ أوليائه على أعدائه»[٣].

وقال الخطيب: « وهو الصراع والقتال بين الناس بين الخير والشر بين الحق والباطل، بين أمة وأمة »[٤].

وقال عبدالكريم زيدان: « ونُرِيدُ [بالتدافع بين الحق والباطل] تنحية أحدهما للآخر أو إزالته ومحوه بالقوة عند الاقتضاء »[٥].

عند التأمل في هذه التعاريف أجد أنها غير جامعة وأنها قصرت الصراع بين الحق

---

(١) مختار الصحاح (١٣٣).

(٢) أساس البلاغة (٢٢١).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٩٩).

(٤) السنن الإلهية ص(٢)، (١٠٧).

(٥) السنن الإلهية ص(٤٥).

والباطل في صورة القتال والتنحية بالقوة العسكرية، مع أن الصراع بين الحق الباطل أَعَمُّ من القتال فهناك الصراع الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والأخلاقي فكل حزب يود نشر ما لديه وفرضه في واقع الناس ، ولكن يجب الاعتراف بأن أوضحَ وأجل صور الصراع بين الحق والباطل هو الصراع العسكري او القتال المتمثل في الإسلام بالجهاد في سبيل الله، ولكنَّ صراع وتدافع الكلمة بين الحق والباطل المتمثل في الكتاب والشعر و المقالة والقصة هو صراع بين فكرٍ وآخر يتجلى في عالم الكلمة والكتابة.

وقد اجتهدت في تعريف سنة التدافع بين الحق والباطل:

وهي ثبات التداول بين الحق والباطل في جميع المجالات مع حتمية انتصار الحق على الباطل عند تحقق شروط النصر والتمكين.

۞ المطلب الثاني: حتمية التدافع بين الحق والباطل:

إن سنة الصراع بين الحق والباطل سنة كونية إلهية حتمية الوقوع والشاهد في تاريخ البشرية يؤكد ذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة:٢٥١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج:٤٠].

وسنة الرسول ﷺ تؤكد بقاء هذا التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل حتى تقوم الساعة قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم! يا عبدالله! هذا يهودي خلفي، فتعال، فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شَجَر اليهود »[١]، ولم يحصل بعد هذا القتال فدل على بقاء الصراع بين المسلمين واليهود حتى تأتي هذه الملحمة العظيمة وينزل عيسى ابن مريم في آخر الزمن.

وعن أبي هريرة ﷺ قال قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق[٢]، فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلِّي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية... »[٣].

والصراع بين الحق والباطل قديم بِقِدَمِ الإنسانية على وجه الأرض، فلا يمكن أن تمر حقبة من الزمن ولا يوجد هناك صراع وتدافع بين الحق والباطل أبداً.

فهذا نوح مع قومه، وصالح مع قومه، وهود مع قومه، وإبراهيم مع قومه....

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة(١٨/ ٤٤) مع شرح النووي.

(٢) الأعماق ودابق موضعان بالشام بقرب حلب. انظر: النووي على مسلم (١٨/ ٢١) .

(٣) صحيح مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٨-٢١) مع شرح النووي في كتاب .

ومحمد ﷺ مع قومه، والمسلمون مع الكفار في معارك عظيمة في تاريخ المسلمين والحروب الصليبية أمرٌ يعترف به الصديق والعدو، وفترة الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي والصراع القائم في ذلك الوقت لإخراج المستعمر الكافر من بلاد المسلمين كل ذلك يدل على حتمية الصراع وواقعيته على مر العصور والأزمان وفي كل مكان تدافع وصراع.

وليس شرطاً أن يكون الصراع بين الحق والباطل بل قد يكون الصراع بين الظالمين بعضهم بعضا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام:١٢٩].

قال ابن كثير في تفسيره: « كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض وننتقم من بعضهم ببعض، جزاء على ظلمهم وبغيهم »[١].

وعند بعض الفلاسفة الغربيين حتمية الصراع بين الحق والباطل ويُسميه نظرية صدام الحضارات كما قال ذلك صموئيل هانتينكتون أستاذ العلوم السياسية في جامعة هارفارد[٢]، وكذلك نظرية نهاية التاريخ للمفكر الأمريكي الياباني الأصل فوكوياما في صدام الثقافات[٣]، يرى أن الثقافة الغربية هي الثقافة المسيطرة على جميع الثقافات وأنها نهاية التاريخ البشري، فهو يؤمن بوجود صراع بين ثقافتين أو أكثر: تنتصر فيه الثقافة الغربية.

ونظرية شعب الله المختار لدى اليهود تؤكد الصراع بين الأمَم عموماً وبيان ذلك أن اليهود عند اعتقادهم أنهم شعب الله المختار وسائر الشعوب أدنى منهم في الرتبة يلزم على هذا الاعتقاد احتقار الشعوب الأخرى وإخضاعها لخدمة اليهود ولو بالقوة[٤] وكذا نظرية هرمجدون لدى النصارى تؤكد على مبدأ الصراع لأجل العقائد وبيان ذلك أن

---

(١) ابن كثير (٢-٢٨٤).

(٢) إذ يقول « صدام الأفكار السياسية بين الحضارات الذي أحترفه الغرب يحل محله صدام ثقافات وأديان بين الحضارات » . صدام الحضارات، صامويل هنتجتون ص(٨٩) ط٢ .

(٣) انظر: نهاية التاريخ، فرانسيس فوكوياما، دار العلوم العربية .

(٤) انظر: اليهودية د/ أحمد شلبي ص(٢١٨) مكتبة النهضة المصرية ط١٢ .

هرمجيدون اسم لمعركة نووية يعتقد الأصوليون الأنجيلون أنها ستقع في سهل مجيدو بين قوى الشر والكفر وبين قوى الإيمان المتمثل في النصارى حيث يظهر المسيح فوق المعركة ويخلص النصارى من أعدائهم ويحكم العالم[1] فالصراع بين الحق والباطل أو بين الباطل والباطل سنة إلهية لا تتبدل ولا تتغير عبر التاريخ السحيق وما يستقبل من الزمان، ولا ينتهي هذا الصراع إلا بنهاية هذه الدنيا وقيام الساعة.

---

(١) انظر: يد الله غريس هالسل، دار الشروق ص(٢٥)، والنبوة والسياسة غريس هالسل، دار الشروق وكتاب الأصولية الانجيلية، صالح بن عبدالله الهذلول، دار المسلم .

۞ المطلب الثالث: أساليب الصراع بين الحق والباطل:

للباطل أساليب يدفع بها الحق محاولاً التسلط عليه، وللحق أساليب يدفع بها الباطل وينتصر عليه .

أما أساليب الباطل فهي:

١-الجدال بالباطل قال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝﴾ [الحج:٣] وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝﴾ [الحج:٨].

٢-إيقاد نار الحرب كما قال الله تعالى عن اليهود: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝﴾ [المائدة:٦٤].

وتاريخ الأمة الإسلامية مع أعدائها يؤكد ذلك تأكيداً جازما فهذه الحروب الصليبية شنها الغرب الكاثوليكي على الشرق العربي الإسلامي من أجل تحرير الأماكن المقدسة من المسلمين[1]، وكان ذلك في العصور الوسطى وهاجم الصهاينة اليهود يَشبون نارَ الحرب ويوقدونها على الأرض ذاتها وللسبب نفسه.

٣-الإشاعة قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝﴾ [الحجرات:٦] فهذه الآية من جانب المؤمن مع أخيه المسلم فكيف إذا كانت الإشاعة من الكافر العدو؟ فالواجب التثبت والاستفصال عن الخبر المعلن، فهذه وسائل الإعلام تتولى كِبْرا هذه الإشاعات ضد أحكام الدين وضد علماء الأمة والمجاهدين في سبيله فيشيعون عنهم أنهم إرهابيون وأنهم يقتلون الصغير والكبير دون تمييز، وأن هدفهم القتل فقط وسفك الدماء فكيف يصدق المسلم دعوى

(١) الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية (١٢) د/ قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .

عدوه الكافر ويترك ما استقر عنده من حالهم وهدفهم؟ وهدف الأعداء من مثل هذه الإشاعات، النكاية بالمجاهدين، وإقناع سائر المسلمين بعدم مساعدتهم في حربهم وجهادهم ولكن الله ناصرٌ عباده.

٤-الكيد لهذه الأمة المسلمة قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝﴾ [الطارق:١٥-١٧] وقال تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ۝﴾ [الطور:٤٢].

أي المكر والتخطيط للقضاء على الدين الإسلامي وأهله وأخصُ أهله العلماءُ الربانيون والمجاهدون المدافعون عنه بأموالهم وأنفسهم وأقلامهم وأفكارهم.

خطةٌ أعدها أعداء هذا الدين واستخدموا لها مختلف الوسائل وذلك عبر بوابة المنافقين وعباد الذهب والفضة والمناصب والجاه، ولكن الله أكد في أكثر من آيةٍ في كتابه أنَّ المكر السيء لا يحيق إلا بأهله، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، فالنصر لأهل الحق على أهل الباطل والأعمال بالخواتيم.

ونظرية المؤامرة التي ينكرها بعض من يَنْتَسِبُ لفكر الأمة الأصيل ذكرها الله في القرآن العظيم، وتاريخ الأمة في ماضيها وحاضرها يؤكد هذا الأمر .

٥-لَبْسُ الحق بالباطل: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [البقرة:٧١].

قال ابن عباس: « لا تخلطوا ما عندكم من الحق في الكتاب بالباطل وهو التغيير والتبديل »[(١)].

إن كتمان الحق وتبديله وتغييره من اللبس المنهي عنه، وهو منهج اليهود والنصارى وأهل البدع في محاوراتهم مع أهل الحق، فتجدهم تارة يكتمون بعض الحق ويذكرون بعضه ولا ضابط لهم في ذلك إلا الهوى، وتجدهم تارة يؤولون النصوص الشرعية بما يناسب ما استقر في عقولهم من عقائد باطلةٍ أو فكر ضالٍّ ليلبسوا الحق بالباطل ويحققوا

(١) تفسير القرطبي (١/ ٣٥).

من وراء ذلك أهدافهم ومقاصدهم الشخصية الحزبية.

٦-الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد:٣٦].

وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر:٩٠-٩١] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد:٢٦].

يحذر الله أمة محمد ﷺ من اتباع منهج اليهود والنصارى في الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر، فاليهود يؤمنون بموسى ويكفرون بعيسى ومحمد ﷺ والنصارى يؤمنون بموسى وعيسى ويكفرون بمحمد ﷺ وأما المسلمون فيؤمنون بالجميع.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بنصوص الوعد والوعيد، ونصوص القضاء والقدر كلها ، ونصوص الأسماء والصفات كلها بخلاف منهج أهل البدع.

وأصحاب الفكر السليم يؤمنون بالإسلام ومناهجِهِ وطرقه ووسائِلِهِ كُلِّها، بينما أهل الفكر الضال من العلمانيين والعصرانيين يؤمنون ببعض الدين ويكفرون بالبعض الآخر.

٧-منع الذكر في المساجد: قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤].

إن من أساليب أعداء الدين في محاربته: إلغاء دور المسجد في الدعوة إلى الله وقصره فقط على الصلاة ، أو تحييده عن قضايا الأمة العظيمة والاكتفاء بالصلاة فقط، وهذا من منع المساجد من الذكر فيها وهو من السعى إلى خرابها الخراب المعنوي، فإن المسجد في عهد النبي ﷺ كان هو مقر الصلاة والذكر وقيادة الأمة وحل قضاياها فكان هو مقر الحكم والقضاء وليس فقط للصلاة ، فإذا أرادت الأمة أن ترجعَ لها مكانتها وعزها فعليها أن ترجع للمسجد مكانته.

٨-إخراج الناس من ديارهم: قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأعراف:٨٨] وقال تعالى عن قوم لوط: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأعراف:٨٢].

إخراج الدعاة والعلماء من بلدانهم بطردهم منها أو حبسهم ومنعهم من تبليغ الحق للنَّاس أسلوبٌ استخدمه أهل الباطل قديماً وحديثاً للصد عن الصراط المستقيم، ومنع أهل العلم من الاتصال بالناس لتعليم جاهل أو توضيح مشكل أو إزالة شُبَهٍ أو تصحيح مفهوم خاطئ وإنكار منكر وأمر بمعروف، فمن اتخذ هذا الأسلوب فقد دل على عجزه عن مقارعة الحق بالحجة القوية .

أساليب دفع الباطل:

١-الجدل بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥] قال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت:٤٦].

قال القرطبي في تفسيره عن آية النحل: « هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش وأمره أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين منسوخة بالقتال في حق الكافرين، وقد قيل، إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجي إيمانه بها دون قتال فهي فيه مُحكمةٌ »[1].

قال الإمام الشنقيطي[2] عن آية العنكبوت: « أي إلا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب

---

(١) تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٠٦).

(٢) هو محمد الأمين محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد بن أحمد الجنكي، ولد عام ١٣٠٥هـ في شنقيط =

فجالدهم بالسيف حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »[(١)].

إن الدعوة إلى الله ومدافعة الباطل بالمجادلة بالتي هي أحسن مقتصرة على الذين لم يناصبوا المسلمين العداء والحرب ولم يمنعوا دعاة الإسلام من تبليغ دين الله ﷻ فإذا تُرك العالم يبين الحق ويدحض الباطل بالكلمة والمجادلة أو بالمناظرة أو بالكتاب أو الخطبة أو الندوة فهذا مناط المجادلة بالحُسْنَى ودفع الباطل بالحق.

٢-الجهاد: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقال تعالى: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾ [الصف:١١].

إن من أساليب دفع الباطل ودحضه الجهاد بأنواعه الثلاثة:

١-جهاد الكفار بالكلمة.

٢-وجهادهم بالمال لدعم أهل الحق.

٣-جهادهم بالقتال بالسيف لمن نَصَبَ لنا العداء ومنع المسلمين من تبليغ دين الله.

عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[(٢)].

فمن سلك طريق الجهاد في سبيل الله سواءً جهاد الكلمة أو المال أو القتال هَدَاهُ الله

ومات في مكة عام ١٣٩٣هـ عالم مفسر أصولي محقق حافظ، من أهم مؤلفاته: أضواء البيـان في إيـضاح القرآن بالقرآن.

انظر ترجمته في مقدمة تفسيره بقلم تلميذه الشيخ عطية محمد سالم.

(١) تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٣٥١).

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد برقم (٣٠٩٦) (٦/ ٧) تحقيق عبدالفتاح أبو غـده، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو بـرقم (٢٥٠٤) (٣/ ١٠) ت/ محمـد محي الدين عبدالحميد، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٥٩٣) بـرقم (٣٠٩٠) المكتب الإسلامي.

ﷺ للحق ونصره على عدوه وبلغه مراده.

٣-تسليط الظالمين بعضهم على بعض: قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٩].

قال ابن كثير: « ومعنى الآية الكريمة، كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن، كذلك نفعل بالظالمين نسلط بعضهم على بعض ونهلك بعضهم ببعض وننتقم من بعضهم ببعض، جزاء على ظلمهم وبغيهم »[1].

فإذا وقف أهل الحق عاجزينَ عن رد الباطل سلط الله الظالمين بعضهم على بعض ونصر الله الحق وأهله، وهذه سنة إلهية لا تتبدل ولا تتغير.

مسألة الدعوة إلى السلام العالمي وسنة الله في تدافع الحق والباطل:

إن الدعوة إلى السلام دعوة في ظاهرها تدعو إلى الخير ونشر المحبة والعدل بين فئام المجتمع العالمي، دعوة تلغي الحرب والقتال ومفهوم العنف إلى ألَّلا عنف ولكنها في باطنها دعوة ترمي إلى توحيد الأديان وإلغاء الفوارق العقدية بين المجتمع الدولي وإحلال السلام العالمي، ودعم المجتمع المدني في دول العالم.

إن الدعوة إلى السلام العالمي بالمفهوم السابق تخالف سنة الله في تدافع الحق والباطل بل تخالف ما كانت عليه البشرية من قديم الزمان، بل تخالف ما عليه الناس اليوم في واقعهم المعاصر، فلا يمكن أن يستجيب لهذه الدعوة أهلُ الباطل فكيف بأهل الحق؟ فهم أولى بعدم الاستجابة لهذا المفهوم الخاطئ عن السلام العالمي بل إن هذه الدعوة استخدمها أعداء الإسلام من أجل محاربته وهم يدعون إلى السلام إنه لَمِنْ دواعي الاستغراب أن يَستخدمَ دُعاة السلام هذا الشعارَ لمحاربةِ الإسلام.

إن مفهوم السلام في الإسلام لا ينافي سنة الله في التدافع بين أهل الحق وأهل الباطل بل يؤكدها.

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٨).

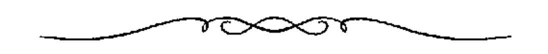
[الأنفال:٦١] بل إن تحية المسلمين فيما بينهم السلام ويدعون إلى السلام ولكن بشرطِ الخضوعِ لسلطان الله .

إن مفهوم السلام في الإسلام يحث على نشر السلام بين المسلمين فيما بينهم وبين غيرهم من الكفار ممن يجوز أخذ الجزية منهم .

إن مفهوم السلام في الإسلام يتمثل في ناحيتين:

١-في الدنيا فالسلام هو نشر الدين الحق ومكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ودعوة البشرية إليها وإخراجهم من ظلام الجهل وسلطة العبيد إلى رحمة العزيز الرحيم.

٢-في الآخرة المتمثل في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران:١٨٥] فكل وسيلة تحقق هذين الهدفين فَهِيَ في الإسلام من السلام.





حاجة البشرية للإسلام

وفيه فصــــلان : –

- الفصل الأول : فطرية الإسلام .
- الفصل الثاني : الإسلام دين الله ورسله.

* * * * * *



فطرية الإسلام

وفيه مبحثان: -

- المبحث الأول: تعريف الفطرة لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني: مظاهر فطرية الإسلام.

* *   * *   * *

المبحث الأول: تعريف الفطرة لغة واصطلاحاً

۞ المطلب الأول: تعريف الفطرة لغة:

قال الرازي في مختار الصحاح: « والفُطر بالضم و الفِطرة بالكسر الخلقة ، وقال أيضاً و « الفَطر » بالفتح الابتداء والاختراع »[١].

وقال الزمخشريُّ في أساسِ البلاغَةِ: « فطر الله الخلق وهو فاطر السمواتِ: مبتدعها وافتطر الأمر ابتدعه »[٢].

وقال ابن فارس[٣] في مقاييس اللغة: « فطر » الفاء والطاء والراء أصل صحيح يدل على فتح شيء وإبرازه.. والفطرة بالكسر الخلقةُ »[٤].

وقال ابن منظور[٥] في لسان العرب: « فطر الله الخلق يفطرهم: خلقهم وبدأهم، والفطرة: الابتداء والاختراع، وفي التنزيل العزيز: الحمد لله فاطر السموات والأرض، قال ابن عباس ﷺ ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصِمانِ في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأت حفرها.. والفطرة بالكسر: الخِلقة، أنشد ثعلب:

هَوِّنْ علَيْكَ فَقَدْ نَالَ الغِنَى رَجُلٌ فِي فِطْرَةِ الْكَلْبِ، لَا بِالدِّينِ والحَسَبِ[٦]

من خلال النقول السابقة يتضح أن المراد بالفطرة أمران:

---

(١) مختار الصحاح (٢١٢).

(٢) أساس البلاغة (٣٤٤).

(٣) ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي من أئمة الأدب واللغة، ولد عام ٣٢٩هـ وتوفي عام ٣٩٥هـ من أهم مؤلفاته: مقاييس اللغة والصاحبيّ في علم اللغة. انظر: الأعلام (١/ ١٩٣) .

(٤) (٣/ ٥١٠).

(٥) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري اللغوي الحجة، ولد عام ٦٣٠هـ وتوفي عام ٧١١هـ ومن مؤلفاته: لسان العرب. انظر: الأعلام (٧/ ١٠٨) .

(٦) لسان العرب (٥/ ٥١).

١-الفطرة بالفتح المراد بها الابتداء والاختراع على غير مثال سابق كما نقل ذلك عن ابن عباس ﷺ، ومن شواهد ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٤] وقوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [هود:٥١].

ومن السنة قوله ﷺ: «وجهت وجهي للذي فَطَرَ السماوات والأرض»[١].

٢-الفِطرة بالكسر الخِلقة كما ذكر ذلك الرازي واستدل لَهُ ابن منظور بما ذكر عن ثعلب من الشعر، وذكر كذلك قول أبي الهيثم: الفِطرة الخِلقة التي يُخلق عليها المولودُ في بطنِ أمهِ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل (١/ ٥٣١) رقم (٧٧).

۞ المطلب الثاني: تعريف الفطرة اصطلاحاً:

الأصح أن الفطرة المراد بها الإسلام وهو الذي عليه أكثر الصحابة والتابعين وغيرهم من علماء السلف ومن هؤلاء من الصحابة معاذ بن جبل وعمر بن الخطاب وأبو هريرة وابن عباس ومن التابعين سعيد بن جبير وقتادة والحسن البصري[(١)].

ومن العلماء أحمد بن حنبل والبخاري[(٢)] وابن حزم[(٣)] وابن تيمية[(٤)] وابن القيم[(٥)] وابن كثير[(٦)] وابن حجر[(٧)] . كلهم يرى أن المراد بالفطرة في الشرع الإسلام بجميع أحكامه وتشريعاته، فهي أحكام وتشريعات فطرية تقبلها النفس دون ملل، ويقبلها العقل دون شك وريب، ولكن قد يرد سؤال « مفادهُ ما المراد بكون المولود ولد على الفطرة؟ وهل يقصد بذلك أنه ولد يعرف الحلال من الحرام ويعرف أصول العقائد والأحكام؟ يجيب على هذا التساؤل شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول: « والحديث لم يقصد بيان هذه الأحكام، وإنما قصد ما وُلد عليه من الفطرة وإذا قيل: إنه وُلد على فطرة الإسلام أو خُلق حنيفاً ونحو ذلك فليس المراد به أنه خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨] ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام لمعرفته ومحبته فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئاً بعد شيء

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (١٠/ ١٨٣-١٨٤)، والدرء لابن تيمية (٨/ ٣٦٧-٣٧٧)، والتمهيد لابن عبدالبر (١٨/ ٧٢).

(٢) صحيح البخاري كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصَلَّى عليه (١/ ٤٥٤)، والدرء لابن تيمية (٨/ ٣٦٧).

(٣) الإحكام لابن حزم (٥/ ١٠٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٤٣-٢٤٩)، والدرء (٨/ ٣٥٩-٤٦٨).

(٥) شفاء العليل (٤٨٦-٥٢٠)، وأحكام أهل الذمة (٢/ ٥٢٣-٦٠٩).

(٦) التفسير (٦/ ٣٢٠-٣٢٣).

(٧) فتح الباري (٣/ ٢٩٤).

بحسب كمال الفطرة إذا سلمت عن المعارض وليس المراد مجرد قبول الفطرة لذلك أكثر من غيره، كما أن كل مولود يولد فإنه يولد على محبة ما يُلائم بدنه من الأغذية والأشربة فيشتهي اللبن الذي يناسبه، وهذا من قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝﴾ [طه:٥٠] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝﴾ [الأعلى:٢-٣] فهو سبحانه خلق الحيوان مهتدياً إلى طلب ما ينفعه ودفع ما يضره ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئاً فشيئاً بحسب حاجته. ثم قد يعرض لكثير من الأبدان ما يُفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة »[1].

إذاً المراد بالفطرة أمران:

١ -ما عليه المولود من الاعتراف بالخالق ومحبته لو تُركَ دون معارض أو مغير.

٢-الإسلام بأصوله العقدية وأصوله الأخلاقية وأصوله التشريعية أو ما يسمى بكمال الفطرة بعد العلم. أما قبل العلم فنفس فطرة المولود تستلزم الإقرار بالخالق ومحبته وإخلاص الدين له كما ذكر ذلك ابن تيمية في النص السابق، وما تؤكده الأدلة الدالة على أن المراد بالفطرة الإسلام.

الأدلة على كَوْنِ الفطرة هي الإسلام:

أ-الأدلة من القرآن الكريم:

١ -قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الروم:٣٠].

قال ابن عبدالبر في التمهيد: « قد أجمعوا في قَوْلِ الله ﷻ : « فطرة الله التي فطر الناس عليها على أن قالوا: فطرة الله: دين الله الإسلام »[2]. المقصود بمن أجمعوا عامة السلف من أهل العلم بالتأويل.

---

(١) الدرء (٨/ ٣٨٣-٣٨٤).

(٢) التمهيد (١٨/ ٢ل).

وقال ابن كثير في تفسيره: « فسدد وجهك واستمر على الدِّينِ الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم التي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره »[(١)].

وقال الطاهر بن عاشور[(٢)] في تفسيره: « قوله: فطر الناس عليها بيان لمعنى الإضافة في قوله فطرة الله وتصريح بأَن الله خلق الناس سالمة عقولهم مما ينافي الفطرة، وكون الإسلام هو الفطرة وملازمة أحكامه لمقتضيات الفطرة صفة اختص بها الإسلام من بَيْنِ سائر الأديان في تفاريعه أما أصوله فاشتركت فيها الأديان الإلهية »[(٣)].

ومما يدل على أن المقصود بالفطرة، في هذه الآية الإسلام عدة أمور:

١-ما نقله ابن عبدالبر من إجماع علماء السلف من أهل التأويل على أن المقصود بالفطرة في الحديث الإسلام.

٢-تفسير الصحابي حجة إذا لم يخالفه صحابيٌّ آخرُ فكيف إذا أَيدوه على ذلك فهذا الصحابيُّ الجليلُ أبو هريرة لما أورد حديث كل مولود يولد على الفطرة.. قال ﷺ : اقرءوا إن شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها » ففسر الصحابي الجليل الفطرة في الآية بما ورد في الحديث من كون الفطرة هي الإسلام.

٣-أمر الله ﷻ بإقامة الوجه للدين حنيفاً على الصراط المستقيم ووضح السبب بالفاءِ السببية بكون هذا الدين هو الذي فطر الله الناس عليه وهو الذي يُدان الله به وفسر الله ﷻ في آية أخرى أن الدين عنده الإسلام فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] والقرآن يفسر بعضه بعضا، وهذا التفسير أعلى درجات التفسير.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٦٨٨).

(٢) الطاهر بن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس ولد عام ١٢٩٦هـ مات عام ١٣٩٣هـ من أهم مؤلفاته: التحرير والتنوير في تفسير القرآن العظيم ومقاصد الشريعة الإسلامية. انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤).

(٣) تفسير ابن عاشور (٢١/ ٩٠).

٤-أن الله أضاف إليه الفطرة إضافة مدح لا مسافة بينهما قال ابن تيمية: « وفطرة الله أضافها إليه إضافة مدحٍ لا إضافة ذمٍ، فعُلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة »[١].

٢-قوله تعالى: ﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝﴾ [هود:٥١] قال صاحب المنار في تفسيره: « ما أجري الذي أرجوه على تبليغكم إياه إلا على الله الذي خلقتني على الفطرة السليمة من هذه البدع الوثنية التي ابتدعها قوم نوح بتصوير الصالحين منهم لحفظ ذكراهم فزين لهم الشيطان تعظيم صورهم وتماثيلهم فعبادتها »[٢].

٣-قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ۝﴾ [البقرة:١٣٨].

قال ابن كثير في تفسيره: « قال الضحاك عن ابن عباس: دين الله ، وكذا روي عن مجاهد وأبي العالية وعكرمة وإبراهيم والحسن وقتادة والضحاك وعبدالله بن كثير وعطية العوفي والربيع بن أنس والسدي نحو ذلك »[٣].

وقال الراغب الأصفهاني[٤]: « الصبغة إشارة من الله ﷻ إلى ما أوجده في الناس من بَدَائِهِ العقول التي ميزنا بها من البهائم، وشحنا بها لمعرفته ومعرفة حسن العدالة وطلب الحق فهو المشار إليه بالفطرة في قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم:٣٠] والمعنيُّ بقوله عليه السلام : « كل مولود يولد على الفطرة » الخبرَ وتسمية ذلك بالصبغة من حيث إن قوى الإنسان التي ركب عليها إذا اعتبرت بذاته تجري مَجْرَى الصبغة التي هي زينة المصبوغ، ولما كانت اليهود والنصارى، إذا لقنوا أولادهم اليهودية والنصرانية، يقولون: قد صبغناه بين تعالى أن الإيمان بمثل ما آمنتم به هو صبغة الله وفطرته التي ركزها في الخلق ولا أحد أحسن صبغة منه »[٥].

---

(١) الدرء لابن تيمية (٨/ ٣٧٢).

(٢) تفسير المنار (١٢/ ١١٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٢٨٠).

(٤) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء مات عام ٥٠٢هـ من أهم مؤلفاته: المفردات في غريب القرآن. انظر: الأعلام (٢/ ٢٥٥).

(٥) مفردات القرآن ص(٤٧٥) .

ب-الأدلة من السنة المطهرة:

١-عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ثم يقول أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [1].

أما أوجه الدلالة من هذا الحديث ففي النقاط التالية:

أولاً-أن راوي الحديثِ الصحابيَّ الجليلَ أبا هريرة فسر الحديثَ بالآية على أن المراد بالفطرة في الحديث الإسلام.

ثانياً-لما لم يذكر الإسلام ﷺ دل على أنه الأصل ،وأن التغيير يحصل على خِلافِ الْأصلِ ومن أجل ذلك ذكر اليهودية والنصرانية والمجوسية ولم يذكر الإسلام لأنه الأصل.

ثالثاً-قال ابن تيمية: « فإنه شبه ذلك بالبهيمة التي تولد مجتمعة الخلقِ لا نقص فيها ثم تُجدع بعد ذلك، فعلم أن التغيير واردٌ على الفطرة السليمة التي وُلد العبد عَلَيْها » [2].

٢-حديث البراء بن عازب ﷺ قال قال ﷺ: « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا مَنْجَى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت ، فإن مت من ليتلك فأنت على الفطرة» [3] أي على الإسلام كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر [4].

---

(١) البخاري (١/ ٤٥٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٧).

(٢) الدرء لابن تيمية (٨/ ٣٧٢).

(٣) البخاري رقم (٢٤٧)، ومسلم رقم (٢٧١).

(٤) فتح الباري (١١/ ١١١).

٣-عن أبي هريرة ﷺ قال قال ﷺ: « خمس من الفطرة... »[1] قال القاضي البيضاويُّ -كما نقل عَنْهُ ذلك ابنُ حجر في فتح الباري[2]- : « هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع وكأنها أمر جبلي فطروا عليه».

٤-سمع الرسول ﷺ رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر فقال ﷺ على الفطرة[3].

قال الإمام النووي: « قوله على الفطرة أي: على الإسلام »[4].

ومن خلال ما تمَّ نقله عن النبي ﷺ من أحاديث ورد فيها ذكر الفطرة بمعنى الإسلام وهي أحاديث بينةٌ واضحة فكان الواجب على المنصف الباحث عن الحق أن يحمل المشكل على المحكم أي ما حصل فيه من إشكال في تفسيره وهو حديث أبي هريرة حملناه على المحكم الواضح البين من حديث البراء بن عازب ومن حديث أبي هريرة الآخر ومن حديث أنس بن مالك وهذا هو الواجب مع نصوص الشرع رَدُّ مشكلِهِ على مُحْكَمِهِ حتى يتضح المراد فتكون الفطرة في نصوص الشرع بمعنى الإسلام، ما لم تَرِدْ قرينةٌ تؤكد أن المراد المعنى اللغوي.

٥-عن عياض بن حِمَار ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: « إني خلقت عبادي حنفاء كُلَّهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمتْ عليهم ما أحللتُ لهم وأمرتهم أن يشركُوا بي ما لم أنزل به سُلْطَاناً »[5].

صرح الحديث أن العباد خلقوا على الحنيفية وهي الإسلام وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران:٦٧] فالآية فسرت الحنيف بأنه المسلم الذي مال إلى الدين الصحيح وهو الإسلام

(١) البخاري رقم (٥٨٨) كتاب اللباس باب قص الشارب. وأخرجه مسلم جـ١ ص(٢٢١) برقم (٢٦٢).

(٢) فتح الباري (١/ ٣٥٢).

(٣) مسلم كتاب الصلاة (٣٨٢) ص(٢٨٨).

(٤) شرح النووي على مسلم (٤/ ٨٤).

(٥) صحيح مسلم كتاب الجنة رقم (٢٨٦٥).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس:١٠٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

قال ابن تيمية: « ولما كان الإقرار بالصانع فطرياً كما قال ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة » فإن الفطرة تتضمنُ الإقرارَ بالله، والإنابةَ عليه، وهو معنى لا إله إلا الله، فَإِنَّ الإله هو الذي يُعْرَفُ ويُعْبَدُ »(١).

وقَالَ في مَوْطِنٍ آخَرَ: « ومثل الفطرة مع الحق: مثل ضوء العين مع الشمس، وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس، والاعتقادات الباطلة العارضة من تهود وتنصر وتمجس: مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك أيضاً كل ذي حسٍ سليم يُحِبُّ الحلو، إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يصرفه حتى يجعل الحلو في فمه مراً ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل، فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً، ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق: الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير، لما كان إلا مسلما وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام مالم يمنعها مانع: هي فطرة الله التي فطر الناس عليها »(٢).

وخلاصة القــول:

أن الفطرة هي الهيئة التي خلق الله عليها المولود مُقِرّاً بخالقه محباً مخلصاً له سبحانه لا تطمئن نفسه إلا بالقرب من الله ولا يستقيم تفكيره إلا بالتسليم والانقياد لله، محباً لكل فضيلة وخلق حسن، كارهاً لكل رذيلة وخلق سيء بشرط أن يترك دون معارض أو مؤثر فلو ترك دون المعارض لكان مستقيماً في كل أحواله تتدرج به الفطرةُ إلى كمالِهَا وذَلِكَ لتحصيلِهِ لمقتضياتها وموجباتها بعد العلم والعمل بتلك المقتضيات والموجبات، فما تشعر به النفس من الضيق لبعدها عن الله هو بقايا لتلك الفطرة التي ولد عليها

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١/ ٦).

(٢) فتاوى ابن تيمية (٤/ ٢٤٧).

فاجتالته الشياطين عنها فانقاد لها ولكن بقي في أعماق نفسه ما يجره إلى ربه وخالقه ولا يتحقق له ذلك إلا بالإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده يتناسب مع نفسه وعقله فتطمئن نفسه ويستقيم تفكيرهُ.

المبحث الثاني: مظاهر فطرية الإسلام

الفطرة في الإسلام تشمل عدة حقائق لا بد من توضيحها وبيانها حتى يعلم العالم أن الإسلام دين الله الحق بما يدعو إليه من حقائق وأصول يتفق عليها جميع الناس، وبيان ذلك من خلال المطالب التالية:

۞ المطلب الأول: فطرية أصول التشريعات السماوية:

حين نَتَحدَّثُ عن الشريعة في الإسلام فالمقصد منه التشريعات الربانية المتصلة ببحوث الفقه لا الشريعة بالمفهوم العام الشامل قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ [الجاثية:١٨] فمفهوم الشريعة في الآية مفهوم شامل عام للعقائد والعبادات والمعاملات أي مقابل لكلمةِ الدين وإنما المقصود في هذا المطلب أصول الشريعة المتعلقة بالفقه الإسلامي في مسائل الأسرة والأحوال الشخصية والحدود والجنايات وحفظ المجتمع والأفراد من الفساد والإفساد عبر التشريعات الربانية العظيمة المتفقة مع الفطرة الإنسانية في ميولها ورغباتها لا تفرق بين أحد من البشر ولا مكان عن مكان ولا زمان عن زمان وذلك لأنها تشريعات ربانية من لدن خالق البشر والزمان والمكان فشرع لهم ما يناسب فطرهم ويحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة .

خصائص الشريعة الإسلامية:

١ -العموم: قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ۝﴾ [النساء:٧٩] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقوله تعالى لأهل الكتاب: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾ [المائدة:١٩]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨]

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] .

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب

النار »[١].

وعن جابر بن عبدالله ﷺ أن النبي ﷺ قال: « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »[٢] ومما يؤكد هذا الأمر شاهد الواقع والحال فإن انتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً من جميع الطوائف والأجناس من اليهود والنصارى والفرس ومن الأمريكيين والأوربيين وسائر المذاهب والملل اليوم ليؤكد عالميته وفطريته.

يقول دوغلاس أدش: عبدالله أرشر: « إن بحثي لنيل إجازة الدكتوراه كان عن التربية وبناء الأمة ومن هنا عرفت ما تحتاج إليه الأمم لبنائها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وكذلك الروحي واكتشفت أن أركان الإسلام الأساسية تقدم أساساً عظيماً وقاعدة قيمة لإعادة بناء الأمة اجتماعياً واقتصادياً ورُوْحياً. ولذلك فإذا سألتني لماذا اعتنقت الإسلام؟ سأقول لك: لأن الإسلام هو دين فريد من نوعه تشكل فيه أركانه الأساسية قاعدة للحكم تهدي كلا من الضمير وكذلك حياة المؤمنين به على حد سواء»[٣].

وقال ديبورابوتر « الإسلام نظام عالمي ودين كونيٌّ جاء لجميع الناس في كل العصور. ولم يحدث أن أقر الإسلام أية تفرقة بسبب العرق أو الوطن أو الثقافة أو الطبقة فكل مؤمن بالحقيقة مسلم يتمتع بالأخوة الإسلامية مع كافة الناس في كل عصر ومصر وهذا هو سر قوة الإسلام »[٤].

---

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس (١/ ١٣٤) برقم (١٥٢).

(٢) البخاري رقم (٢٣٥) أول باب من كتاب التيمم.

(٣) قالوا عن الإسلام (١٥٠).

(٤) قالوا عن الإسلام (١٦٤).

ويقول جورجي سارتون[١]: « .. كان النبي محمد ﷺ أشمل في دعوته وأعمق من كل من سواه من الأنبياء »[٢].

٢-الكمال: شريعة الإسلام كاملة وافية بجميع حاجات المكلفين تكفل لمتبعيها سعادة الدنيا والآخرة. قال ابن القيم: « فلرسالته ﷺ عُمُومَان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص، عموم بالنسبة إلى المرسل إليهم، وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بعث إليهم في أصول الدين وفروعه »[٣].

وقد أشارت إلى هذه الخاصة الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣].

قال ابن كثير: « هذه أكبر نعم الله على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره »[٤]

وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [هود:١١٩] أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي[٥] وكمال الشريعة يتحقق عند مقاصدها العظيمة ومصالحها المنسجمة مع الفطرة السليمة إلى ثلاثة أنواع كما قسمها أهل العلم عن طريق الاستقراء:

---

(١) جورجي سارتون (سارطون) مستشرق بلجيكي من أعضاء المجمع العلمي العربي قالت مجلة المجمع في وصفه « اخلص الحب للعرب ولغتهم وجلا فضل علمائهم على العالم القديم في تجرد وانصاف » ولد عام ١٣٠٢هـ ومات عام ١٣٧٥هـ من أهم مؤلفاته: المدخل إلى تاريخ العلوم. انظر: الأعلام (٢/ ١٤٥).

(٢) قالوا عن الإسلام (١٨٩).

(٣) أعلام الموقعين (٤/ ٣٣٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/ ١٩).

(٥) انظر كذلك المستصفى للغزالي ص(٢٥١).

١-الضروريات:

هي المصالح التي تتضمن حفظ مقصودٍ من المقاصد الخمسة وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب وعرفها الشاطبي بقوله[١]: « مالا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فسادٍ وتهارجٍ وفوْتِ حياة وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين »[٢].

وقال الشاطبي أيضاً: « قد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري ولم يثبت لنا ذلك بدليل معين ولا شهد لنا أصل معين يمتاز برجوعها إليه بل علمت ملاءمتها للشريعة بمجموع أدلة لا تنحصر في باب واحد..»[٣].

وقال ابن أمير الحاج: وحصر المقاصد في هذه ثابت بالنظر إلى الواقع وعادات الملل والشرائع بالاستقراء »[٤].

ومن الإشارات القرآنية إلى هذه الضروريات قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ

---

(١) الشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي المشهور بالشاطبي محدث فقيه أصولي لغوي مفسر مات عام ٧٩٠هـ من أهم مؤلفاته الموافقات في أصول الفقه. انظر: الأعلام (١/ ٧٥)، ومعجم المؤلفين (١/ ١١٨).

(٢) الموافقات (١/ ٨).

(٣) الموافقات للشاطبي (١/ ٢٨).

(٤) التقرير والتحبير (٣/ ١٤٤).

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

وهناك وسائل لحفظ كل ضرورة من هذه الضروريات ليس المجال مَجَالَ ذكرها فلتراجع في مظانها في كتب المقاصد الشرعية(١).

٢-الحاجيات:

عرف الشاطبي الحاجيات بقوله: « ما يُفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم يراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد الواقع أو المتوقع من فوت الضروريات » (٢).قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ [الحج:٧٨] وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] فالحرج مرفوع في الشريعة وقال العلماء المشقة تجلب التيسير(٣).

٣-التحسينيات:

هي ما لا يرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة، عرفها الشاطبي بقوله: « الأخذ بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق... » (٤) فالأخذ بمكارم الأخلاق وأحسن العادات والابتعاد عن خوارم المروءة مما يُحسنُ ويظهر جمال الأمة وكمالها حتى يُرغب في الدخول في الإسلام.

---

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد بن الطاهر عاشور، ومقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفاسي، والمقاصد العامة للشريعة الإسلامية عبدالرحمن عبدالخالق، والموافقات للإمام الشاطبي الذي يُعتبر المرجع لكل من كتب في المقاصد.

(٢) الموافقات (٢/ ١٠)، وشرح الكوكب المنير (٤/ ١٦٤).

(٣) وللتوسع ينظر كتاب رفع الحرج في الشريعة الإسلامية د/ صالح بن حميد.

(٤) الموافقات (٢/ ١١).

٤-البقاء والحفظ:

لقد تكفل الله بحفظ هذا الدين قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] فمما يميز هذه الشريعة الغراء أنها باقية محفوظة لم يحصل فيها تغيير ولا تبديل كما حصل في شريعة التوراة والإنجيل لأن الله لم يتكفل بحفظهما، وتكفل بحفظ القرآن العظيم أساس الشريعة وإن مما يؤكد ذلك أنه قد مضى على نزول القرآن، أربعة عشر قرناً وأعداء الإسلام يكيدون ويمكرون ويَتَرَبَّصونَ بالإسلام وأهله، ومع ذلك فهو شامخ محفوظ لم يحصل فيه تغيير ولا تبديل فدل ذلك على أنه حق وما عداه باطل لأن من السنن الإلهية المعلومة فناء وزوال الشرائع البشرية وتبديلها من قبل متبعيها على مر العصور والأزمان فأين شريعة حمورابي وقوانين روما وغيرها من القوانين البشرية والتشريعات الإنسانية جرت عليها رياح الدهر وسترها الزمان بذيله فزالت وبقيت شريعة الله نافذة متبعة شامخة قوية لما تحويه من موافقة الفطر البشرية لا تتقيد بزمان أو مكان ولا تزول بزوال الدول والملوك بل تحتاج إلى من يجدد أمرها ويذكر بقيمتها لأن النفوس إذا ذُكِّرت بالحق تذكرت ،وإذا وجه الخطاب إلى أعماق فطرها استجابت لا محالة، لأن الواقع المرير في التشريعات البشرية أذاقها أنواع العذاب والنكاية فهؤلاء اليهود يقوم دينهم على أساس تقديس الجنس اليهودي وأنهم شعب الله المختار وأن أرواح اليهود جزء من الله، وإذا ضرب أممي « غير يهودي » إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية! [١] فأي فطرة تقبل هذه العنصرية؟ وأي عقلٍ يستسيغ هذا الهراء؟ فدين قائم على العنصرية والحقد وكراهية الآخرين لجنسهم ولونهم هل هذا دين من الله؟

وأما النصرانية المحرفة فدين قائم على التناقضات والغموض وتقديس الأشخاص لا يحقق لأتباعه أبسط المسائل العقلية الرياضية في كون الواحد ثلاثة والثلاثة واحد فهل هذا دين فرضه الله على الناس؟

أما الإسلام بوضوحه وبساطته وشموله وتحقيقه لأتباعِهِ ما يحتاجون إليه في شؤون الدين والدنيا والروح والجسد فهو الدين الحق.

(١) الموسوعة الميسرة (١/ ٥٠٢).

تقول فاطمة ترفسكن « .. وأما ما يتعلق بي شخصياً فأكثر ما يهمني من تعاليم ديني هي تلك المعلومات والقواعد التي تعينني على تحقيق التكامل الروحي والعقلي »[١].

يقول جاويا: « إن أول شيء شدني إلى هذا الدين هو بساطته ووضوحه التام المطلق.. والصفة الثانية التي جذبتني إلى الإسلام العظيم تلك الروح الديمقراطية الأصيلة التي يتميز بها فالمساواة في الإسلام تختلف عنها في البلشفية التي تعمل على سحق الأغنياء لصالح الفقراء ، ولا هي كالمساواة عند النصارى حيث يجلد الرجل الزنجي لا لشيء إلا أنه وقع بصرُهُ على امرأة بيضاء ويعبدالزنوج ربهم في كنائس خاصة بهم مستقلة عن كنائس البيض، أما في الإسلام فجميع المساجد مفتحة أبوابها لكل مسلمٍ»[٢].

---

(١) قالوا عن الإسلام ١٦٥.

(٢) قالوا عن الإسلام ١٦٨.

۞ المطلب الثاني: فطرية الأخلاق:

من الحقائق المعلومة أن الله أرسل الرسل لهداية الأنام إلى أمرين أساسيين:

أولاً: دعوتهم إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله.

ثانياً: دعوتهم إلى فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق.

وقد وصف الله عبده ورسوله محمداً ﷺ بأعْظَم صفةٍ وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤] وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[(١)].

وقد فسر ابن عباس هذه الآية بقوله أي: إنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام[(٢)].

وعن النواس بن سمعان قال: سألت رسول الله عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[(٣)] وسئل الرسول ﷺ عن البر فقال ﷺ: «البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المُفْتُونَ»[(٤)].

لاشك أن بناء الأخلاق في الإسلام قائم على أساس فطري واقعي بسيط كما وضح الرسول ﷺ في الحديث السابق وكما تَمَّ ترجيحه من أن الفطرة هي الإسلام بأحكامه وأخلاقه وآدابه بل إن الشعور الأخلاقي أقدم وأوسع في نَفْسِ الطفل من الشعور الديني ولذلك تراه يبدأ في سن مبكرة جداً باستحسان بعض الأفعال واستنكار بعضها والاستحياء من بعض آخر ولا يشعر بالحاجة إلى تعليل ظواهر الكون وتقديس سر

---

(١) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة برقم (٨٩٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢٧٣)، وصححه الألباني في صحيحه (١/ ٧٥) رقم (٤٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٦٢٩).

(٣) مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب (٤/ ١٩٨٠) برقم (٢٥٥٣).

(٤) مسند أحمد (٤-١٨٢) برقم (١٧٨٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم (٢٨٨١) (١/٥٥٧).

الوجودِ إلا في دور ثان يكون فيه أنمى عقلاً وأهدأ بالاً [(١)]، « والأخلاقُ في الإسلام ليست مجرد قيود وكوابح وضوابط رادعة لكنها في صميمها قوة بناءة وحركة دافعة إلى النمو المطرد والكمال المنشود وهي مع ذلك توائم فطرة الإنسان وتوافق ميوله وليس أدل على ذلك من أن الإسلام يسمى الخير معروفاً ويسمى الشر منكراً فليس في تعاريفه الأخلاقية ما يكد الأذهان ويجهد العقول إنما هي أخلاق مستمدة من فطرة الناس التي يعلمها منْ خلقهم وأنزل عليهم الكتاب وهي ليست مفروضة عليهم فرضاً نظرياً تضجر منه نفوسهم وتَضِيقُ به أرواحهم »[(٢)] بل هي واقعية وبسيطة وتستقبلها النفوس وتراعي مصالح الأفراد والجماعات على حدٍ سواء، وإن من الأخلاق العظيمة التي دَعَا إليْهَا الإسلام فضائل أساسية كالعدل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ [النساء:٥٨].

قوله ﷺ : « إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وما وُلُّوا »[(٣)].

فهل يحب أحدٌ من البشرية الظلم ويكره العدل؟ وإن وجد وذلك على سبيل الفرضية فهل يقبل أن يظلمه أحد؟ الجواب أوضح من الشمس في رائعة النهار إن جميع الأديان المحرفة والنظريات الحديثة لا يمكن أن تُقَعّد لحسن الظلم وقبح العدل، فدل ذلك على توافق بشرى أَسَاسُهُ ما فطر عليه من حب العدل وكراهية الظلم، ومن الأخلاق الأساسية في الإسلام الصدق وبر الوالدين والشجاعة والصبر كلها أخلاق إسلامية أساسية فطرية عند جميع البشر أتى الإسلام لتأكيدها وترسيخها والحث عليها وتحريم وتقبيح ما يضادها.

بل إن الإسلام بفطريته يتجاوز الجانب الخلقي إلى جانب الخلق الظاهري قال ﷺ :

---

(١) ينظر: الدين د/ محمد عبدالله دراز (٥٧).

(٢) دعوة الفطرة لمؤلفه د/ يوسف محي الدين أبو هلاله، دار العاصم، (١٥٤).

(٣) مسلم في كتاب الإمارة (٣/ ١٤٥٨) برقم (١٨٢٧).

« خمس من الفطرة: الختان والاستحداد وتقليم الأظافر ونتف الإبط وقص الشارب»[(١)].

نقل ابن حجر عن أبي شامة[(٢)] قوله: « والمراد بالفطرة في حديث الباب أن هذه الأشياء إذا فعلت اتصف فاعلها بالفطرة التي فطر الله العباد عليها وحثهم عليها واستحبها لهم ليكونوا على أكمل الصفات وأشرفها صورة »[(٣)].

فالإسلام جمع في فطريته ما بين جمال الظاهر وصحة معتقد الباطن.

إن الأخلاق الإسلامية تراعي دوافع الإنسان ولا تتجاهل وَاقِعَهُ وتماشي حاجاته ولكن تدعو إلى ضبطها فمثلاً حب المال غريزة في الإنسان كغريزة الطعام والشراب قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝﴾ [الفجر:٢٠].

فأباح الإسلام طلب المال بل جعله في بعض الأحوال واجباً ولكن حرم جمع المال من حرام وإنفاقه في الحرام فوافق الفطرة والغريزة التي جبل عليها الإنسان أما النصرانية فتقول في أناجيلها : إن الغني لا يدخل ملكوت السموات والأرض حتى يدخل الجمل في سم الخياط، وتقول أيضاً: إنكم لا تقدرون أن تخدموا الله والمال[(٤)]. فبهذا التقبيح والذم لطالب المال تخالف النصرانية الفطرة والغريزة البشرية فلا تتقبلها لأن قوة وطغيان الغريزة أعظم من النص الانجيلي المحرف، وفي المقابل نجد اليهود يحثون على جمع المال ويحلون أخذ الربا من غيرهم وهو محرم عندهم[(٥)]. طمعاً في الاستزاده من جمع المال دون رقيب أو حسيب فجاء الإسلام بمنهجه الوسط وأخلاقه العظيمة المتفقة مع العقول والفطر والمصالح.

---

(١) سبق تخريجه ص(٢).

(٢) أبو شامة: عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي الشافعي أبو القاسم شهاب الدين أبو شامه مؤرخ ومحدث وباحث ولد عام ٥٩٩هـ ومات عام ٦٦٥هـ من كتبه: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الصلاحية والنورية . انظر: الأعلام (٣/ ٢٩٩).

(٣) فتح الباري (١/ ٣٥٢).

(٤) إنجيل لوقا إصحاح (١٦) في آية (٢٣) عن طريق كتاب دعوة الفطرة ص(١٥٥).

(٥) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه د/ حسن ظاظا، ص(١٩٦).

بقي أن أوضح أن الفطرة وحدها يمكن لها أن تدرك الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة ولكن لا يستحق الإنسان العقوبة إلا بالوحي الإلهي كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥] فدور الوحي التذكير والتأكيد والتأييد وتحديد الأجر والمثوبة على الأخلاق الحسنة والعقوبة على فعل المحرم من الأخلاق السيئة.

وما جاء به الإسلام من أصول الأخلاق والآداب هو ما جاءت به الكتب السماوية في شرائعها كما قال تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٧-١٩] وأمر الله رسوله داود عليه السلام بإقامة العدل والحكم بين الناس بالحق قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [ص:٢٦] ومما حرمه الله ونهى عنه في جميع الشرائع القتل ظلماً والزنا واللواط والفواحش عموماً وتحريمُ أكل المال بالباطل وتحريم الربا والبخل وعقوق الوالدين وإيذاء الجار وغير ذلك مما في الوصايا العشر التي جاء بها موسى قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ [المائدة:٤٥] وقال تعالى في تحريم الربا وأكل المال بالباطل: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء:١٦٠-١٦١] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣] قال شيخ الإسلام: « فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع وبتحريمها بعث الله جميع الرسل ولم يُبِحْ منها شيئاً قط »[1].

وفي التوراة نصوص تدل على أن بني إسرائيل أمروا بحسن الخلق ومن ذلك « لا تضطهد الغريب ولا تضايقه.. لا تسيء إلى أرملةٍ ولا يتيم.. لا تقبل خبراً كاذباً ولا تضع

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤٧٠).

يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم.. ولا تأخذ رشوة لأن الرشوة تعمى المبصرين .

وقال عيسى مما ورد في إنجيل متى : « قد سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تزن وأما أنا فأقول لكم: إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زَنَى بها في قلبه » متى ٥-٢٧[١].

وأما ما يتعلق بالملاحدة ومنكري الوحي الإلهي ونظرتهم للأخلاق فسوف أتحدث عن ذلك في مبحث حاجة الإنسانية لإرسال الرسل.

---

(١) انظر: كتاب نقد التوراة أحمد حجازي السقا ص(٢٦٦).

۞ المطلب الثالث: فطرية التوحيد:

التوحيد هو: إفراد المعبود بالعبادة [(١)].

والتوحيد يشمل أنواعه الثلاثة:

١-فطرية توحيد الربوبية وهو كما قال ابن تيمية: « أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور » [(٢)].

وعلاقة توحيد الربوبية بالفطرة جلية وواضحة وهي أن المخلوق مفطور على الاعتراف والافتقار إلى خالق رازق مدبر متصرف في الكون فلا يمكن لبشر أن يَدَّعِي بأنه خلق نفسه أو خُلِقَ من غير خالق فكان لزاماً الاعترافُ بالخالق المدبر ولكن البشرية انحرفت فجعلت مع الله الشريك قال ابن تيمية: « ومعلوم أن أحداً من الخلق لم يزعُم أن الأنبياء والأحبار والرهبان والمسيح ابن مريم شاركوا الله في خلق السماوات والأرض بل ولا زعَمَ أحدٌ من الناس أن العالم له صانعان متكافئان في الصفات والأفعال بل ولا أثبت أحدٌ من بني آدم إلهاً مساوياً لله في جميع صفاته بل عامة المشركين بالله مقرون بأنه ليس شريكُهُ مثله بل عامتهم يقرون بأن الشريك مملوك له » [(٣)].

فالإسلام يؤكد على فطرية الاعتراف بالخالق المدبر الواحد الفرد الصمد، وأن النفوس البشرية لا يمكن أن تتقبل وجود إلهين متصفين بنفس الصفات ونفس التصرف والتدبير بل إن « نظرية فطرية التوحيد وأصالته هي التي انتصر لها جمهور من علماء الأجناس، وعلماء الإنسان، وعلماء النفس، ومن أشهر مشاهيرهم « لانج » الذي أثبت وجود عقيدة «الإله الأعلى» عند القبائل الإلهية في أستراليا وإفريقيا وأمريكا ومنهم «شريدر» الذي أثبتها عند الأجناس الارية القديمة،وبروكلمان الذي وجدها عند الساميين قبل الإسلام، و«لرواه» و «كاتر فاج» عند أقزام أواسط إفريقيا و «شميدت» عند

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٥٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٥٠).

(٣) الفتاوى (٣/ ٩٦).

الأقزام وعند سكان أوستراليا الجنوبية الشرقية وقد انتهى بحث «شميث» هذا إلى أن فكرة «الإله الأعظم» توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الأجناس البشرية »[١].

« كانت النزعة التوحيدية كامنة » في الدين السومري في صيغة الإله [آن] إله السماء فهو إله عالمي مطلق عندهم... وبذلك تكون نزعة التوحيد السومرية قد عبرت عن نفسها بهذه الصيغة التي ظلت تلازم الساميين من بعد السومريين حيث كانت جميع الديانات السامية القديمة تحمل التوحيد في صيغة الإله « إيل » وهو إله عظيم متعالٍ كبير.. » [٢].

ويقول خزعل الماجدي عن الدين السومري: « بدأت ملامح الوجود السومري تتضح منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد في جنوب العراق » [٣].

ومن هذه النقول يتضح أن التوحيد هو أصل الديانات القديمة وأن الشرك طارئ عليها « وأنه لا صحة لما ذهب إليه بعض الباحثين الغربيين من الزعم بوجود جماعة إنسانية أولى ينعدم فيها كل اعتقادٍ دينيٍّ لأن جميع ما قدمه هؤلاء من شواهد وأمثلة وأدلة لم يوافق عليها أكثر الباحثين ولم تقف أمام النقد العلمي النزيه فجميع الأمم والحضارات كانت تنزع إلى فكرة الإله الواحد العظيم حتى ولو تعددت آلهتها ولم يشذ عن فكرة التوحيد في الأمم القديمة إلا الرومان واليونان مرجع الحضارة الأوروبية المعاصرة » [٤].

إن العلم المعاصر ليؤكد على وحدانية الخالق سبحانه فإذا ذهبنا إلى عالم الحشرات فقد يكفينا أن نفحص خلية النحل لكي تستولى علينا روعة الدقة والكمال.. فإذا كان كل ذلك وغيره مما لا يُحْصى، لا يدل على وجود إله مدبر يسيطر على هذا الكون ويوجهه فليت شعري كيف أستطيع بعد ذلك أن أنتسب إلى دائرة العلماء والمشتغلين بالعلوم » [٥].

(١) الدين محمد عبدالله دراز (١٠٧-١٠٨).

(٢) الدين السومري خزعل الماجدي (٤٥).

(٣) الدين السومري ص(١٤).

(٤) دعوة الفطرة (٢٣٥).

(٥) الوحدانية د/ بركات دويدار (٤٣٧).

وهنا تتضح عدة حقائق:

١-إن دراسة تاريخ الأديان البشرية القديمة تؤكد أن التوحيد هو الأصل لموافقته الفطرة وأن الشرك طارئ.

٢-إن العلم الحديث التجريبي يؤكد على الاعتراف بوجود إله واحد خالق مدبر للكون قال ديكارت[١] « إني مع شعوري بنقص ذاتي أحسّ في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة وأراني مضطراً إلى اعتقادي، بأن هذا الشعور قد غرسته في ذاتي تلك الذات الكاملة المتحلية بجميع صفات الكمال وهي الله »[٢] ، وقال إسحاق نيوتن[٣] « لا تشكوا في الخالق فإنه مما لا يعقل أن تكون المصادفات وحدها قاعدة هذا الوجود[٤]».

٣-إن الإلحاد وإنكار وجود الله طارئ وخلاف الأصل لأنه يناقضُ ويخالفُ الفطرة ولذا هوت دولة الإلحاد (الاتحاد السوفيتي) في أقل من ثمانين عاماً من عمرها بسبب محاربتها للأديان وإنكارها وجود الخالق الديان ﷻ فلم تتقبل فطر الناس هذا الأمر فهوت من داخلها في أعجب سقوط لدولة في تاريخ الدول بل أعجب من ذلك أن من كان يحارب بالحديد والنار لإقرار إنكار الخالق ستالين لما حضرته الوفاة دعا إليه القسس والرهبان ليقرءوا عنده الترانيم وقبله كارل ماركس أعلن تبريهِ من إلحاده[٥].

---

(١) ديكارت: فرنسي ولد بمقاطعة تورنين، وتعلم بكلية لافليش اليسوعية وكانت من أشهر مدارس أوروبا، يُعد ديكارت فيلسوفاً وعالماً رياضياً وأحد مؤسسي الهندسة التحليلية ورائداً من رواد الاتجاه العقلاني في القرن السابع عشر ولد عام ١٥٩٦م وتوفي عام ١٦٥٠م. انظر: تاريخ الفلسفية المدنية، يوسف كرم ص(٥٨)، وموسوعة الفلسفة والفلاسفة د/ عبدالمنعم حنفي (١/ ٥٩٧) .

(٢) دعوة الفطر (٧٩٤).

(٣) إسحاق نيوتن: عالم طبيعي إنجليزي مؤسس الميكانيكية ولد عام ١٦٤٣م ومات عام ١٧٢٧م من أشهر كتبه: المبادىء الرياضية للفلسفة الطبيعية . انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث لمؤلفه رونالد سترومبرج، ترجمة أحمد الشيباني ص(٦٨٣) .

(٤) دعوة الفطرة (٩٤).

(٥) دعوة الفطرة (٩٥).

فطرية توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة.

دلت الفطرة السليمة على وجوب إفراد الله بالعبادة وأنه المستحق أن يُعبد وأن يُسأل وأن يدعى وحده ومن أوجه هذه الدلالة ما يلي:

١-أن فطرية توحيد الربوبية يستلزم فطرية توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة وحده دون ما سواه قال ابن ا القيم: « قوله تعالى حاكياً عن صاحب ياسين أنه قال لقومه محتجاً عليهم بما تُقَرُّبِهِ فطرهم وعقولهم: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [يس:٢٢] فتأمل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنى وأجلّه وهو أن كونه سبحانه فاطراً لعباده يقتضي عبادتهم له وأن من كان مفطوراً مخلوقاً فحقيق به أن يعبد فاطره وخالقه ولاسيما إذا كان مرده إليه فمبدؤه منه ومصيره إليه وهذا يوجب عليه التفرغ لعبادته ثم احتج عليهم بما تقربه عقولهم وفطرهم من قبح عبادة غيره وأنها أقبح شيء في العقل وأنكره فقال: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [يس: ٢٣-٢٤].

أفلا تراه كيف لم يحتج عليهم بمجرد الأمر بل احتج عليهم بالعقل الصحيح ومقتضى الفطرة[١].

٢-قوله ﷺ في حديث الفطرة : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفطرة فأبواه يُهَوِّدانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ.. »[٢] يدل على فطريَّة توحيد الألوهية لأن اليهود والنصارى لم ينكروا وجود الله بل كانوا مقرين به فدل على أن المقصود بالفطرة توحيدُ الألوهيةِ الذي هو دعوة الرسل[٣].

٣-أن توحيد الألوهية جزء من العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم في ظهر أبيهم آدم قال ابن كثير: « والعهد الذي أخذ هو ما جبلهم عليه وفطرهم عليه وأخذ

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٣٢٦).

(٢) سبق تخريجه ص(٥٩) .

(٣) انظر: الدرء لابن تيمية (٨-٤٦٨٧-٤٦٨).

عليهم في الأصلاب أنه ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو فأقروا بذلك وشهدوا على أنفسهم به فخالفوه وتركوه وراء ظهورهم وعبدوا مع الله غيره بلا دليل ولا حجة لا من عقل ولا شرع وفي الفطر السليمة خلاف ذلك وجاءت الرسل الكرام من أولهم إلى آخرهم بالنهي عن ذلك »(١).

٤-قال ابن تيمية: « فعُلم أن في فطرة الإنسان قوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة النافع وحينئذ فالإقرار بوجود الصانع ومعرفته والإيمان به هو الحقُّ أو نقيضه؟ والثاني معلوم الفساد قطعاً فتعين الأول وحينئذ فيجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به وأيضاً فإنه مع الإقرار به، إما أن تكون محبته أنفع للعبد أو عدم محبته والثاني معلوم الفساد وإذا كان الأول أنفع له كان في فطرته، وأيضاً فإنه إما أن تكون عبادته وحده لا شريك له أكمل للناس علماً وقصداً أو الإشراك به والثاني معلوم الفساد فوجب أن يكون في فطرته مقتضٍ يقتضي توحيده »(٢).

٥-قال ابن القيم: عند قوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس:٢٢] « فتأمل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنى وأجله وهو أن كونه سبحانه فاطراً لعباده يقتضي عبادتهم وأن من كان مفطوراً مخلوقاً فحقيق به أن يَعْبُدَ فاطره وخالقه ولا سيما إذا كان مرده إليه فمبدأه منه ومصيره إليه وهذا يوجب عليه التفرغ لعبادته »(٣).

٦-قال تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام:٧٩] حكى الله عن إبراهيم عليه السلام بعد مناظرته لقومه فيما كانوا فيه من الشرك قوله إني وجهت عبادتي وإخلاصي وحبي لمن فطر السموات والأرض مستقيماً على التوحيد بريئاً من الشرك وأهله، فمقتضى الفطرة التي خلق الله ﷻ عليها إبراهيم تمنعه أن يعبد مع الله إلهاً آخر سواءٌ أكان شمساً أم قمراً أم غيرها من المخلوقات

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٩).

(٢) الدرء لابن تيمية (٨/ ٤٥٨-٤٥٩).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٢٦).

التي يعتريها النقص والعيب فلا تقوم بنفسها فكيف تقيم غيرها؟

قال ابن كثير: « أي إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه »[1].

فكل من صرف العبادة لغير الله فقد خالف الفطرة التي فطر الله الخلق عليها ووجد من نفسه عدم الاطمئنان والراحة، لأن النفس لا تطمئن إلا لمن خلقها، فالذي يدعو غير الله، ويسجد لغير خالقه، لو رجع إلى فطرته وعقله لدله على الحق، فكيف يعبدُ مخلوقاً مثله ويدعوه؟ ومن الذي أعطى هذا المخلوق الحق في عبادته دون غيره؟ وما قدرة هذا المخلوق الذي ادعى أنه إله؟ أسئلة كثيرة لو عرضها هذا المشرك على فطرته وتجرد لله ﷻ لوجد الإجابة الشافية الكافية التي تدله على وحدانية الله قال ابن تيمية: « وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: « كل مولود يولد على الفطرة » وقوله فيما يروي عن ربه: « خلقت عبادي حنفاء » ونحو ذلك لا يَتَضَمَّنُ مجرد الإقرار بالصانع فقط، بل إقراراً يتبعه عبوديته لله بالحب والتعظيم وإخلاص الدين له، وهذا هو الحنيفية »[2].

٣-فطرية توحيد الأسماء والصفات:

دلت الفطرة على أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت للمخلوق فالخالق أولى وأحق به، وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى أن ينزه عنه فالفطرة السليمة تقتضي أن يوصف الخالق بالصفات التي تقتضي الكمال المطلق ويسمى بالأسماء التي تقتضي الكمال المطلق لله ﷻ لأن المخلوق يشعر أنه ناقص ولا يمكن أن يصل إلى الكمال المطلق مهما بذل وعمل، فهو يعلم أن له خالقاً وأن خالقه متصف بصفات الكمال المطلق ضرورة وفطرة، لأنه يعلم أن هناك فرقاً بين الخالق والمخلوق في الصفات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فصفات المخلوق قطعاً ويقيناً غير صفات الخالق ولو لم نعتقد ذلك لما كان هناك فرقٌ بين الخالق والمخلوق والفرق معلومٌ ضرورة

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٤٣).

(٢) الدرء (٣/ ١٣٧).

وفطرة فدل على المراد وهو أن صفات الخالق أجل وأكبر وأعلى وأعظم وأكمل من صفات المخلوق.

قال ابن تيمية: « ما من أحدٍ ممن يعظم الصانع وصف الله بصفة يعتقد أنها آفة وعيب ونقص في حَقِّهِ، وإن كان بعض الملحدين يصفه بها يعتقده هو نقصاً وعيباً فهذا من جنس نفاة الصانع تعالى، ولهذا كان نفاة الصفات إنما نفوها وهم يعتقدون أن إثباتها يقتضي النقص كالحدوثِ والإمكانِ ومشابهة الأحياء، ومثبتوها إنما أثبتوها لاعتقادهم أن إثباتها يوجب الكمالَ ، وعدمها يستلزم النقص والعدم ومشابهة الجمادات »[(١)].

وقال ابن تيمية: « والفطرة السليمة والعقل الصريح لو عُرض عليها ذات لا علم لها ولا قدرة ولا حياة ولا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر أولا تقبل الاتصاف بهذه الصفات، وذات موصوفة بتلك الصفات التي هي صفات كمال أو تقبل الاتصاف بها، فإن مقتضى الفطرة السليمة والعقل الصريح يدل على أن الذات المتصفة بتلك الصفات أوالقابلة لها أكمل من الذات التي لا تتصف بها أو لا تقبلها ولا شك أن ذات الخالق تعالى أحق بالكمال وأولى من أي ذات أخرى »[(٢)].

ومن دلائل كماله دعاء العباد له وتوجههم إليه، فمقتضى الفطرة أن يكون المدعو متصفاً بصفات الكمال والقدرة والقرب والمعية والرحمة والكرم قال ابن القيم: « إن حصول الإجابة عقيب السؤال على الوجه المطلوب دليل على علم الرب تعالى بالجزئيات وعلى سمعه لسؤال عبده وعلى قدرته على قضاء حوائجهم وعلى رأفته ورحمته بهم »[(٣)].

وقبل أن أختم هذا المطلب يستحسن أن أذكر قصة أبي المعالي الجويني حين سأله أبو جعفر الهمذاني وهو يتكلم -أي أبو المعالي- في صفة العلو ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان، فقال له الهمذاني: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في

---

(١) الدرء (٢/ ٣٣٦).

(٢) الدرء لابن تيمية (٢/ ٣٣٩).

(٣) جلاء الأفهام لابن القيم (٢٧٠).

قلوبنا؟! فإنه ما قال عارف قَطُّ: يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتف يمنة ولا يسرة فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا ؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسِهِ ونزل وأظنه قال وبكى وقال: حيرني الهمذاني حيرني الهمذاني[1].

(١) قال عنها الألباني في مختصر العلو للذهبي (٢٧٦) إسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ.

۞ المطلب الرابع: فطرية النفس البشرية:

خلق الله النفس البشرية سوية مستقيمة على الفطرة قال ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة.. » فالنفس خلقها الله ﷻ على التعبد له وأكبر دليل على ذلك رجوع الناس إلى الله وقت الشدائد قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الزمر:٨] فرجوع النفس إلى الله وقت الحاجة والشدة دليل على فطريتها وأنها تعترف أن لها خالقاً تحتاج إليه في وقت الضيق والأزمات لأن أسباب الدنيا تقطعت بها فلم يبق إلا مسبب الأسباب تعود إليه « وهذا من أعظم الشواهد الحسية على وجود المعرفة الفطرية واستقرارها في النفس »[١].

وأما وقت الرخاء و أحياناً وقت الشدة أيضاً تأبى النفس عن الرجوع إلى الله لقوة الصارفِ لها ولكن يبقى شعورها بحاجتها لخالقها في أعماقها حتى يأذن الله بسبب يجلو هذه اللوثات فيعيدها إلى خالقها وإلى الدين الحق الفطري الذي يحقق لها السعادة الحقيقية لأن سعادة القلب لا تكون إلا بالدين الحق الذي جاء به محمد ﷺ فهذا الفنان الانجليزي الشهير « كات ستفنز » أو يوسف إسلام يقول عن نفسه قبل الدخول في الإسلام وهو يتحدث عن فطرته التي دفعته للبحث عن الدين الحق: « وبدأت أفكر بطريقي لحياة جديدة ، أبحث فيها عن السلام والحقيقة وانتابني شعور هو أن أتجه إلى غاية مَّا ! ولكن لا أدرك كنهها ولا مفهومها بدأت أفكر وأبحث عن السعادة التي لم أجدها في الشهرة ولا في القمة ولا في المسيحية فطرقت باب البوذية والفلسفة الصينية وصرت قدرياً وآمنت بالنجوم.. ولكن وجدت ذلك كله هراء ثم انتقلت إلى الشيوعية ولكني شعرت أن الشيوعية لا تتفق مع الفطرة فأيقنت -إذ ذاك- أنه ليست هناك عقيدة تعطيني الإجابة وتوضح لي الحقيقة -ولم أكن أعرف عن الإسلام شيئا بعد- فرجعت إلى معتقدي الأول وهو ما تعلمته من الكنيسة لأن الكنيسة أفضل مِنْ تلك قليلاً»[٢]. وبعد الهداية إلى الإسلام قال: « لقد أجاب القرآن عن كل تساؤلاتي وبذلك شعرت بالسعادة

---

(١) الأدلة العقلية والنقلية ص(٢٠٢).

(٢) المجلة العربية عدد (١٤٠٦هـ) ٢٨ نقلاً عن كتاب المعرفة للزنيدي ص(٣٥٠).

سعادة العثور على الحقيقة ووجدت في القرآن كيف أن هذه السعادة هي الخالدة »[١].

إن باعث الفطرة في النفس يجعلها تبحث عن الحق ولا تطمئن ولا تصل إلى سعادتها إلا به والحق الذي يستقيم مع الفطرة هو ما جاء به الرسول محمد ﷺ وأكبر دليل على ذلك كوكبة المسلمين الجدد الذين يصرحون بأن أنفسهم الفطرية هي التي دفعتهم دفعاً للبحث عن الحقيقة والراحة والسعادة وكذا كوكبة التائبين إلى الله من عصاةِ المسلمين يصرحون بأنهم لم يجدوا راحَةَ النَّفْسِ وسعادتها إلَّا في القربِ من الله وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

إن طبيعة النفس البشرية تأبى الشر والإثم وتحب الخير والبر قال ﷺ : « والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس »[٢] قال الإمام النووي في تفسير معنى حاك في نفسك : « أي تحرك فيه فتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنباً »[٣] إن الذي جعل القلب يتردد في قبول الوارد عليه هو حصيل الفطرة الكامن في النفس يظهر على شكل تردد وعدم إنشراح وشك في هذا الوارد والمصطفى ﷺ جعل هذا التردد وهذا الشك وعدم إنشراح النفس علامة على الإثم بالإضافة إلى كراهة أن يطلع الناس عليه فالناسُ فطرهم واحدةٌ والنفوس واحدة فاجتمع تردد وشك وعدم انشراح الباطن ولوم الظاهر وسبب ذلك اتحاد وتوافق الفطر عند جميع البشر في إنكار هذا الإثم ولذلك كرِهَ أن يطلع عليه الناس بل إن الرسول ﷺ جعل سكون النفس دليل الحل وعدم سكونها دليل الحرمة فعن أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال: قلت يا رسول الله أخبرني بما يحل لي ويحرم علي قال: فصعَّرَ النبيُّ وصوَّب فيَّ النظر فقال ﷺ : « البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلبُ، والإثم مالم تسكن إليه النفسُ ولم يطمئنَّ إليه القلب وإن أفتاك المفتون »[٤].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سبق تخريجه ص(٢) .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١١).

(٤) سبق تخريجه ص(٢) .

ومثله حديث وابصة قال قال ﷺ : « استفت قلبك البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك »[(١)] قال ابن رجب[(٢)]: « دل حديث وابصة وما في معناه على الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه فما سكن إليه القلبُ وانشرح إليه الصدر فهو البر والحلال وما كان خلاف ذلك فهو الإثم والحرام وقوله في حديث النواس بن سمعان: « الإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس » إشارة إلى أن الإثم ما أثر في الصدر حَرَجَاً وضيقاً وقلقاً واضطراباً فلم ينشرح له الصدر ومع هذا فهو عند الناس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه[(٣)].

« وهذه الأحاديث تدل في مجموعها على أن الله فطر الناس على التمييز بين البر والإثم والحق والباطل والمعروف والمنكر وأن النفس تطمئن إلى الحق والمعروف وتنفر من الباطل والمنكر فما أحبته الفطرة واطمأن إليه القلب فهو المعروف وما كرهته الفطرة ونفرت منه النفوس فهو المنكر فإذا اشتبه الحلال بالحرام فيما يعرض للإنسان من الوقائع المعينة فإنه يمكن أن يعرف بفطرته ما يشتبه عليه من ذلك وهذا إنما يكون في الوقائع الجزئية المعينة لا في الأحكام الشرعيةِ المطلقةِ »[(٤)].

إن النفس البشرية بطبيعتها البسيطة التي لا تحب التعقيد ولا الجدل تقر بأن الله هو الخالق المالك المتصرف الذي يحقق للنفس كل ما تحتاجه من يقين وسعادة ولا تجد النفوس البشرية مطلبها إلا في الإسلام الدين الفطري البسيط الذي حقق التوازن بين

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٧) رقمه (١٨٠٣٠)، وأبو يعلى جـ٣ ص(١٦٠) رقم (١٥٨٦) وقال المناوي « قال النووي في رياضه إسناده حسن » جـ١ ص(٤٩٦)، وصححه الألباني في صفة الفتوى برقم (٥٦) .

(٢) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الإمام الحافظ الورع الزاهد الثقه الفقيه ولد في بغداد عام ٧٦٣هـ ومات عام ٧٩٥هـ من مؤلفاته: « الذيل على طبقات الحنابلة » و « جامع العلوم والحكم » . انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٤٢٨)، والأعلام (٣/ ٢٩٥) .

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص(٢٤٠).

(٤) المعرفة للقرني ص(٢٨٧)، وانظر: الاعتصام للشاطبي (٢/ ١٦١-١٦٣).

النفس والجسم، بين العلم والعقيدة بين الفرد والمجتمع، إن النفوسَ البشريةَ تأبى أن تعيش في ظل الجاهلية إذا تحرك في قلبها وميض الفطرة وبدأت تتردد في قبول ما هي عليه وتبحث عن الحق الذي يجب أن تكون عليه.

قال سيد قطب[١]: « .. وبهذا يربط- أي القرآن- بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين وكلاهما من صنع الله، وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه »[٢].

يقول المؤرخ الإيطالي « كيتاني »[٣] : « لما أهلت آخر الأمر أنباء الوحي الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية التي اختلطت بالغش والزيف وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية ونزعت عقائدها الأساسية واستولى على رجالها الريب والشك،لما صار الأمر هكذا لم تعد المسيحية قادرةً على مقاومة هذا الدين الجديد الذي بدد بضربة من ضرباته كُلَّ الشكوك، وقدم مزايا جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطةِ التي لا تقبل الجدلَ وحينئذ ترك الشرقُ المسيحَ وارتمى في أحضان نبيِّ العرب »[٤].

وأخيراً إذا أريد توضيح العلاقة بين الفطرة والنفس البشرية بكل جلاء ودقة ينبغي الرجوع إلى تعريف الفطرة وتحديد مفهومها الذي هو الإسلام بأصوله وأحكامه وتشريعاته وأخلاقه فكلها تتفق مع هذه النفس وتنسجم معها انسجاما وتوافقاً يَنْتُجُ عنه السعادة في الدنيا والنجاةُ في الآخرة.

---

(١) سيد قطب بن إبراهيم مفكر إسلامي مصري من مواليد قرية (موشا) في أسيوط تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة ولد عام ١٣٢٤هـ-١٩٠٦م وقُتل على يد جمال الدين عبدالناصر عام ١٣٨٧هـ-١٩٦٦م من أهم كتبه: تفسير ظلال القرآن ومعالم في الطريق. انظر: الأعلام (٣/ ١٤٧) .

(٢) ظلال القرآن (٥/ ٢٧٦).

(٣) كيتاني (الأمير ليوني) مستشرق إيطالي وأمير كيتاني وهي أسرة من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا الحديث ولد عام ١٨٦٩م ومات عام ١٩٣٥م من أهم مؤلفاته: حوليات الإسلام وهو أوسع تاريخ للإسلام في عصر النبي محمد والخلفاء الراشدين. انظر: موسوعة المستشرقين د/ عبدالرحمن بروي ص(٤٩٣) .

(٤) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ص(٣٠).

يقول ديبورابوتر: « ... إن الناس في أوروبا وأميركا يقبلونَ على اعتناق الإسلام بأعداد كبيرة لأنهم متعطشون للراحة النفسية والاطمئنانِ الروحيِّ بل إن عدداً من المستشرقين والمبشرين النصارى الذين بدءوا حملتهم مصممين على القضاء على الإسلام وإظهار عيوبه المزعومة أصبحوا هم أنفسهم مسلمين وما ذلك إلا لأن الحق حُجته دامغة لا سبيل إلى إنكارها »[(١)].

(١) قالوا عن الإسلام ص(١٦٤).

۞ المطلب الخامس: فطرية العقل:

أولاً: تعريف العقل:

العقل ميزة ميز الله بها الإنسان عن الحيوان وهو مناط التكليف، وبه كُرم على غيره، وبه يحاسب في الدنيا والآخرة بخلاف فَاقِدِه.

قال ابن تيمية: « إن اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة:٧٣] وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران:١١٨] ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عَقِلَ عَقْلاً وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يَعْمَلْ به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾ [الملك:١٠] والعقل المشروط في التكليف لابد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال من الكلام ليس بعاقلٍ، أما من فهم الكلام وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل، ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم، والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يُراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وغيرهما أن العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء، كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٦-٢٨٧).

وقال ابن تيمية: « والعقل يراد به العلم ويراد به العمل، فالعلم والعمل الاختياري أصله الإرادة وأصل الإرادة في القلب والمريد لا يكون مريداً إلا بعد تصور المراد فلابد أن يكون القلب متصوراً فيكون من هذا وهذا[1]، ويبتدئ ذلك من الدماغ وآثاره صاعدة إِلَى الدماغِ فمنه المبتدأُ وإليه الانتهاءُ وكلا القولين لهُ وجه صحيح »[2].

ورجح القاضي أبو يعلى بأن محل العقل القلبَ[3] فيكون العقل هو غريزة إنسانية محلها القلب على الراجح لديها قدرة على تمييز علم المصالح من المفاسد عبر [نور ينبعث من القلب إلى الدماغ فيفيض منه إلى الحواس ما جرى في العقل][4].

فالتمازجُ بين الغريزة العقلية والقدرة على العلم الناتج عنه العملُ هو العقل فالعقل في تعريفه الصحيح ليس مجردَ جوهر مجرد بل هو صفة ثورت العلم والعمل.

فطرية المبادئ الأساسية العقلية:

« وتتمثل المبادئ الأولية التي فطر عليها العقل في تلك الأحكام الكلية مثل الكل أعظم من الجزء، الواحد نصف الاثنين، والأشياء المساوية لشيء واحد متساوية، وقد حاول بعض الفلاسفة حصرها بشكل كلي، فجعلوها ثلاثة تنبثق منها، أو تقوم عليها المبادئ الأخرى وهي:

١-مبدأ الهوية الذي يقضي بأن ما هُوَ وما ليس هو ليس هو أي: أن الشيءَ لا يكون غيره.

٢-مبدأ عدم التناقض الذي يقضي بأن الشَّيْءَ الواحد لا يمكن أن يكون وأن لا يكون معاً وهو معنى أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان.

---

(١) ذكر ابن تيمية أن لفظ القلب يراد به المضغة الصنوبرية الشكل وقد يراد به باطن الإنسان مطلقاً (٩/ ٣٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى ج٣، ص(٣٠٤).

(٣) العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى الحنبلي (١/ ٨٩).

(٤) العدة (١/ ٨٩) لأبي يعلي الحنبلي.

٣-مبدأ العلية: ومقتضاه أنه لا يمكن أن يحدث شيء دون أن يكون هناك سبب أو علة محددة تصلح تفسيراً لحدوثه وتكون هذه العلة كافية إذا كانت قادرة وحدها على التفسير الحقيقي الكامل لذلك الحدث[1].

وكان ديكارت يصف الأفكار التي يجعلها أصول المعرفة بأنها فطرية ويبين أن مقصوده بفطريتها كونه « يحس بأنها منقوشة في طبيعته وكأنها خاتم الصانع المنقوش على ما صنعته يداه » ولكنها مع ذلك غير قائمة بالعقل حال الولادة إذ هِيَ مجردُ استعدادات تكتملُ وتتضحُ بعد ذلك ففطرية هذه المبادئ تعني: أن الله خلقها في النفس البشرية قبل مباشرتها أي معرفة خارجية ومع أنها تتضح بعد ذلك ويكون هذا الوضوح سائغاً نحو مقتضياتها إلا أنها قد تتأثر بعوامل خارجية فتغفل النفس عن شيء منها أو يخفت وضوحُهَا وهي مع ذلك مضمرةٌ في النفسِ تعودُ لوضوحها كلما انجلى غشاؤها بالتذكير أو بِزَوَالِ الْعَامِلِ الحاجِبِ ونحوه »[2].

ويدل على فطرية المبادئ الأولية بهذا التفسير أمور:

١-أن الإنسان يصدق بالمبادئ العقليةِ تصديقاً مطلقاً بحيث لا يمكنه أن يدفع ذلك التصديقَ عن نَفْسِهِ وسبب ذلك أنها تسليميه يكفي مجرد تصورها في وجوب التسليم بها ولهذا وصفت بأنها ضرورية وإذا تقرر أنها ضرورية فإنما كانت كذلك من جهة ملاءمتها ومطابقتها للغريزة العقلية وهذا هو معنى كونها فطرية.

٢-أنه لا يمكن الاستدلال عليها لأنها تسليمية وليست استدلالية فلا يمكن أن يقبل العقل الفطري أن يكون الجسم متحركاً وساكناً في آنٍ واحد ولا أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحدٌ ولا أن المخلوقَ خُلق من غير خالق أو خَلَقَ نفسه.

٣-أنه لا يمكن الشك فيها أو تصور نقيضها لأن الشك فيها إنما يكون بشبهات نظرية، وتلك الشبهات إنما يعلم صدقها باستنادها إلى تلك المبادئ والنتيجة أنه لا يمكن

---

(١) المعرفة للزنيدي ص(٣٢٥).

(٢) المعرفة للزنيدي ص(٣٣٠).

القدح في المبادئ الأولية بما يناقضها وإذا تقرر عدم إمكان الشك في تلك المبادئ وأن الغريزة العقلية لا يمكن أن تقبل ما ينافيها تبين أنها فطرية.

٤-وأن جميع الناس يسلمون بها دون أن يبحثوا عن أصلها أو يستدلوا لها واتفاق الناس عليها دون تواطؤ منهم دليل على فطريتها .

الأدلة العقلية في الإسلام فطرية:

« إن المعرفة الفطرية هي الأساس والأصل للأدلة العقلية وذلك أن المعرفة الفطرية تتناول أمرين:

الأول: العلوم البدهية المغروزة في كل نفس والتي لا تفتقر إلى استدلال بل إليها مرجع كل استدلال، وهي محل اتفاق بين جميع العقلاء -وهي المبادىء العقلية التي سبق ذكرها- .

الثاني: تلك القوة الكامنة في النفس، التي تقتضي معرفة الحق وإرادته وطلبه وإيثاره على الباطل فهي معلومة لدى كل إنسانٍ سَوِيِّ الفطرة، ومن أعظم الحق الذي تعرفه وتطلبه وتريده: أن لها خالقاً بارئاً مصوراً يستحق عليها المحبة والشكر على الإيجاد والإمداد .

فبهذين الأمرين تقوم قائمة الدليل العقلي، فمواده مرجعها أخيراً إلى هذه العلوم الفطريَّةِ التي خلقها الله في النفس البشرية وعليها بناء العلوم والمعارف، كما أن تأثير الدليل العقلي في النفس مهما كانت قوته ووضوحه وإخضاعه النفس لدلالته، إنما يحصل بما في النفس من فطرة على قبول الحق وإرادته وطلبه »[1] .

بعض الأدلة العقلية الفطرية في الإسلام:

١-قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝﴾ [الطور: ٣٥-٣٦] .

(١) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد د/ سعود العريفي (/ ١٩٦) .

« جاءت هذه الآيات لتقرير ربوبية الله وألوهيته وأنه خالق السموات والأرض وما بينهما فإن زعم الإنسان أنه خُلق من غير شيء كان في ذلك مناقضة لقانون السببية الذي يربط بين المسببات وأسبابها والنتائجَ بمقدماتها والظواهرَ بعللها ويستحيل وفقاً لهذا القانون أن يوجد أثر بلا مؤثر وخلق بلا خالق. بل لا بد لكل مخلوق من خالق أوجده[1] »

٢-قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧] .

وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠] .

تدل هاتان الآيتان على أن كل كَمَالٍ ثبت للمخلوق فالخالق بِهِ أَوْلَى فطرةً وبداهة[2].

وهو المراد بالمثل الأعلى قال ابن القيم: « الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره[3] » .

٣-قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: ٢٨] .

قال ابن تيمية عن هذه الآية توضيحاً للدليل العقلي:

« يقول تعالى: إذا كان الواحد منكم ليس له من مماليكه شريك فيما رزقه الله بحيث يخاف ذلك المملوك كما يخاف السادة بعضهم بعضاً فكيف تجعلون لي شريكاً وهو مملوكي، وتجعلونه شريكاً فيما يختص بي من العبادة والمخافة والرجاء حتى تخافوه كما تخافوني؟ .

---

(١) الدلالة العقلية في القرآن ص(٢٦٣) .

(٢) انظر: شرح الأصفهانية (٨٦) .

(٣) الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٣٠) .

ومن المعلوم أن ملك الناس بعضهم بعضاً ملك ناقصٌ فإن السيد لا يملك من عبده إلا بعض منافعِهِ لا يملك عينه وهو شبيه بملك الرجل بَعْضَ منافع امرأته ... فإذا كان هذا الملك الناقص لا يكون المملوك فيه شريكاً للمالك فكيف بالملك الحق التامّ لكل شيء؟ ملك المالك للأعيان والصفات والمنافع والأفعال الذي لا يخرج عن ملكه شيء بوجه من الوجوه ولا لغيره ملك مفردٌ ولا شريك في ملك ولا معاونة له بوجه من الوجوه فكيف يسوغ في مثل هذا أن يُجعل مملوكهُ شريكَه بوجه من الوجوه؟ »[1].

كيف ربط الإسلام ما بين العقل والفطرة؟

لكي يجاب على هذا السؤال لابد من الرجوع إلى مفهوم الفطرة وتعريفها ومفهوم العقل وتعريفه حتى نربط من خلال التعاريف بين العقل والفطرة.

ثبت أن العقل هو غريزة محلها القلب ويتصل مع الدماغ ومحوره العلم والعمل.

وسبق أن تعريف الفطرة يشمل أمرين:

أولاً: ما عليه المولود من حالةٍ لو ترك دون مؤثر ومُغَيِّرٍ لكان معترفاً بالله مُقراً به بالجملة لأنه على حالة لا يمكنه العلم كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل: ٧٨]. ولكن المبادىء الأساسية مستكنة في العقل الإنساني.

« فإذا تفاعل الإنسان بعد ذلك مع الوجود المحيط به عن طريق الإدراكات الحسية المتفرقة برزت هذه المبادىء لتؤدي دورها في الإيقاع بهذه الإدراكات إلى مستوى المعرفة الإنسانية ولتهدي الإنسان إلى ما وراءها من حقائق.

والذي يثبت هذه الحقائق هو الوحي المتمثل بالفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي هي في تمام نضجها مناط التكليف، فالفطرة هي المدخل الذي يلج منه الإسلام إلى الإنسان عن طريق ما يتلقاه من الوحي الإلهي الذي يزيح عن الفطرة ما يعتريها من غفلة عن طريق الأدلة العقلية التي تتجه إلى هذه الفطرة لتوقظها وذلك بعد وُصُول الإنسان

---

(١) الدرء (٧/ ٣٨٩-٣٩٠).

إلى مناط التكليف والعلم »[١].

ثانياً: الإسلام والدين كله بأصوله وأحكامه وتشريعاته متوافق مع الفطرة منسجم معها، ومما أتى به الدين إكرام العقل فقد ورد ذكر العقل في القرآن في خمسين آية[٢] واستعمل القرآن لفظ « القلب » بمعنى العقل في (١٣٣) آيةً[٣] كل ذلك من باب التكريم لما هو مناط التكليف قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] والعالم لا يكون فاقداً لعقله وقال تعالى -ذاماً من ألغى عقله وعطل تفكيره ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال:٢٢] وجاعلاً في آية أخرى وظيفة الرسول ﷺ ومهمته في العالمين التذكير قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية:٢١-٢٢] « بينما كانت سنة قادة الأديان قبل ذلك في مشارق الأرض ومغاربها كما قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر: « أطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى »[٤].

والقرآن، كلام الله العلي العظيم يحث على التدبر طلباً للحق قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١].

إن الفطرة تتظافر مع العقل في تحقيق الإيمان، إذ إن مبنى العقل على صحة الفطرة وسلامتها، فإذا فسدت فسد العقل. ومن المعلوم أن أوائل العقول -وهي العلوم الضرورية التي تعلم بالفطرة- لا يخالف فيها ذو عقل، وليس يدري أحد كيف وقع له العلم بها بوجه من الوجوه لذا فقد أودع الله في القلوب من المعارف الفطرية الضرورية ما يفرق بها الإنسان بين الحق والباطل[٥] ومن أوضح الأمثلة على سلامة الفطرة

(١) المعرفة للزنيدي (٣٦٠) بتصرف يسير.

(٢) الدلالة العقلية في القرآن ص(٢٦).

(٣) المرجع السابق ص(٣٣).

(٤) دعوة الفطرة ص(٣٠).

(٥) الدلالة العقلية في القرآن (٢٤٩٠).

وتوافقها مع العقل حالُ الصحابة الكرام كيف تلقوا العقيدة عن المصطفى ﷺ؟ تلقوها بالتسليم الكامل لأن الرسول ﷺ أيقظ فيهم الفطر الكامنة وأتاهم بما يُلائم هذه الفطرة فكان القبولُ الكاملُ، لم يكن لدى الصحابة مشكلة وحيرة واضطراب في الإيمان بأسماء الله وصفاته لأن عقولهم الفطريةَ آمنت وسلَّمت، بخلاف العقول المنطقية التي غابت عنها الفطرة وغاب مع غياب الفطرة العقل الإيماني وجاء العقل المنطقي الذي لم يَجْنِ أصحابه إلا الحيرة والشك .

۞ المطلب السادس: شهادات غربية على فطرية الإسلام:

يقول « فانسان مونثيه » أستاذ اللغة العربية والتاريخ الإسلامي بجامعة باريس « اخترت الإسلام لأنه دين الفطرة، اخترته ديناً ألقى به وجه ربي »[(١)] .

وقال الطبيب الفرنسي بتول « إن السكوت عن طهارة الجسد نجده في الأديان الأخرى غير الإسلام بل يخالطه كذلك شعور بالعداوة فيما يتعلق بالحياة الجسدية للإنسان، بينما اتضح لي أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتمشى مع الفطرة الإنسانية »[(٢)] .

تقول تزفسكن: « لم يتبين لي الفرقُ بين تعاليم الإسلام وبين كثير من العادات الشرقية إلا عندما دخلت عالم الإسلام الروحي عن طريق القرآن والكتابات الإسلامية فشعرت ببطء كيف يجذبني الإسلام، وكانت تعاليمه تخاطب عقلي وفطرتي »[(٣)] .

ويقول عامر على داود: « ... بفضل دراستي الحرة البعيدة عن كل تعصب مقيت أصبح إيماني بهذا الدين [الإسلام] قوياً وراسخاً، لقد آمنت برسالة القرآن وأحسست أن الإسلام هو دين الفطرة والكمال، أنزله الله على قلب آخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ، لقد اكتشفت أن الإسلام يخاطب الناس مباشرة ودون أية واسطة من أي نوع من أجل ذلك كان هذا الدين متمشياً مع الفطرة البشرية »[(٤)] .

ويقول رودريك: « ... الاعتقاد الإسلامي بوحدانية الله، وهو حجر الزاوية بالنسبة للإسلام أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث مثلاً، إذ إن فطرتي استساغت الإيمان بالله الواحد »[(٥)] .

---

(١) التسامح في الإسلام د/ شوقي أبو خليل ص(١٢٣) .

(٢) قالوا عن الإسلام ص(١٦١) .

(٣) المرجع السابق (١٦٥) .

(٤) المرجع السابق ص(١٧١) .

(٥) المرجع السابق ص(١٧١) .

ويقول د/علي عمر كين: « ... لقد بحثت طويلاً في سر الوجود وتعمقت في أبحاثي بحكم دراساتي للفلسفة وعلم النفس، ورأيت أن الإسلام هو أقرب الأديان إلى السماء وإلى النفس الإنسانية فتأكد يقيني بأنه الدين الكريم الذي أرتضيه وأؤمن به »[1].

وتقول لامير: « إن الإسلام هو أقدم وأول الأديان جميعاً وهو بتصوره الشامل للحياة قد أثر في ثقافة جل بلاد العالم ... وذلك أنه دين يساير الفطرة »[2].

---

(١) المرجع السابق ص(٢٣٠).

(٢) المرجع السابق (٢٣١).



الإسلام دين الله ورسله

وفيه خمسة مباحث: -

- المبحث الأول: تعريف الإسلام.
- المبحث الثاني: حاجة الإنسانية لإرسال الرسل.
- المبحث الثالث: إثبات الوحي الإلهي.
- المبحث الرابع: إثبات نبوة محمد ﷺ .
- المبحث الخامس: الأدلة الدالة على أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق وهو دين الرسل جميعاً.

* *   * *   * *

المبحث الأول: تعريف الإسلام

قال قتادة[١]: « الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله دَلَّ عليه أولياءَهُ لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به»[٢] .

وقال الطبريُّ: «هو إخلاص العبادة والتوحيد لله وخضوع القلب والجوارح له»[٣].

وقال ابن تيمية: « وهو يجمع معنيين أحدهما الانقياد والاستسلام والثاني إخلاص ذلك وإفراده »[٤] .

وقال ابن رجب: « الإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده لله »[٥] .

إن دين الله الذي أنزله على رسله هو الإسلام وهو يشمل أمرين:

الأمر الأول: الاستسلام والانقياد الكامل لله الواحد القهار فلا تعلق بمخلوق أو حجر أو كوكب بل إنقياد كامل انقياد الجوارح وانقياد اللسان فلا يتكلم إلا بما أراده الله وانقياد للجوراح فلا عمل إلا بما أراده الله المستحق للعبادة .

الأمر الثاني: إخلاص الأعمال لله الواحد الفرد الصمد وإفراده فلا شريك معه ولا ولد ولا زوجة ولا معين كل الخلائق محتاجون إليه وهو الحي القيوم وحده لا إله إلا هو القوي العزيز الحكيم سبحانه والإسلام يحقق للنفس حاجتها وللجوارح حاجاتها دون تعارض .

---

(١) قتادة بن دعامة بن قتادة أبو الخطاب السدوسي البصري مفسر حافظ إمام في العربية ولد عام ٦١ وتوفي عام ١١٨هـ قال الإمام أحمد عن قتادة أحفظ أهل البصرة. انظر: الأعلام (٥/ ١٨٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩) .

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٢١٢) .

(٣) تفسير الطبري (١/ ٥٦٠) .

(٤) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥) (٢٦٣) .

(٥) جامع العلوم (١/ ١٠٨) .

الإسلام يدعو إلى عبادة إله واحد فرد صمد، وينبذ الشرك بجميع أنواعه .

الإسلام يدعو إلى التوكل على الله وحده وتفويض الأمر له .

الإسلام يدعو إلى دعاء الله مباشرةً دون واسطةٍ، فلا واسطة بين الخالق والمخلوق في الدنيا .

الإسلام يدعو إلى الرحمة في موضعها وإلى القوة في موضعها .

الإسلام لا يفرق بين الأجناس والألوان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] الإسلام هو دين جميع الأنبياء قال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤] وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧] وقال تعالى عن إبراهيم ويعقوب: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] وقال تعالى عن الأنبياء: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ [المائدة:٤٤]، فدين الله واحد هو الإسلام ولكن الشياطين اجتالت بني آدم وانحرفت بهم عن الصراط المستقيم إلى طرق الضلالة .

يقول الباحث الفرنسي جاك ريسلر: « ... إن اسم الإسلام يمكن أن يؤخذ على ثلاثة معان مختلفة: المعنى الأول دين، والثاني دولة، والثالث ثقافة، وبالاختصار حضارة فريدة[1] .

إن مما يؤكد الإسلام التعاونَ والتناسقَ الكبيرَ بين العلم والإيمان فالعلم أساسه الإيمان، والإيمان يحث على العلم والإبداع .

---

(١) قالوا عن الإسلام (١٨٧) .

المبحث الثاني: حاجة الإنسانية لإرسال الرسل

وفيه أربعة مطالب:

اقتضت حكمة الله المتضمنة لعدله إرسالَ الرسل للبشرية ذلك أن هذا الإرسال ضرورة إنسانية لأن البشر لا يمكن أن يستقلوا بإدراك مصالحهم الدينية والدنيوية بأنفسهم بل لابد من وحي يأتيهم من العلي العظيم ليبين لهم الخير فيعملوا به ويحذرهم من الشر فيجتنبوه فإن عقولهم قاصرة عن ذلك وما نتج عن هذه العقول من علمٍ مادي كذلك قاصر.

۞ المطلب الأول: العقل البشري وقصوره:

منح الله الإنسان العقل ليميزه عن الحيوان فهو مناط التكليف وأساس الحساب والعقاب ولكن جعل الله له حدوداً يقف عندها لا يستطيع تجاوزَهَا فمن جعل عقله هو الحاكم في مصالحه ودينه لا يصل إلى مبتغاه لأن عقله وعقل الآخر لا يمكن أن ينتج عنهما اتفاق حول قضية معينة لأن العقول تختلف في الفهوم والاستنتاجات واستشراف المستقبل المصلحي.

إن ظهور المذهب العقلاني في أوروبا بعد طغيان الكنيسةِ، أو قل ظهر كَرَدَّةِ فعل لطغيان الكنيسة وتسلطها على العلم وأهله، وهو « مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وكذلك يرى إخضاعَ كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه »[1] لما اتخذت أوروبا لنفسها هذا المنهج الاستقلالي ما الذي نتج عنه؟ هل استطاع العقل الأوروبيُّ الحرُّ أن يجد تفسيراً صحيحاً مقبولاً للكون أو للإنسان ذاته؟ الجواب واضح لكل ذي بصيره، زاد الرجل الأوروبي حيرة واضطراباً وتفلتا من أوجب وأبسط ما يجب أن يكون عليه الإنسان فأصبح التفكير الحر معناه

---

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ٧٩٦).

الإلحاد، والحرية الشخصية معناها شيوع الجنس للجميع فلا روابط زواج ولا روابط نسب بل وصل الأمر بهم أن جعلوا زواج المثلين الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة - زواجاً مشروعاً تباركه الكنسية[١] بل أعظم من ذلك أصبح زواج الإنسان الذي كرمه الله بالعقل- وبالعقل نزع الإنسان كرامته وأبى إلا أن يساوي الحيوان البهيم- مع الحيوان من الحرية الشخصية وباركته الكنيسة.

وأصبحت حرية التعبير عن الرأي طريقاً للقدح في الله ﷻ وفي الرسل والأنبياء وفي كل مقدس فأي عقل هذا الذي اعتمدوا عليه فأوصلهم إلى مستوى الحيوان بل أسوأ من ذلك إنه شيطنة العقل وأبلسته لا حريته!!.

يقول « كانت »[٢] : « إن عقل الإنسان مركب تركيباً يؤسف له فإنه مع شغفه بالبحث في مسائل لا تدركها حواسنا لم يستطع أن يكشف عن (معمياته) »[٣].

قال ابن خلدون[٤]: « العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراءَ طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال وهذا لا يُدرك »[٥].

---

(١) انظر: مجلة المجتمع عدد (١٣٧٧) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م حيث قررت الكنيسة البروتستاتيه بالنمسا عقد الزيجات الشاذة.

(٢) كانت أو كونت: فيلسوف فرنسي مؤسس المذهب الوضعي ويرى إسقاط كل ميتيافيزيقا لأنها عبثاً تحاول البحث عن جوهر الظواهر فهو يُنكر وجود الله، ولد عام ١٧٩٨ ومات عام ١٨٥٧م من أهم مؤلفاته: دروس في الفلسفة الوضعية. انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ص(٧٥).

(٣) رسالة خاتم النبيين محمد، ص(٣٢).

(٤) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الإشبيلي الحضرمي عالم الاجتماع والمؤرخ الكبير ولد عام ٧٣٢هـ مات عام ٨٠٨هـ من أهم مؤلفاته: مقدمة كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر. انظر: الأعلام (٣/ ٣٣٠)، وشذرات الذهب (٩/ ١١٤).

(٥) المقدمة لابن خلدون، ص(٤٥٩).

وأما النظرة الصحيحة للعقل في الإسلام: فتتمثل في ناحيتين:

١-أن العقل نعمة ربانية ومنحة إلهية قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل:٧٨] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر:١٨].

٢-أن العقل له حدود لا يتجاوزها ولا يستطيع العقل من ذاته أن يصل إليها وهي:

أ-التفكر في ذات الله وقد ورد النهي عن النبي ﷺ حيث قال: « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله عز وجل »[1] لو أراد العقل أن يتفكر في ذات الله بعيداً عن الوحي لما استطاع أن يصل إلى نتيجة مقنعة له، فانظروا إلى المدنية لما تخبطت في هذا المجال أوصلها إلى إنكار وجود الله ﷻ أو إثبات وجود لله مطلق لا يخلق ولا يرزق ولا يرى.. الخ، وما سقوط الشيوعية إلا بسبب إنكار الوحي وترك المجال للعقل يفكر في خارج الساحة المسموح له بها فضل ضلالاً بعيداً ولم تتقبله الفطرة البشرية فانقلبت الفطرة على العقل فسقط الكيان المادي الضخم أمام قوة الفطرة الدينية.

ب-التفكر في القدر عن عبدالله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا »[2].

جـ-التفكر في حق التشريع لمن؟ قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورى:٢١] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [النحل:٣٥].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط رقم (٦٤٥٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٧٥)، وقال ابن حجر موقوف وسنده جيد انظر الفتح (١٣/ ٣٩٤)، وصححه الألباني في صحيحه رقم (١٧٨٨) (٤/ ٣٩٥).

(٢) رواه الطبري وقال الهيثمي: « فيه مسهر بن عبدالملك وثقة ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد (٧/ ٢٠٢) » وصححه الألباني في السلسلة رقم (٣٤)، وصحيح الجامع الصغير (١/ ٢٠٩).

قال محمد قطب: « أما الجاهلية المعاصرة فقد استكبرت استكباراً من نوع آخر فنفت وجود الله أَصْلاً وزعمت أن الطبيعة أو المادة هي الخالق الأزلي الأبدي ذو السلطان ولكنها في قضية التشريع سارت على ذات النمط الذي سارت عليه كل جاهلية من قبل فاستأثر بالتشريع ذوو السلطانِ، وخضع لهم العبيدُ، فاستوى بذلك عهد الرق وعهد الاقطاع وعهد الرأسمالية وعهد الشيوعية على خلاف في الصورة لا يقدم ولا يؤخر كثيراً في واقع الأمر »(١).

د-الإيمان بالغيب: الإيمان بالغيب واجب لا يدخل ضمن اختصاص العقول إلا بمقدار التسليم فعلى العقل أن يسلم بما غاب عنه لأنه غير قادر على إدراكه وتصوره إلا عن طريق الوحي فالغيب « كل ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك مثل الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان »(٢) فلو لم يأت الوحي بذكر الجنة والنار والصراطِ لما أدرك العقل ذلك لأنه محدود بما مَنَحَهُ الله من المقدرة وأكمل ذلك سبحانه بالوحيِ فيما لا يقدر عليه العقل.

إن المجالات التي يُسْمَحُ للعقل فيها بالتأمل والتدبر من أجل أخذ الحكمة والعبرة والعظة من ماضيه لحاضره ومن حاضره لمستقبله، وللتعرف على عظمة الخالق الفرد الصمد، والسير على وفق ما يريدُهُ الله هي:

١-تدبر آيات الله في الكون للتعرف على قدرة الله المعجزة، وتفرده بالخلق والتدبير والهيمنة والسلطان، بما يؤدي إلى إخلاص العبادة له وحده سبحانه.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝﴾ [الطور:٣٥-٣٦] فهذا أمر بالتدبر في خلق الإنسان والكون.

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝﴾ [المؤمنون:١١٥].

٢-تدبر آيات الله في الكون للتعرف على السنن الكونية التي يجري بها قدر الله في

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة، ص(٥٣٧).

(٢) تفسير البغوي (١/ ٦٢).

الكون لتحقيق التسخير الرباني لما في السموات وما في الأرض للإنسان من أجل تعمير الأرض والقيام بالخلافة بها قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤].

٣-تدبر حكمة التشريع الرباني لإحسان تطبيقه على الوجه الأكمل والاجتهاد فيما أذن الله فيه بالاجتهاد. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢].

٤-تدبر السنن الربانية التي تجري الأمور بمقتضاها في حياة البشر لإقامة المجتمع الإيماني الراشد الذي يريده الله. قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد:١١] سنة الله في التغيير مرتبطة بالنفس البشرية ومدى علاقتها أو ارتباطها بخالقها،وسنة الله في العقاب يبينها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام:٤٤].

٥-تدبر التاريخ ، لأن الحاضر يحكي الماضي.

قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران:١٣٧] فهذه أسس للعقل ومجالاته في الإسلام عليه ألا يتجاوزها إلى مالا ينبغي له تجاوزه[1].

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة بشيء من التصرف (٥٤٠-٥٥٠).

۞ المطلب الثاني: العلم المادي وعجزه عن تحقيق السعادة للبشرية:

النظريات المادية التي لا تؤمن إلا بما أثبتته التجربة الحسية أنكرت كل ما يتعلق بعلم الغيب فتركت فراغاً إيمانياً ورَوُحياً عظيماً في المدنية الغربية نتج عنه التخبط الكبير لتلكم المدنية الغربية في مفهوم الإنسان وخلقه والكون وتكوينه ونهايته ونهاية العالم وبدايته وما نتج عن ذلك من النظريات الاجتماعية والنفسية والسياسية المتهالكة المهلكة للبشرية، إذاً « فالنظرة المادية إلى العلم والمعرفة لا تعترف إلا بما تُثبته التجربة فقط وتنكر دور الوحي والمعتقدات الدينية لدى الأمم والشعوب في التأثير على دور التاريخ، وإنما تفسر أسباب وجوده وتطوره بحركة المادة في الوجود »[1] فهل حققت هذه النظرياتُ السعادةَ للبشريةِ؟ وهل حققت هذه النظريات للعقل البشريِّ القناعةَ الكاملةَ بما قررته مع أنها تدعي أنها مادية عقلية؟ هذا ما سنعرفه من خلال هذا العرض الموجز.

١-نظرتهم لنشأة الكون:

يرى « كارل ماركس » وصديقه « فريدريك أنجلز »[2] أن « المادة لا يمكن أن تكون ثابتة إطلاقاً بل يجب أن تفهم باعتبارها في صيرورة دائمة وهذا ما ينجز عبر قوانين ثلاثة:

-قانون التحول في الكم والكيف.

-قانون تداخل الموضوعات.

-قانون نفي النفي.

تتطور المادة جدلياً من خلال صدمة النزعات والقوى المتقابلة التي تنفي نفسها بانتقالها إلى مستوى أعلى إن التفتح الذاتي للمادة تَمَّ عبر «قفزات وبطريقة غير متتالية عبر

---

(١) الموسوعة الميسرة، ص(١١٣٧).

(٢) فريدريك إنجلز: فيلسوف مادي ملحد شارك كارل ماركس في صياغة الفلسفة الماركسية المادية وقيل لولا إنجلز لما أصبحت الماركسية حركة دولية، ولد عام ١٨٢٠م ومات عام ١٨٩٥م من مؤلفاته: «أصل الأسرة والملكية الخاصة والدولة »، وهو الذي أكمل المجلدين الثاني والثالث من كتاب رأس المال لماركس بعد وفاته. انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، حفني (١/ ١٩٥) .

قطيعة مع التدريجي، لإبراز ذلك اختار انجلز مثال حبة الشعير « تقع حبة » الشعير على الأرض تفنى فيها « نفي » ثم من هناك تخرج النبتة ومن نفيها (الموت) تعود الحبة مجدداً ولكن على مستوى أعلى إذ تتضاعف « عدداً » .

أما القانونان الآخران فقد صورهما انجلز مستعيناً بالمثل نفسه هكذا تتداخل بالنسبة إلى الحبة الحبات -النبات النقيصة الأخرى وتنحل بالتبادل.

كل ذلك يحصل عبر التحول فِي الكَمِّ « الخلايا في مثلنا » والتحول هو الشرط الأول للتغير في شيء كيفي مختلف: من الحبة إلى النبتة »[(١)].

ويرى الفيلسوف الألماني الملحد آرثر شوبنهاور[(٢)] أن الكون عبارة عن المادة المطلقة وأن لا شيء في الوجود سوى المادة، وأن جوهر هذه المادة الإرادة وأن العالم عبارة عن إرادة كلية شاملة فلا خالق ولا رب وأن تكَوُّنَ العالم والحفاظ عليه موكول إلى هذه الإرادة المطلقة التي تحرص على الحفاظ على الأنواع[(٣)] .

فهذا الاتجاه الإلحاديُّ الذي لا يؤمن بالخالق ويدعي أصحابه بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية هي الخالق والمخلوق فهؤلاء يُفسرون خلق الكون تفسيراً مادياً ولا يعترفون بالوحي من باب أولى وممن قال بهذه النظرية أو قريباً منها: أتباع الفلسفة الوجودية[(٤)] وعلى رأسهم جان بول سارتر[(٥)] وأتباع الداروينية والفيلسوف

---

(١) أطلس الفلسفة (١٦٩)، المكتبة الشرقية، ط٨، ١٩١٩م، المؤلفون: ١-بيتر كوتزمان ٢-فرانز بيتر بوركارد ٣-فرانز فيدمان ٤-ركسل فايس.

(٢) شوبنهاور: فيلسوف مثالي ألماني يعتبر فيلسوف التشاؤم الحديث ولد عام ١٧٨٨م ومات عام ١٨٦٠م وأشهر مؤلفاته « كتاب العالم كإرادة وتصور » انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ص(٧٣٤) .

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة اميل برهييه القرن التاسع عشر (٢٨٣) وانظر: أطلس الفلسفة ص(١٥٩).

(٤) الوجودية: هي الفلسفة التي تقول بأسبقية الوجود على الماهية وأن الإنسان يوجد أولاً ثم تتحدد ماهيته باختياراته ومواقفه فهو مذهب فلسفي يغلو في قيمة الإنسان ويبالغ في التأكيد على تفرده وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار ولا يحتاج إلى موجه. انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة د/ عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي (٢/ ١٥٢٨) وأطلس الفلسفة ص(٢٠٣) .

(٥) جان بول سارتر: فيلسوف وكاتب ومسرحي فرنسي والمنظر الأول للوجودية المادية الفرنسية ولد عام =

والألماني هيجل[١] وفريدريك نيتشه[٢] وغيرهم من فلاسفة الإلحاد فهل حقق هذا الاتجاه لاتباعه القناعة الكاملة؟ الجواب قطعاً لا.

نقد هذه النظرية:

١-إن هذه النظريات عبارة عن أوهام وتخيلات طرحها أصحابها دون سندٍ علمي محسوس فجاءت متناقضة هشة لا يقبلها العقل وبالتالي تصورها يكفي في ردها لأنها ساقطة بنفسها.

٢-العلم الحديث ينكر هذه النظرية أعني نظرية أبدية المادة ويؤكد على أنها لها بداية ونهاية يقول « وتكر » : « ليس هناك من أساس لافتراض أن المادة والطاقة كانت موجودة ثم أثيرت فجأة إلى الفعل إذ ما الذي كان يمكن أن يميز تلك اللحظة عن كل اللحظات الأخرى في الأزل؟.. الأبسط من هذا أن تفترض الخلق من العدم الإرادة الإلهية تكون الطبيعة من العدم المحض »[٣].

وقال « ملن » : « أما السبب الأول لنشأة الكون في نطاق التمدد، فأمر إضافته متروكة للقارئ لكن الصورة لا تكتمل إلا به تعالى »[٤].

والذي جعل هذين العالمين يعترفان بوجود الخالق ما نشأ عن الفيزياء الحديثة من

١٩٠٥م ومات عام ١٩٨٠م من أهم مؤلفاته: الغثيان، والوجود والعدم. انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ص(٧٠٦).

(١) هيجل: أو هيغل أعظم فيلسوف مثالي موضوعي وهو ذو الأثر الأكبر في الفكر السياسي الحديث لأنه يرى أن التطور الجدلي هو تطور الفكرة لا المادة، ولد عام ١٧٧٠م ومات عام ١٨٣١م. انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ص(٧٧٤).

(٢) فريد ريك نيتشه: فيلسوف ألماني قال بفلسفة القوة وكان له تأثير في الفكر الفاشي والنازية فهتلر طبق نظريته في القوة عملياً، ولد عام ١٨٤٤م ومات عام ١٩٠٠م من أهم مؤلفاته: هكذا تكلم زرادشت. انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ص(٧٤٠).

(٣) الفيزياء ووجود الخالق (٩٥).

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة.

«نظرية الانفجار العظيم» وهي نظرية حاول اتباعها تفسير نشأة وتكوين الكون علمياً معترفين ولابد بوجود خالق مخالفين بذلك النظريات السابقة التي تنكر الخالق.

وتلخيص هذه النظرية: «أن الكون إذا كان يتباعد، فلا بد أنه كان في يوم ما متقارباً لكن متقارباً إلى أي حد؟ تخيل هذه المجرات وهي تسير في الاتجاهِ المعاكس، تخيلها وهي تجري مقترباً بعضها من بعض وربما تتصور أنها ستكون كلها قطعة واحدة مساوية في حجمها لمجموع أحجام المجرات المكونة لها ، كما أنك إذا بنيت حائطاً من مجموعة من اللبنات فإن حجمه سيكون مساوياً لحجم اللبنات المكونة له لكن الفيزيائيين سيقولون لك: كلا، فإنها كلما اقتربت وتضامت ازدادت كتلتها فازدادت شدة جاذبتها وكلما ازدادت قوة الجاذبية ازداد التلاصق حتى تتلاشى الفراغات بين النجوم المكونة للمجرات، ثم يزداد ضغط الجاذبية على النجوم نفسها، وهكذا يستمر الضغط حتى تكون كل المادة المكونة للكون في حجم الذرة ثم يستمر الضغط إلى مالا نهاية له، فيقل الحجم إلا مالا نهاية له، أي حتى يصير لا شيء.

ولكن بما أن الزمان والمكان تابعان للمادةِ فإن زوالها يعني أيضاً زوال الزمان والمكان المصاحب لها.

وإذن فعندما بدأ هذا الكون -أي عندما كان عمره واحداً من عدة بلايين جزء من أجزاء الثانية كان ذلك قبل ١٥ بليون سنة تقريباً- كما يقول أصحاب هذه النظرية وكان حجم مادته قريباً من الصفر، ثم انفجرت هذه المادة المضغوطة وتبددت أجزاؤها في صورة إشعاع قد بدأ يبرد فتكون منه بالتدريج كوننا هذا لهذا سُمِّيت النظرية بـ « نظرية الانفجار العظيم » فهذا الانفجار أدى إلى تكوُّن لا تبدد؛ فمن الإشعاع الذي ظهر أولاً تكونت المادة، ومنها تكونت المجرات، ثم النجوم ثم الأفلاك بما فيها أرضنا »[(١)].

ماذا يقول الوحي الإلهي عن خلق الكون؟

يقول د/ زغلول النجار « وقد لخص لنا ربنا عملية خلق السموات والأرض

---

(١) الفيزياء ووجود الخالق (٨٧-٨٨).

وإفنائها وإعادة خلقها في صياغة كلية شاملة من قبل ألف وأربعمائة سنة وذلك في خمس آيات من أي القرآن الكريم على النحو التالي:

١ -﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الذاريات:٤٧].

٢ -﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء:٣٠].

٣-﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت:١١].

٤ -﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء:١٠٤].

٥ -﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم:٤٨].

وهذه الآيات القرآنية الكريمة تشير إلى عدد من حقائق الكون الكبرى والتي منها:

١-ابتداء خلق الكون من جرم أولي واحد « مرحلة الرتق الأول » .

٢-فتق هذا الجرم الأولى أي انفجاره « مرحلة الفتق الأول » .

٣-تحول المادة في الجرم الأولى عند فتقه إِلَى الدخان « مرحلة الدخان » .

٤-خلق كل من الأرض والسموات من الدخان الكوني « مرحلة الإتيان بكل من الأرض والسماء » .

٥-توسع الكون منذ اللحظة الأولى لخلقه وإِلَى أن يشاء الله.

٦-حتمية عودة الكون بكل ما فيه ومن فيه إلى جرم ابتدائي واحد مشابه تماماً للجرم الأولي الذي ابتدأ منه الخلق « مرحلة الرتق الثاني أو طي السماء أو الانسحاق الشديد للكون » .

٧-حتمية فتق هذا الجرم الثاني أي انفجاره « مرحلة الفتق للرتق الثاني ».

٨-حتمية تحول الرتق الثاني بعد فتقه إلى سحابة من الدخان الكوني.

٩-إعادة خلق أرض غير أرضنا الحالية وسموات غير السموات التي تظلنا اليوم وبداية رحلة الآخرة وهي دار الخلود »[١].

إن ما ذكره القرآن العظيم عن نشأة الكون يعطي الصورة الكلية الجامعة ويترك التفاصيل لجهود العلماء فأصبح هناك توافق بين العلم والوحي فلا يستطيع العلم وحده أن يستقل بدون الرجوع إلى الوحي الإلهي لتأكيد أو نفي ما توصل إليه العلم الحديث، وأصبح الوحي هو الحاكمَ على النظريات العلمية بالنفي أو الإثبات.

٢-نظرة الماديين لخلق الإنسان:

فسر الفيلسوف الملحد روبرت دارون (١٨٠٩) خلق الإنسان بنظريته المشهورة «بالنشوء والتطور » يفسر فيها كيف نشأ الإنسان؟! دون الاستناد إلى الوحي الإلهي في كتابه « أصل الإنسان » وخلاصة نظريته أن أصل الأنواع مبتدئ من الجوهر[٢] الفرد أو بتعبير آخر كائن وحيد الخلية -(الأميبا)- إلى كائنات متعددة الخلايا الفطريات ثم إلى كائنات نباتية تشبه الحيوان -كالهيدرا- إلى حيوان يشبه النبات كالمرجان ثم إلى حيوانات لا فقارية كالتي تعيش داخل القواقع ثم إلى حيوانات فقارية دنيا كالزواحف والأسماك والطيور ثم إلى حيوانات فقارية أرقى من سابقتها كالثديات الدنيا ثم إلى القردة الدنيا ثم إلى القردة العليا « إنسان الغاب » ثم حلقة مفقودة بين القردة العليا والإنسان[٣].

---

(١) السماء في القرآن الكريم (١٠٥-١٠٦).

(٢) الجوهر الفرد هو مصطلح عند المتكلمين وهو عبارة عن جوهر لا يقبل التجزؤ لا بالفعل ولا بالقوة ويقابله (الجوهر المركب). انظر: معجم مصطلح الأصول ص(١١) هيثم هلال، دار الجيل وانظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٣٠٢)، وانظر: المصطلح الفلسفي عند العرب د/ عبدالأمير الأعسم ص(٢٩٤)، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٣) انظر: أصل الإنسان بين العلم والفلسفة والدين د/ سامي عابدين، دار الحرف العربي ط١، ٢٠٠٦م (٣٢)، وانظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، لمؤلفه رونالد سترومبرج ص(٤٠٧)، دار القارىء العربي، وكتاب حقيقة الخلق ونظرية التطور د/ محمد فتح الله كوني، دار النيل للطباعة والنشر ط١، ٢٠٠٤م (٣٠)، والموسوعة الميسرة (٩٢٦).

نقد هذه النظرية:

١-لم تستند هذه النظرية إلى حقائق علمية بل أوهام وتخيلات أبعد ما تكون عن الحقيقة ومن أجل ذلك نقدها كثير من العلماء فيقول العالم الانجليزي آغاسيزو الأمريكي أوين « إن الأفكار الداروينية مجرد خرافة علمية وإنها سوف تنسى بسرعة [(١)].

ويقول كريس موريسوف: « إن القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئاً عن وحدات الوِرَاثَةِ « الجينات » وقد وقفوا في مكانهم حيث يبدأ التطور أعني عند الخلية»[(٢)].

٢-إن هذه النظرية تقوم على الاعتماد على الماضي السحيق في التطور والمستقبل البعيد في إكمال التطور ومعرفة الحلقة المفقودة بين القردة العليا والإنسان وحقيقة الأمر أن الماضي لم يثبت شيئاً من ذلك أبداً بدليل عدم النقل مع توفر الدواعي لنقل ذلك لو وجد، ونقض المستقبل لهذه النظرية من قبل علماء « الجينات » فضلاً عن عدم إمكانية البحث عن الحلقة المفقودة.

٣-فشل هذه النظرية في إقناع العقل البشري وقبولها ولولا الأيدي الخفية التي تلقتها وروجت لها لماتت في مهدها تقول بروتوكولات حكماء صهيون « لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ولا حظوا هنا أن نجاح داروين ماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد » [(٣)].

الوحي الإلهي وخلق الإنسان:

مر خلق الإنسان بمراحل عدة ذكرها الله ﷻ في كتابه العظيم:

١-مرحلة التراب والطين:

---

(١) الموسوعة الميسرة (٩٢٨).

(٢) العلمانية سفر الحوالي (١٨٣).

(٣) الموسوعة الميسرة (٩٢٨).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلاً ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام:٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة:٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون:١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [نوح:١٧].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ﴾ [الأنبياء:٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان:٥٤].

تفيد هذه الآيات أن آدم عليه السلام في أول مرحلة من مراحل خلقه تكون من الماء والتراب والطين بما فيها من عناصر متفاعلة: رئيسية وثانوية.

٢-مرحلة الصلصال:

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمن:١٤] قال القرطبي في تفسيره « الصلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة شبهه بالفخار الذي طبخ وقيل: هو طين خلط برمل، وقيل: هو الطين المنتن من صلَّ اللحمُ وأصلَّ إذا أنتن »[١].

٣-المرحلة الثالثة الحمأ المسنون:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر:٢٦].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٨].

قال أبو زكريا الفراء[٢] في معاني القرآن: « يريد: متغير فإن يكن كذلك فهو أيضاً مما

---

(١) تفسير القرطبي (١٧-١٥٦).

(٢) أبو زكريا الفراء: يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي الكوفي العلامة في النحو قال ثعلب عنه «لولا الفراء ما كانت اللغة»، ولد عام ١٤٤ وتوفي عام ٢٠٧هـ من أهم مؤلفاته: معاني القرآن. انظر: الأعلام (٨/ ١٤٥).

أبدلت نونه ياء ونرى أن معناه مأخوذ من السنة؛ أي لم تغيره السنون »[١] وقال القرطبي « والحمأ الطين الأسود... والمسنون المتغير قال ابن عباس: هو التراب المبتل المنتن، فجعل صلصا لا كالفخار، ومثله قول مجاهد وقتادة قالا: المنتن المتغير وقال أبو عبيدة: المسنون المصبوب وهو من قول العرب: سننت الماء وغيره على الوجه إذا صببته والسن الصب وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المسنون الرطب وهذا بمعنى المصبوب لأنه لا يكون مصبوباً إلا وهو رطب[٢].

٤-المرحلة الرابعة: نفخ الروح:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر:٢٨-٢٩].

وأما ما الروح وما طبيعتها فقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥].

ومن السنة قوله ﷺ: « استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمهُ كسرته وإن تركته لم يزل أعوجَ فاستوصواْ بالنساء »[٣].

قال ابن حجر في الفتح « قيل إن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر وقيل من ضلعه القصير، أخرجه ابن إسحاق وزاد « اليسرى من قبل أن يدخل الجنة وجعل مكانه لحم » ومعنى خُلقت أي أُخرجت كما تخرج النخلة من النواةِ»[٤].

وقال ﷺ: « إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن

---

(١) (١/١٧٢).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/ ٢٦-٢٧) .

(٣) البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته برقم (٣٣٣) فتح الباري (١/ ٤١٨) .

(٤) فتح الباري (٦-٤٢٤).

والخبيث والطيب »[١].

وورد ذكر الخلق في التوارة أيضاً وهو مما بقي فيه لم يحرف ويوافق ما ذكره الله في القرآن العظيم.

« خلق الله الرب آدم من تراب ونفخ في أنفه نفخة الحياة فأصبح آدم مخلوقاً حياً»[٢]، ويتناول كذلك خلق حواء على وجه الأرض: « لم يكن حسناً بقاء آدم وحيداً عَلَيَّ أن أصنع له معاوناً... وقام الإله الرب بوضع نوم عميق على آدم فنام آدم فأخذ ضلعاً من أضلاعه وملأ مكانه لحماً وصنع الرب من الضلع الذي أخذه حواء وجلبها لآدم »[٣].

فهذا هو الوحي الإلهي يجلي هذه المسألة بما لا مجال للشك فيها ويبين لنا كيف تكون الإنسان؟ بمرحلية معقولة وقدرة إلهية عظيمة[٤].

نظرة منكري الوحي للأخلاق :

الدين مصدر الاخلاق ولا مصدر سواه فإذا انحرفت البشرية عن الدين فهي أبعد ما تكون عن الأخلاق التي تحكم علاقات الناس، وهؤلاء المنكرون للدين لابد أن يبحثوا لهم عن قيم أخلاقية تربط علاقاتهم فنتج عن ذلك أخلاق تخدم من وضعها وتقضي على الرحمة والأخوة والعفة..، وإليكم مختصراً لما طرأ على المدنية الغربية من إتلاف وإهلاك وتدميرٍ لمجتمعاتهم بسبب بعدهم عن الدين وإنكارهم للخالق .

---

(١) أخرجه الترمذي في كتابه التفسير برقم(٢٩٥٥) (٥/ ٢٠٤) طبع بمكتبة الباز، وأبو داود في كتاب السنة برقم (٤٦٩٣) (٤/ ٢٢٢)، وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٠-٤٠٦).

(٢) التوراة التكوين (٢/ ٧).

(٣) التوراة التكوين (٢-١٨-٢١-٢٢) نقلاً عن كتاب حقيقة الخلق ونظرية التطور .

(٤) لمزيد من المعلومات انظر: حقيقة الخلق ونظرية التطور لمحمد فتح الله سولن، وكتاب أصل الإنسان د/ سامي عابدين .

١-المذهبُ النفعيُّ:

« المنفعة مذهب أخلاقي اجتماعي لا ديني يجعل من نفع الفرد والمجتمع مقياساً للسلوك وأن الخير الأسمى هو تحقيق أكبر سعادة لأكبر عدد من الناس، ثم إن صواب أي عمل من الأعمال، إنما يحكم عليه بمقدار ما يسهم في زيادة السعادة الإنسانية أو في التقليل من شقاء الإنسان بصرف النظر عن السداد الأخلاقيِّ لقاعدة ما، أو مطابقتها للوحي أو للسلطة أو للتقليد أو للحسن الأخلاقي أو للضمير، وأن اللذة هي الشيء الوحيد الذي هو خير في ذاته، والألم هو الشيء الوحيد الذي هو شر في ذاته » [1] إذاً المذهب النفعي مذهب لا علاقة له بالدين.

فالأخلاق ترتبط -في حسنها وقبحها- باللذة والألم أو بقدر ما يحققه الفعل من السعادة بصرف النظر عن توافقه مع الأخلاق أو مطابقته للدين. ويظهر المذهب النفعي جلياً في الوجودية فهم لا يؤمنون بوجود قيم ثابتة توجه سلوك الناس وتضبطه وإنما كل إنسان يفعل ما يريد وليس لأحد أن يفرض قيما أو أخلاقاً معينة على الآخرين [2].

٢-التحليل النفسي « الفرويديه ».

المدرسة النفسية التي أسسها اليهودي فرويد أثرت على أخلاق المجتمع الغربي أيما تأثير وجعلت الجنس هو الدافع وراء كل شيء وأكدت على أن القيمَ الأخلاقية والعقائد الدينية حواجز وعوائق أمام الإشباع الجنسي ومن أجل ذلك فتحت المجال أمام ممارسات غير أخلاقية بدون الشعور بالذنب بل أوهم أتباعه أن ما يقوم به من أعمال مشينة أمر طبيعي لا غبار عليه فأصبحوا يمارسون الفساد وهم يعتبرونه حقاً يُمارسونهُ، فانتشر عشق المحارم فيما بينهم وقلما تجد امرأة محافظة على عذريتها قبل الزواج بل إنه في أحد كتبه عقد فصلاً في تحريم العُذْرَة؟ فانتشر الزنا والفجور وقل الزواج ونتج عن ذلك انتشارُ الأمراض الجنسية الخطيرة ومن آخرها مرض الإيدز الذي يعتبر من أعظم آثار

---

(١) الموسوعة الميسرة (٢/ ٨٠٨).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨١٨).

الفوضى الجنسية الناتجة عن النظريات المحاربة للأخلاق والقيم النبيلة، فأصبحت نظرية الحرية الشخصية الذريعة للفوضى الجنسية والعلاقات خارج نطاقِ الزواج بل وأعظم من ذلك ظهر ما يُسمى بالمثليين، وأصبح لهم منتديات ولهم الحق في المطالبة بحقوقهم فهل حققت المدنية الغربية السعادة لشعوبها؟

٣-في المجال الاجتماعي:

أصبحت نظرية العقد الاجتماعي[1] هي البديل عن الدين في البحث عن مصدر آخر غير الدين للقيم والأخلاق الاجتماعية، وأوحت هذه النظرية إلى الناس بفكرة الوطنية والقومية وما نتج عنهما من قيم تخالف الدين، بل جعلت هذه النظرية المجموع أو العقل الجمعيَّ هو الأساسَ لا الفردَ فأصبح العقلُ الجمعيُّ[2] هو الذي يفرض القيمَ والأَخْلَاقَ وهو الذي يعتبر هذه فاضلة وهذه سيئة دون النظر إلى الفرد، فسُحِق الفرد في مقابل الجماعة وظهر صراع كبير بين الفردِ والجماعةِ كلٌّ منهما يحاول تحطيم الآخر والانتصار عبر وسائل وآليات متنوعة[3].

يقول الفيلسوف غوستاف بيلو في كتابه « دراسات في الأخلاق الوضعية » (إن الأخلاقية منظوراً إليها في واقعيتها ستكون.. مجموعة من قواعد يفرضها كل مجتمع على أعضائه)[4].

---

(١) العقد الاجتماعي: هو جملة الاتفاقات الأساسية المتضمنة في الحياة الاجتماعية وبمقتضاها يضع كل فرد شخصيته وقواه تحت إدارة المجتمع. انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية ص(١١٩)، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية١٣٩٩هـ.

(٢) العقل الجمعي: هو من الجماعة بمثابة الضمير من الفرد فيصدر أحكاماً مباشرة على القيم الأخلاقية لأعمال معينة، يرضى، ويسخط، ويحبذ، أو يثور ويتألم، وقد قال به دروكايم فذهب إلى أن الظواهر الاجتماعية أمور تنشأ خارج الفرد وتفرض نفسها عليه. انظر: المعجم الفلسفي ص(١٢١).

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصره (٤٨٠).

(٤) تاريخ الفلسفة اميل برهيية الفلسفة الحديثة (٢٧١).

٤-في المجال السياسي:

اعتمد منكرُوا الوحي الإلهي في مجال الحكم والسياسة على النظرية الميكافيلية[١] في كتاب الأمير: « وهي تقوم على ثلاثة أسس متلازمة مستمدة من تصور لا دينيٍّ صِرْفٍ وهي:

١-الاعتقاد بأن الإنسان شرير بطبعه وأن رغبته في الخير مصطنعةٌ يفتعلها لتحقيق غرض نفعي بحت، وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لوم إذا انساق وراءها.

٢-الفصل التام بين السياسة وبين الدين والأخلاق فقد رسم ميكافيلي للسياسة دائرة خاصة مستقلة بمعاييرها وأحكامها وسلوكها عن دائرة الدين والأخلاق وفرق مكيافيللي تمام التفريق بين دراسة السياسة ودراسة الشؤون الأخلاقية وأكد عدم وجود أي رابط بينهما.

٣-أن الغاية تبرر الوسيلة: وهذه هي القاعدة العملية التي وضعها مكيافيللي بديلاً عن القواعد الدينية والأخلاقية »[٢] فالسياسة بهذه النظرية لا تعرف الأخلاق بل تعرف المصلحة فلا ضير في سحق شعب كامل من أجل تحقيق مصلحة ما، ولا حرج من نشر الفسوق والمجون في المجتمع لتحقيق منفعة معينة، ولا إنكار لإباحة الربا وسحق الفقراء بل الأفضل لهم أن يموتوا لأن البقاء للأقوى كما تقول هذه النظرية، فأصبح المجتمع الغربي المنكر للوحي الإلهي منهاراً في أخلاقه وقيمه فاسد الفطرة، محطم الأسرة فاقداً للأمن وصلت الجريمة منه إلى معدلات مخيفة تشير إلى سقوط هذه المدنية في وقت قريب إن لم يتدارك العقلاء منهم أمرهم ويرجعوا إلى الدين الحق .

---

(١) مكيافيللي نيقولا: إيطالي اشتهر بفلسفته الميكافيلية التي صاغها في كتابه الشهير (الأمير)، وهو أول من أسس للوطنية فمبدأه أن كل شيء يهون من أجل الوطن، ولد عام ١٤٦٩م ومات عام ١٥٢٧م. انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة (٢/ ١٣٣٥) .

(٢) العلمانية د/سفر الحوالي ص(٢٢٦).

۞ المطلب الثالث: الآثار المدمرة للمدنية الغربية:

أذكر في هذا المطلب بعض الآثار الخطيرة على المجتمع المادي المنكر للوحي الإلهي الذي نعتبره نحن المسلمين عقوبة إلهية.

١-الأثر النفسي: أصابت المدنية الغربية الملحدة أتباعها بالحيرة والقلق والاضطراب والشك الدائم مما أدى بهم إلى الانتحار في بعض الأحيان، وهذا الاضطراب وتلك الحيرة يذكرها ويصورها شاب أوروبي معاصر يروي معاناتِهِ ومعاناة جيله كله: « لقد تميزت العقود الأولى من القرن العشرين بالفراغ الروحي لقد أصبحت جميع القيم الأخلاقية التي أَلِفَتْها أوروبا عدة قرون غير ذات شكل مقرر ومحدود وذلك بفعل الفظائع التي كانت قد حدثت ما بين عام (١٩١٤-١٩١٨)، ولم يكن يبدو أن مجموعة جديدة من القيم ستفرض نفسها، لقد كان في الجو شعور من الهشاشة والخطر وإحساس مسبق بالجيشان الاجتماعي والعقلي جعل المرء يشك فيما إذا كان من الممكن أن يكون هناك مرة أخرى استقرار في أفكار الإنسان ومساعيه كان كل شيء يبدو كأنه يسيل في فيضان غير منتظم ولم تستطع الحيرة الروحية لدى الشباب أن تجد لنفسها موطئ قدم وبسبب فقدان المقاييس الأخلاقية الموثوق بها لم يستطع أحد أن يقدم إلينا -نحن الشباب- أجوبة مرضية عن كثير من الأسئلة التي كانت تحيرنا كان العلم يقول: «المعرفة هي كل شيء» ونسي أن المعرفة دونما هدف أخلاقي لا يمكن أن تؤدي إلاَّ إلى الفوضى والغموض »[(١)].

يقول بوسكة وزميله عن مشكلة الإنسان المعاصر:

« أين أنا؟ في أي عصر؟ وفي أي وضع ما زلت مشتبكاً؟ أهناك ما يربطني بالماضي والمستقبل وبالآخرين من أهل عصري؟ هل يمكن أن يجلب لي ذلك شيئاً ما؟ وبكلمة واحدة: أين مكاني؟ »[(٢)].

---

(١) العلمانية (٤١٣).

(٢) العلمانية (٤١٢).

ومن الطبيعي أن ينتج عن هذه الحالة النفسية المضطربة الحائِرَةَ وفي خضم الحياة الغربية الصناعية التي لا ترحم الفقير والعاجز وفي ظل تحطيم الأسرة وتفككها الرهيب كثر الانتحارُ . يقول تقرير كتبه أحد الأطباء الاجتماعيين في فينا « وقد لوحظ أن النساء أكثر محاولة من الرجال ففي عام ١٩٤٨ كان عدد المحاولات في النساء ٣٨١ وهذا يوافق ٥٨.٦١٪ من المجموع ... وفي عام ١٩٥٦م كان العدد ٥٩٠ أي بنسبة ٥٦.٧٣٪ وفي عام ١٩٥٩م كانت النسبة ٥٥.٩٢٪ كما لوحظ أن نسبة المحاولات في الفتيان والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ عاماً و ٢٠ عاماً ترتفع باستمرار فعند الفتيان كانت النسبة في عام ٤٨-٦.٠٥٪ وفي عام ١٩٥٦م ٦.٥٣٪ وفي عام ١٩٥٩م ٦.٨١٪ وأما عند الفتيات فالتصاعد مخيف ففي عام ١٩٤٨ حاولت ٥٠ فتاة الانتحار وهذا يشكل نسبة ٧.٦٩٪ من مجموع محاولات الانتحار في ذلك العام وفي عام ١٩٥٦م حاولت ٨٩ فتاة الانتحار وهذا يشكل نسبة ٨.٥٥٪ وفي عام ١٩٥٩ حاولت ١٥٠ فتاة الانتحار وهذا يعني نسبة ١٤.٢٠٪ وهذا يعني أن كل تسعة أيام توجد ست محاولات انتحار أربع منها من جانب الفتيات واثنتان من جانب الفتيان »[١].

أما إحصاءات الانتحار في قائدة المدنية الغربية ومعلمة البشرية الديمقراطية والحرية أمريكا فتقول الإحصائية: « نحن نعتقد أن الرقم المسجل رسمياً لمجموع حوادث الانتحار « ٣٠.٠٠٠ » في العام الواحد أقل من الرقم الحقيقي لحوادث الانتحار في أمريكا إن ثلث الأشخاص الذين شملتهم هذه الدراسة قالوا إنهم قد فكروا جدياً في الانتحار، وكثير من هؤلاء أفادوا بأنهم قد فكروا في الانتحار في أكثر من مناسبة واحدة.. النساء يفكرن فيه أكثر من الرجال لكن الكثير من الرجال يتجاوزون مرحلة التفكير فيه إلى التنفيذ إنهم يقتلون أنفسهم بأنفسهم.. كثير من حوادث الانتحار المسجلة رسمياً كانت لأشخاص كبارٍ في السن، وبعض هؤلاء الأشخاص قد فقد المساعدة من أولاده أو أصدقائِهِ... إن ما يقارب نصف المشاركين في هذه الدراسة قالوا إنهم لو يسألون عن آرائهم حول انتحار كبار السن فإن الإجابة ستكون كالتالي: إذا ما كان

---

(١) العلمانية (٤٣٧).

الوالدان يعانيان من أمراض قد تودي بحياتهم فإننا سنساعدهم عليه »[١].

٢-تحطم نظام الأسرة:

لاشك أن الأسرة تمثل اللبنة المهمة للمجتمع فإذا تحطمت الأسرة فمعنى ذلك تحطم المجتمع وبالتالي زواله وهذا ما يحدث في المدنية الغربية التي تزعم أنها تحافظ على نظام الأسرة في ظل إلحادٍ جارف وحرية ليس لها حدود « يقول تقرير (U S . A TOAY) تشهد معظم مناطق العالم اليوم اندثار العائلة التقليدية « أب وأم وأولاد » فقد شهدت الفترة ما بين ١٩٦٠م- ١٩٩٢م تضاعف عدد الأمهات من دون زواج من اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين ٢٠-٢٤ عاماً، بل تضاعف عدد الأمهات بدون زواج اللواتي تتراوح أعمارهن ما بين ١٥-١٩ عاماً أربع مرات وتأتي الولايات المتحدة في المرتبة السادسة من قائمة البلدان الرائدة في هذا المجال... وتتعرض القيم العائلية لهجوم شرسٍ اليوم بسبب برامج الحكوماتِ التي تشجع العَزوف عن تكوين عائلات، وليس أيضاً بسبب ما تطرحه وسائل الإعلام من أفكار تحط من مكانة الأسرة في نفوس الناس، ولكن بسبب النظام الاقتصادي في حد ذاته ذلك أنه لن يسمح ببقاء الأسرة في قالبها القديم بحيث يكون هناك أب يجلب معظم دخل العائلة وأم تقوم بمعظم واجبات السهر على الأولاد، وقد انقرضت العائلات بعائل واحد من الطبقة الوسطى »[٢] يعزو التقرير التدهور الأخلاقي إلى أسباب اقتصادية وهذا خطأ كبير وتجاهل مقصود لدور القيم التي يمكن أن تحميَ المجتمعَ والأسرةَ من التدهورِ.. وهذا ناتج عن الفكرِ الماديِّ الملحدِ.

وهذا تقرير آخر عن « (NEWS WEEK) يتحدث عن الوضع في أوروبا.

« في السويد أكثر من نصف عدد الأطفال يولدون خارج إطار الزواج الشرعي، أما في فرنسا وإنجلترا فإن كل طفل من بين ثلاثة يولد بواسطة أبوين غير متزوجين.. وفي

---

(١) يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة تأليف جيمس باترسون، وبيتر كير (١٠٦-١٠٨).

(٢) مجلة المجتمع عدد (١٢٥) (١٧/ ١/ ١٤١٨هـ) (٢٠/ ٥/ ١٩٩٧م).

الدنمارك فإنه نظراً لتفشي ظاهرة التعايش بين الآباء الوحيدين والأمهات الوحيدات أخذت دوائر الإحصاء تعتبرهم أزواجاً بغض النظر عن عدم مشروعية العشرة القائمة بينهما تحت سقفٍ واحدٍ، أما في أيرلندا فإن عدد الأمهات غير المتزوجات في المدن أعلى بكثير من عدد الأمهات المتزوجات، وأصبحت ظاهرة وجود أمهات غير متزوجات أمراً عادياً جداً في كافة أنحاء القارة الأوروبية والأمر المثير للجدل أن معظم الآباء بدون زوجات أخذوا يطالبون بأن يعاملوا بالمساواة مع النساء في معارك احتضان الأولاد »[(١)].

وفي إحصائية أخرى في كتاب الانفراط العظيم لعالم السياسة الأمريكي فوكوياما يقول: « إن الدول الاسكندنافية هي الأعلى في نسبة التفكك الأسري، وهي الأعلى أيضاً في نسبة التوحد إذ إن خمسين بالمائة من البيوت صارت تتكون من شخص واحد، بل إنه في مدينة أوسلو « عاصمة السويد » بلغت النسبة ٧٥٪ »[(٢)].

٣-ارتفاع معدل الجريمة:

« تشير الإحصاءات الرسمية للجريمة في أمريكا نوعاً من الشك لدينا لأن الأرقام التي توصلت إليها دراساتنا في هذا العدد تزيد بنسبة ٦٠٠٪ عن إحصاءات الجريمة المسجلة رسمياً لدى الجهات المختصة إن نسبة ٣٩٪ من شعب الولايات المتحدة قد مارسوا أنواعاً مختلفة من الجريمة في حياتهم... إن أكثر من نصف الشعب الأمريكي ٦٠٪ كانوا ضحية للجريمة مرة واحدة في حياتهم على الأقل وبالطبع أكثر من نصف الشعب ٥٨٪ كانوا ضحية للجريمة مرتين أو أكثر »[(٣)].

أورد الأستاذ مختار المسلاتي في كتابه « أمريكا كما رأيتها » يقول في الولايات المتحدة كل ١٠ ثوان يتم السطو على بيت، ومن كل ثلاث عائلات أمريكية عائلة تأثرت مباشرة بأحد الجرائم الخطيرة سنوياً مما ينتج عن ذلك مجموعة كبيرة من الإصابات القاتلة أو

---

(١) مجلة المجتمع العدد (١٢٥٠) (١٣/ ١/ ١٤١٨هـ) (٢٠/ ٥/ ١٩٩٧م).

(٢) مجلة البيان عدد (١٤٣).

(٣) يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة ص(١٤١).

سبب إعاقة بدنية شاقة لأصحابها »[1].

ووفقاً لإحصائيات أصدرها صندوق الدفاع عن الأطفال في الولايات المتحدة الأمريكية فإن ١١ أمريكياً تحت ٢٠ عاماً يقتلون كل يوم كما أنه يتم اعتقال ٢٣٧ أمريكيا دون سن ١٨ عاماً كل يوم لارتكابهم جرائم عنفٍ، وفي عام ١٩٩٦م وحدهُ قتل أكثر من ٣٤ ألف أمريكي بواسطة الأسلحة النارية ، وتؤكد دراسة أخرى مثيرة إلى أن عدد حوادث العنف في إنجلترا وويلز كان يتفوق على عددها في الولايات المتحدة بين عامي ١٩٨١و ١٩٩٦م وهو يصل الآن إلى الضعف »[2].

إن معدلات الجريمة الرسمية في الولايات المتحدة وصلت نسبتها إِلَى ٦٠٠٪ إن هذه النسبة مروعة ومفزعة ونسبة ٦٠٪ من كانوا ضحية للجريمة »[3].

---

(١) مجلة المجتمع عدد (١١٨١) ٤ شعبان ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

(٢) مجلة المجتمع عدد (١٣٦٤- ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

(٣) السقوط من الداخل ص(٢٦).

۞ المطلب الرابع: شهادات غربية على سقوط المدنية الغربية:

١-ألف الجنيرال المتقاعد في الجيش الأمريكي: هاميلتون هوز كتاباً أسماه « السقوط التراجيدي » .. أمريكا عام ٢٠٢٠م.

يقول المؤلف في الفصل الأخير في كتابه: « لقد رسمت صورة كئيبة ومحزنة لأمريكا من خلال فصول هذا الكتاب.. ولست الوحيد في الميدان الذي يقول: إن الولايات المتحدة تمر بوضع محرج وخطير في تاريخها، وأجد نفسي مضطراً لأن أردد ما قاله لورانيس جولد: « أنا لا أعتقد أن الخطر الأكبر الذي يُهدد مستقبلنا يتمثل في القنابل النووية أو الصواريخ الموجهة آلياً، ولا أعتقد أن نهاية حضارتنا ستكون بهذه الطريقة، إن الحضارة الأمريكية ستزول عندما نكون عديمي الاهتمام وغير مبالين وعندما تموت العزيمة على إبقاء الشرف والأخلاق في قلوب الرجال » وما قاله أرنولد تونبي أيضاً تأكيده على أن معظم الحضارات التي عرفها الإنسان قد سقطت من الداخل ولم تسقط لأن قوى خارجية استولت عليها إن أمريكا من عام ١٩٩٢م تواصل انحدارها وانحرافها اجتماعياً وأخلاقياً.. إن الولايات المتحدة الآن تعيش في حالة غير طبيعية من الاشمئزاز والقرف وخيبة الأمل وليس السبب في هذا كله الحكومة وحدها بل إن الشعب أيضاً أسهم بشكل كبير في هذا الانحدار الخطير. إنه سقوط ولكن من نوع آخر»(١).

٢-يقول روجيه جارودي في كتابه « حفارو القبور » لا تظن الحداثةُ أن العلم والتقنية هما المعاييرُ الوحيدةُ للتقدم يقودنا دين الوسائل هذا إلى الهاوية، حفاروا القبور هم هؤلاء الذين يرفعون له هكذا يحفرون بلا تبصر قبورنا ليس للحياة معنى إلا بالاعتقاد في وجود إله »(٢).

---

(١) السقوط من الداخل (٨٣-٩٥).

(٢) حفار القبور ص(١١).

٣-يقول الأمير تشارلز -ولي عهد بريطانيا- في محاضرة ألقاها في قاعة المؤتمرات بوزارة الخارجية البريطانية في ديسمبر عام ١٩٩٦م: « إن المادية المعاصرةَ تفتقر إلى التوازن وأضرار عواقِبِهَا بعيدةُ المدى وفي تزايد .. »[١].

٤-يقول الدكتور الكسيس كاريل في كتابه: « الإنسان ذلك المجهول »

« إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم » ويقول أيضاً: « الحضارة آخذة في الانهيار لأن علوم الجهاد قادتنا إلى أرض ليست لنا فقبلنا هداياها جميعاً بلا تمييز ولا تبصر ولقد أصبح الفرد ضعيفاً متخصصاً فاجراً غبياً غير قادر على التحكم في نفسه ومؤسساته » .

ويقول: « إننا قوم تعساء لأننا ننحط أخلاقياً وعقلياً .. »[٢].

٥-يقول ول ديورانت في كتابه: « مباهج الفلسفة »

« وثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنا خطرة لأننا أغنياء في الآلات فقراء في الأغراض وقد ذهب اتزان العقل الذي نشأ ذات يوم من حرارة الإيمان الديني وانتزع العلم منا الأسس المتعالية لأخلاقنا ... »[٣].

٦-يقول مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفرد بأمريكا الأستاذ/ بيتريم ساروكين في كتابه الثورة الجنسية حيث يقرر أن أمريكا سائرة بسرعة إلى كارثة في الفوضوية الجنسية ويقول بالحرف « إننا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يخرق كل غرفة من بناء ثقافتنا وكل قطاع من حياتنا العامة .. »[٤].

---

(١) مجلة المجتمع عدد (١٣٩٨- ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

(٢) مجلة البلاغ عدد (١٢٧٤) ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(٣) مجلة البلاغ عدد (١٢٧٤).

(٤) مجلة البلاغ عدد (١٢٧٤).

وبهذه الشهادات لسقوط المدنية الغربية القائمة على تلبية حاجات الجسد دون الروح وما تلبيه للجسد يكون بدون قيود وأعراف سَقَطَتْ في محل الضياع والأمراض وعاش ويعيش ابن هذه المدنية في حال قلق واضطراب وحيرة وشك لا يدري كيف أتى؟ وإلى أين سوف يذهب؟ إنها الحيرة والضياع الكبير جعلت العقلاء منهم يصرخون لتقويم هذه المدنية قبل فوات الأوان ولكن الحل العظيم يتمثل في الرجوع إلى الدين الحق إلى الإسلام لو كانوا يعلمون.

المبحث الثالث: إثبات الوحي الإلهي

وفيه ثلاثة مطالب:

۞ المطلب الأول: تعريف الوحي وأنواعه:

أولاً: تعريفه:

الوحي: قال ابن عبدالبر في تعريف الوحي « والوحي ما يوحي الله إلى نبي من أنبيائه فيثبت الله ما أراد من الوحي في قلب النبي فيتكلم به النبي فيكتبه فهو كلام الله ووحيه ولكنه يكون سر غريب بين الله وبين رسله ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتمونه أحداً ولا يأمرون بكتمانه ولكنهم يحدثون به الناس حديثاً ويبينون لهم أن الله عز وجل أمرهم أن يبينوه للناس ويبلغونهم إياه ومن الوحي ما يرسل الله من يشاء من ملائكته فيوحيه وحياً في قلوب من يشاء من أنبيائه ورسله »[(١)] وقال أبو المظفر السمعاني[(٢)]: «الوحي في اللغة إلقاء الشيء إلى النفس خفية وهو في عرف أهل الإسلام عبارة عما ينزله الله تعالى على الأنبياء»[(٣)].

ثانياً:

أما أنواع الوحي وحالاته فقد أوضحها الله في القرآن العظيم والرسول ﷺ في سننه، ونجمعها في النقاط التالية:

١-يُقذف في روع النبي شيء لا يمتري فيه أنه من الله ﷻ كما كان يحدث مع النبي ﷺ.

---

(١) المرجع: الاستذكار (٨/ ٦٦)، وانظر كذلك فتاوى ابن تيمية (١٢/ ٣٩٧)، وانظر: فتح الباري (١/ ١٤).

(٢) أبو المظفر السمعاني: منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الشافعي المذهب مفسر من أهل الحديث مفتي خرسان ولد عام ٤٢٦ ومات عام ٤٨٩هـ ومن أهم مؤلفاته: تفسير السمعاني. انظر: الأعلام (٧/ ٣٠٣)، وطبقات الشافعية (٥/ ٣٣٥) .

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ٢٨٤).

٢-أن يكلم الله أنبياءه بدون ترجمان من وراء حجاب كما كلم الله موسى عليه الصلاةُ والسلامُ وكما كلم الله محمداً ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

٣-نزول جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية أوْ على صورة بشر على النبي ﷺ ونزول الملائكة على الأنبياء قبل محمد ﷺ.

٤-الرؤيا المنامية التي يراها النبيُّ ويوقن أنها وحيٌ من الله تعالى كما في حال إبراهيم حين ابتلاه اللهُ بذبح ولده إسماعيلَ عليهما الصلاة والسلام(١).

---

(١) انظر: فتح الباري (١/ ٣٧)، والموسوعة الميسرة (٢، / ١١٧٠).

۞ المطلب الثاني: تفسير الوحي لدى مُنكِريه:

إن الذين ينكرون الوحي الإلهي هم الذين لا يعترفون بالخالق ﷻ ويرون أَنَّ المعرفةَ مَحْسُوسَةٌ لا تتجاوزُ مَا وَرَاءَ المادة وأن مصدر الأديان والمعتقدات هو الإنسان ولا شيء غيره خارجاً عنه وقد فسرواْ هذا المصدر الإنسانيَّ للعقائد والأديان بتفسيرين:

أحدها: يرى أنَّ مصدرها العَقْلُ.

والثاني: يرى أن مصدرها العاطفة والوجدان وكلا التفسيرين مرتبط بالواقع فلا مجال لما وراء المحسوس، فالإنسان والطبيعة هما مصدرا المعرفة، وأما الوحي فهو وهم وخيال وخِدَاعٌ لا يمكن معرفةُ الحقيقَةِ عن طريقه.

وهذا ما عليه الفلسفةُ: المعاصرةُ كالوجوديَّةِ (والبراجماتية)[(١)][(٢)] وغيرهما ولهم في ذلك شبهة وهي

أن المعرفة حسية فلا تدرك إلا بالمحسوس والوحي غيب لا يُدرك بالحواس ولذا اعتبروه وهماً وخيالاً:

والرد عليهم من عدة وجوه:

١-أن إثبات الوحي لا يتوقف على مجرد الإدراك الحسي وإنما يتوقف على العلم بأن النبي صادق أو كاذب وهذه طريقة الاستدلال العقلي.

٢-لا يُسلم لهم بأن المعرفة محصورة بالمحسوسات بل هي أوسع من ذلك فالعلم المعاصر ينكر هذه النظرية أشد الإنكار يقول أدوار لوثر كسبل: « وهكذا أثبتت البحوث

---

(١) البرجماتية: لفظ قديم استعمله بيرس في أخريات القرن الماضي وأراد به أن معيار الحقيقة هو العمل المنتج لا مجرد التأمل النظري، وهو مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملاً، وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة . انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية ص(٣٢)، وانظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٨٣٢) .

(٢) انظر: الله والدين والإنسان ص(٤٧٥).

العلمية -دون قصد- أن هذا الكون بداية فأثبتت تلقائياً وجود الإله »[١].

وقال جينز الفلكي الرياضي: « الكون لا يقبل التفسير المادي في ضوء علم الطبيعة الجديد وسببه -في نظري- أن التفسير المادي قد أصبح الآن فكرة ذهنية »[٢].

بل إن الدراسات العلمية أثبتت مصادر للمعرفة تعتمد على النفس البشرية مثل « الشعور بين الأفراد عن بعد » والتنويم المغناطيسي، فتحقق للعلماء نتيجةً لتطور التحليل النفسي إلى أن معرفة العالم الخارجي قد تصل إلى الإنسان عن طريق مصادر أخرى غير أعضاء الحس[٣].

وبهذا تكون المعرفة غير محصورة في الحواس بل الحواس جزء من المعرفة في محيطه ، والعقل جزءٌ من المعرفة في قدرته ثم ما خرج عن محيطِ الحواسِّ والعقلِ يكون عن طريق الوحيِ الإِلَهيِّ وبالتالي يؤكد العلم المعاصر على إمكانية الوحيِ الإلهيِّ وأن المعرفة البشرية لا تنحصر في التجربة بل تتجاوزها إلى غيرها.

٣-تقرير إمكان الاستدلال على الحقائِقِ الغيبية بالأدلة العقلية والوحي حقيقة غيبية فقد ذكر أهل العلم الأدلة العقلية على وجود الله وعلى وجدانيته وعلى صفاته وعلى إثبات البعث والجزاء ثم على صدق النبي ﷺ وتقرير ذلك: أن من المقرر أن من افترى على الله بالوحي لابد أن يعاقبه فإقرار الله للنبي وتأييده له بالمعجزات والبراهين دليل على صدقه[٤].

---

(١) الإسلام يتحدى ص(٥٠).

(٢) الدين في مواجهة العلم ص(٧٥).

(٣) انظر: الفكر المادي الحديث (٥٧٠)، وما بعدها، وانظر: المعرفة للزنيدي ص(٥٢٥)، وما بعدها.

(٤) المعرفة للقرني ص(١٢٤).

۞ المطلب الثالث: أدلة صدق الوحي يكون من عدة وجوه:

١-ما تم إقراره في الفقرة السابقة من أن المعرفة البشرية لا تقتصر على المحسوس بل تتجاوزه إلى الوحي الإلهي وأن العلم المعاصر أكد هذا الأمر من خلال التجارب العلمية ولا أعني بهذه العبارة أن التجارب العلمية وسيلة من وسائل إثبات الوحي وإنما أُريد أن أُؤكد أن التجارب العلمية الصحيحة لا يمكن أن تخالف ما جاء به الوحي الإلهي الذي يعتبر مصدراً من مصادر المعرفة.

٢-إن ما جاء به الأنبياء من العدل والرحمة والدعوة إلى الفضيلة والخير وصلاح الناس والنهي عن الظلم والشر وكل ما يضر الناس يتوافق مع فطرهم ويحقق لهم الأمن.

٣-لم يرسل الله نبياً بالوحي إلا ومعه من الدلائل ما يقتضي التصديق بنبوته، فموسى عليه السلام فلق الله له البحر وأنقذه من فرعون وقومه، وعيسى عليه السلام كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى بإذن الله ومحمد ﷺ أيده الله بالقرآن العظيم والمعجزة الباقية وغيرهم من الأنبياء والرسل كلٌ أيده الله بما يؤكد على نبوته.

٤-إقرار أصحاب الرسل على مر العصور بالوحي دليل على وقوعه إذ لا يمكن أن يتواطأ الجم الغفير من البشر على مر العصور مع اختلاف الألسن على إثبات الوحي وهو وهم وخيال، فهذا مما يمنعه العقل ولا يقره أحدٌ من البشر.

٥-إن إنكار الوحي يترتب عليه ضياع حق المظلوم ممن ظلمه إذا مات المظلوم ولم يأخذ حقه، وبالتالي يترتب على ذلك الفوضى الأخلاقية الكبيرة ويزداد تسلط الظالم على المظلوم وما ينتج عن ذلك من ضياع حقوق الناس فلا ناصر لهم في الدنيا لأخذ حقهم ولا ناصر لهم في الآخرة ممن ظلمهم ولا يعاقب الظالم أبداً فكيف تستقيم الحياة بهذه النظرة ؟.

٦-دلالة أحوال النبي ﷺ على صدقه، إذ الأنبياء أصدق قومهم ألسنة، وأحسنهم خلقاً وأرحمهم قلباً وأنصحهم لقومهم يصبرون ولا ينتقمون ممن ظلمهم فأحوالهم تشهد بصدقهم ولا يطلبون مالاً ولا جاهاً سمتهم التواضع ولين الجانب.

٧-الدين ضرورة لتوجيه الإنسان في سلوكه وتنظيم جماعته وأكبر دليل على ذلك فشل أصحاب النظريات المادية في توجيه أخلاق الإنسان وتنظيمه بدليل ما وصلت إليه المجتمعات الغربية من انهيار كبير في أخلاقها وسلوكها وهذا ما تم توضيحه في المبحث السابق فلا داعي لإعادته وبالتالي تصل البشرية إلى نتيجة حتمية أن الوحي الإلهي هو الطريق الوحيد لإقرار الأخلاق وتنظيم السلوك وتحديد العلاقة بين الخالق والمخلوق وما بين المخلوق والكون والإجابة عن كثير من الأسئلة التي يعجز العقل البشري والعلم المعاصر عن الإجابة عنها والواقع أكبر شاهدٍ على ذلك.

المبحث الرابع: أدلة النبوة المحمدية ﷺ

يعيش المسلمون في زمن يُهَيْمِن عليه المنهج العقلي الواقعي في تقبل القضايا والحكم عليها بالصحة والفساد بمنظور برهاني عقلي يعتمد على الإقناع بسرد الأدلة القاطعة التي لا تحتمل معنى آخر ،ومن تلك القضايا المطروحة إثبات نبوة محمد ﷺ بالبرهان والدليل القاطع لأن الكفار إذا أثبت لهم المسلمون صحة نبوة محمد ﷺ كان عليهم لزاماً الدخول في الإسلام لمن يبحث منهم عن الحق أما من أعماهُ الحقد والحسد واتبع هواه فلا مجال للحديث معه ولو أتيت له بالأدلة القاطعة الجازمة على نبوته ﷺ فلمن أراد الحق نذكر الأدلة القاطعة الصادقة على نبوته ﷺ وهي:

❖ **أولاً: القرآن العظيم:**

القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المكتوبُ في المصاحف المنقول بالتواتر منه بدأ وإليه يعود سبحانه.

قال ابن تيمية: « فإن قولهم منه بدأ أي هو المتكلمُ به وهو الذي أنزله من لدنه ليس هو كما تقول الجهمية أنه خلق في الهوى أو غيره أو بدأ من عند غيره.

وأما إليه يعود فإنه يسرى به في آخر الزمانِ من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة ولا في المصاحف منه حرف »[(١)].

أوجه أن القرآن كلام الله أنزله على نبيه محمد ﷺ :

أ-الذي أتى بالقرآن من عند الله هو محمد ﷺ بشرٌ مثلهم أمي لا يقرأ ولا يكتب عاش يتيم الأب والأم تجاوز الأربعين من عمره ولم يكن معروفاً بالخطابة والشعر بل كان يعمل بالتجارة والتجار أبعد الناس عن الشعر والخطابة في الغالبِ فلما جاءهم به أجمع العرب على فصاحته وبلاغته وعجزوا أن يأتوا بمثله فهذا دليل عقلي مقنع لمن أراد الحق على أن القرآن كلام الله وليس كلام محمد ﷺ .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٤).

ب-تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله في ستة مواضع من كتاب الله:

١-قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص:٤٨-٥٠] موضع الشاهد قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص:٤٩] فتحدى الله ﷻ المشركين أن يأتوا بمثل القرآن العظيم والتوراة لأن الضمير في قوله تعالى: منهما يرجع إلى التوراة والقرآن[1] وهذا التحدي يتوجه في بادي الأمر إلى جانب الهداية كما قال تعالى: « أهدى منهما » والتوراة كلام الله ولكنَّ القرآن تكفل الله بحفظه بخلاف التوراة والتوراة سابقة على القرآن مبشرة بالرسول محمد ﷺ وهو الرحمة المهداة وهو ﷺ إمام الهدى ولا هداية إلا عن طريقه ﷺ فهذه الآية تذكير لليهود وتحدٍ للعرب.

٢-قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود:١٣-١٤].

٣-قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس:٣٨-٣٩].

٤-قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

٥-قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري (١٠/ ٨٢) دار الكتب العلمية، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي (٤/ ١٨٠) دار إحياء التراث العربي.

صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور:٣٣-٣٤].

فهذه آيات التحدي في القرآن العظيم يتحدى الله فيها البشرية منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا أن يأتوا بكتاب مثله أو بعشر سور مثله أوسورة مثله أو بأقل سورة أو بحديث مثله قل هذا الحديث أو كثر ولم يأت أحد فهذا دليل العجز البشري وسببه أن هذا القرآن ليس من كلام البشر بل هو كلام الله الحق المبين إذ لو كان كلام البشر لما أعجزهم أن يأتوا بمثله مع توفر الدواعي لذلك ومنها داعي التحدي والمثلية فلما عجز ذلك العصر أي عصر النبوة لأنه عصر البلاغة والفصاحة ومن أتى بعدهم عالة عليهم هم الأصلُ وغيرهم الفرعُ والتبع دل على أن ما سواهم أعجز عن ذلك.

٦-قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء:٨٨].

أما الآية السادسة فذكر بعض أهل العلم أنها ليست من آيات التحدي بل خبرٌ لا يتضمن تحدياً قال ابن تيمية: « ومحمد ﷺ أخبر بهذا في أول أمره إذ كانت هذه الآية في سورة (سبحان) وهي مكية صدرها بذكر الإسراء الذي كان بمكة باتفاقِ الناس، وقد أخبر خبراً وأكده بالقسم عن جميع الثقلين، إنسهم وجنهم أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله بل يعجزون عن ذلك وهذا فيه آيات لنبوته:

منها: إقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة بأنهم لا يفعلونَ هذا بل يعجزون عنه وهذا لا يقدم عليه من يطلب الناس أن يصدقوه إلا وهو واثقٌ أن الأمر كذلك إذ لو كان عنده شك في ذلك لجاز أن يظهر كذبه في هذا الخبر فيفسد عليه ما قصده وهذا لا يُقدم عليه عاقل، مع اتفاق الأمم؛ المؤمن بمحمد ﷺ والكافر به على كمال عقله ومعرفته وخبرته إذ ساس العالم سياسةً لم يسسهم أحد بمثلها .

ثم جعله هذا في القرآن المتلو المحفوظ إلى يوم القيامة الذي يُقرأ به في الصلوات ويسمعه العام والخاص والولي والعدو؛ دليلٌ على كمال ثقته بصدق هذا الخبر وإلا لو كان شاكاً في ذلك لخاف أن يظهر كذبه عند خلق كثير بل عند أكثر من اتبعه ومن عاداه وهذا لا يفعله من يقصد أن يصدقه الناس فمن يقصد أن يصدقه الناس لا يقول مثل هَذَا

ويظهر هذا الإظهار ويشيعه هذه الإشاعة ويخلده هذا التخليد إلا وهو جازم عند نفسه بصدقه، ولا يتصور أن بشراً يجزم بهذا الخبر إلا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق، إذ علم العالم بعجز جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة هو من أعظم دلائل كونه معجزاً وكونه آية على نبوته، فهذا من دلائل نبوته من أول الأمر عند من سمع هذا الكلام وعلم أنه من القرآن الذي أمر ببلاغه إلى جميع الخلق وهو وحده كاف في العلم بأن القرآن معجز. دع ما سوى ذلك من الدلائل الكثيرة على أنه معجز، مثل عجز جميع الأمم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة فلما كانت دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة عُلم بعجز الأمم عند معارضته وهذا برهان ثان يعلم به صدق هذا الخبر وصدق هذا الخبر آية لنبوته غير العلم بأن القرآن معجز فإن ذلك آية مستقلة لنبوتِهِ وهذِهِ آية ظاهرةٌ باقيةٌ إلى آخر الدهر معلومة لكل أحد وهي من أعظم الآيات [(١)] .

جـ-اختص الله القرآن الكريم بالحفظ فعصمه من التحريف الذي وقع في الكتب السابقة قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾ [الحجر: ٩]. فبقاء القرآن العظيم إلى يومنا هذا سالماً من التحريف دليل على إعجازه وأنه كلام الله ومما يؤكد هذا المعنى قوله ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) [(٢)] قال ابن حجر في توجيه الحديث إلى هذا المعنى أي حفظ الله للقرآن الكريم من التحريف ومن أجل بقائه دون تحريف كان الرسول ﷺ أكثر الأنبياء تابعاً قال ابن حجر: « المراد أنَّ معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى قيام الساعة »[(٣)] .

د-الإعجاز بما ورد في القرآن العظيم من أمور غَيْبية لا يعلمها بشر: ومنها

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/٤٠٨-٤١٠).

(٢) البخاري كتاب فضائل القرآن (٤٩٨١)، ومسلم كتاب الإيمان (١٥٢).

(٣) فتح الباري (١/٧).

١-أن الروم ستغلب الفرس في بضع سنين قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾ [الروم: ١-٥] مع العلم أن الفرس في ذلك الوقت كانوا ظاهرين أقوياء والروم في ضعف وذِلَّةٍ يقول المؤرخ إدوارد جين « في ذلك الوقت حين تنبأ القرآن بهذه النبوءة لم تكن تبؤة أبعد منها وقوعاً لأن السنين الأثنتي عشرة الأولى من حكومة هرقل كانت تؤذن بانتهاء الإمبراطورية الرومانية [1] .

٢-الإخبار بموت أناس على الكفر من صناديد أهل مكة مثل الوليد بن المغيرة في سورة المدثر (٦٧)، وأبي لهب في سورة المسد، والعاص بن وائل كما في سورة مريم ووقع كما أخبر القرآن فمات الوليد كافراً وأبو لهب والعاص بن وائل ولو أن أحدهم أعلن إسلامه -ولو ظاهراً- ليكذب الرسول ﷺ لأدى ذلك إلى التشكيك في خبره ﷺ ولكنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفِهِ تنزيل العزيز الحكيم .

٣-قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝﴾ [القمر: ١٧] وهذه الآية دالة على إعجاز القرآن وأن القرآن ميسر لمن أراد حفظه فهو أيسر كتابٍ في العالم يحفظ وأكبر دليل على ذلك كثرة الحفظة للقرآن العظيم في مشارق الأرض ومغاربها بل إن الأعجمي الذي لا يعرف العربية يحفظه عن ظهر قلب بتجويد وترتيل وكأنه عربي فإذا سألته عن اسمه لم يجب إلا عن طريق المترجم فسبحان من يسر القرآن للذكر والحفظ .

هـ-الإعجاز العلمي المذهل لعلماء العلوم الطبيعية في جميع المجالات ومنها:

١-في مجال الطب يقول البروفيسور « كيت ل.مور » في محاضرة بعنوان « مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة » لقد أسعدني جداً أن أشارك في توضيح هذه الآيات والأحاديثِ التي تتحدث عن الخلق في القرآن الكريم والحديثِ الشريفِ ويتضح لي أن هذه الأدلة حتماً جاءت لمُحَمَّدٍ من عند الله لأن كل هذه المعلومات لم تكتشف إلا حديثاً

---

(١) الإسلام يتحدى (١٣٣) .

وبعد قرون عدة وهذا يثبت لي أنَّ محمداً رَسُولُ الله [١] .

٢-في مجال البحار مع العلم أن الرسول ﷺ لم يرد أنه رأى البحر في حياته ولا رَكِبَ سفينة في البحر قال تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝﴾ [الرحمن: ١٩-٢٠] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١] وقد اكتشف علماء البحار أنه إذا التقى بحران تختلف نسبة الملوحة فيهما فإنهما لا يختلطان [٢] .

وغيرها من الحقائق العلمية في مجال الطب والفلك والبحار وسنن الله الكونية فلم يتعارض القرآن الكريم مع الحقائق العلمية أبداً وقد عقد « موريس بوكاي » وهو من المهتمين بمقارنة الأديان مقارنة بين الكتب السماوية والمعارف الحديثة وكان مما قاله فيما يتعلق بالقرآن « تناولت القرآن منتبهاً بشكل خاصٍّ إلى الوصف الذي يعطيه عن حشد كبير من الظاهرات الطبيعية لقد أذهلتني دقة بعض التفاصيل الخاصة بهذه الظاهرات وهي تفاصيل لا يمكن أن تدرك إلا في النص الأَصْلِيِّ أذهلتني مطابقتها للمفاهيم التي نملكها اليوم عن نفس هذه الظاهرات والتي لم يكن ممكناً لأي إنسان في عصر محمد ﷺ أن يكون له عنها أدنى فكرة [٣] ومن خلال الإعجاز العلمي يتضح لكل منصف طالبٍ للحق أن القرآن كلام الله وليس كلام محمد ﷺ .

و-الإعجاز اللغوي:

يقول الخطابي[٤]: « إن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجات البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح الغريب السهل ومنها الجائز الطلق الرسل فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة وأخذت من كل نوع شعبة

---

(١) مجلة الإعجاز العلمي العدد الأول ص(٥١) .

(٢) انظر: كتاب توحيد الخالق لمؤلفه عبدالمجيد الزنداني (٢/ ٩٢) .

(٣) انظر: المعرفة للقرني ص(١٣٩) .

(٤) حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان الحافظ اللغوي الشافعي المحدث الفقيه ولد عام ٣١٩هـ ومات عام ٣٨٨هـ من أهم مؤلفاته: معالم السنن وبيان إعجاز القرآن. انظر: الأعلام (٢/ ٢٧٣)، وسير أعلام النبلاء(١٧/ ٢٣) .

فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع بين صفتي الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد من نعوتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعاً من الوعورة فكان اجتماع النوعين في نظمه مع نبوِّ [ارتفاع] كل واحد منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن ليكون آيةً بينة لنبيه ﷺ [(١)].

قال ابن تيمية: « نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الخطابة ولا الرسائل ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق »[(٢)].

ومن أجل هذه البلاغة والإعجاز أسر القرآن القلوب قبل العقول فعندما تسمع القارىء يقرأ القرآن يأسر قلبك وينشرح له الصدر وتستبشر له النفس فله حلاوة ولذة ومهابة وروعة، روي عن نصراني أنه مر بقاريء يقرأ القرآن فوقف يبكي فقيل له: مم بكيت؟ قال: للشجا والنظم[(٣)] والشجا: الحزن. والجن لما سمعوا القرآن أثر فيهم وأسلموا قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝﴾ [الجن: ١-٢] .

شهادات غربية عن القرآن الكريم:

١-يقول د.فيليب حتي: « إن الإسلوب القرآني مختلف عن غيره ثم إنه لا يقبل المقارنة بأسلوب آخر ولا يمكن أن يقلَّدَ وهذا في أساسه هو إعجاز القرآن. فمن بين جميع المعجزات كان القرآن المعجزة الكُبْرَى »[(٤)] .

٢-يقول دمي كاستري: « .. إن العقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن

(١) إعجاز القرآن للخطابي ص(١٤) .

(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٤٣٣) .

(٣) رسالة خاتم النبيين ص(١٨٠) .

(٤) قالوا عن الإسلام ص(٥٨) .

رجل أُمِّيٍّ وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى. آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب ﷺ فآمن برب قائلها، وفاضت: « عين نجاشيِّ الحبشةِ بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة زكريا[١] وما جاء في ولادة يحيى وصاح القسس أن الكلام وارد من موارد كلام عيسى عليه السلام ... لكن نحن معشر الغربيين لا يسعنا أن نفقه معاني القرآن كما هي لمخالفته لأفكارنا ومغايرته لما ربيت عليه الأمم عندنا، غير أنه لا ينبغي أن يكون ذلك سبباً في معارضة تأثيره في عقول العرب. ولقد أصاب « جان جاك روسو » حيث يقول: « من الناس من يتعلم قليلاً من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه ولو أنه سمع محمداً ﷺ يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة وصوته المشبع المقنع الذي يطرب الآذان ويؤثر في القلوب .. لخر ساجداً على الأرض وناداه: أيها النبي رسول الله خذ بيدنا إلى مواقف الشرف والفخار أو مواقع التهلكة والأخطار فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار » ... وكيف يعقل أن النبي ﷺ ألف هذا الكتاب باللغة الفصحى مع أنها في الأزمان الوسطى كاللغة اللاتينية ما كان يعقلها إلا القوم العالمون..ولو لم يكن في القرآن غير بهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوبِ[٢] .

٣-يقول د/ أحمد سوسه: « إن معجزة القرآن الكريم هي أكثر بروزاً في عصرنا الحالي عصر النور والعلمِ مما كانت عليه في الأزمنة التي سادَهَا الجهلُ والخُمُولُ[٣] .

---

(١) هكذا في النص والصحيح، سورة مريم .

(٢) قالوا عن الإسلام ص(٦٢).

(٣) المرجع السابق ص(٧٢).

❖ **ثانياً: مضمون الرسالة المحمدية تدل على نبوته ﷺ وذلك من عدة وجوه:**

الوجه الأول: أنه يستحيل على بشر مهما كانت قدراته العقلية أن يأتي بما جاء به محمد ﷺ من الأحكام والتشريعات العظيمة في جميع شؤون الحياة حتى في أبسطها ومما يُستحى من ذكره وهي إتيان الرجل أهله وقضاء الحاجة وكيفية الاغتسال كلها بينها ووضحها ﷺ فضلاً عن القضايا الكبرى من علاقة المسلم مع غيره والجهاد وصفاء وراحة النفس أسبابها وموانعها كل ذلك بينه ﷺ دون تناقض وتعارض فهذا دليل على أنها من عند الله ﷻ قال رَحْمَةُ الله الهندي[١] : « مَنْ نظر إلى ما اشتملت شريعته الغراء عليه مما يتعلق بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والآداب والحكم علم قطعاً أنها ليست إلا من الوضع الإلهي والوحي السماوي وأن المبعوث بها ليس إلا نبياً »[٢].

الوجه الثاني: موافقة ما جاء به ﷺ للرسالات السابقة:

قال ابن تيمية: « النبوة في الآدميين هي من عهد آدم فإنه كان نبياً وكان بَنُوهُ يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار وقد علم جنس ما يدعو إليه الرسل وجنس أحوالهم، فالمدعي للرسالة في زمن الإمكان إذا أتى بما ظهر به مخالفته للرسل عُلم أنه ليس منهم وإذا أتى بما هو من خصائص الرسل عُلم أنه منهم لاسيما إذا علم أنه لابد من رسول منتظر، وعُلم أن لذلك الرسول صفات تميزه عمن سواه »[٣].

فالذي أتى به محمد ﷺ يتفق مع ما جاء به إخوانه الأنبياء وأهل الكتاب يعلمون ذلك والتوافق واضح في جميع الجوانب في العبادات والمعاملات والأخلاق وأصول التشريعات قال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩] وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ

---

(١) رحمة الله بن خليل الهندي الحنفي باحث وعالم بالدين والمناظرة مات عام ١٣٠٦م من أهم مؤلفاته: إظهار الحق. انظر: الأعلام (٣/ ١٨).

(٢) إظهار الحق ص(١٨٠).

(٣) شرح الأصفهانية (٩٣).

وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشورى:١٣].

وقال تعالى مبيناً إتفاق الأنبياء في نبذ الشرك ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف:٤٥].

وأما فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق والوصايا الجامعة التي جاء بها الأنبياء جميعاً ويتفق عليها كل صاحب فطرةٍ سليمةٍ ولا ينكرها إلا أفاك أثيم مطموس على عقله فمذكورة مثلاً في سورة الأنفال من ١٥٠-١٥٣ وفي سورة الأعراف من آية ٢٩-٣٢ وفي سورة الإسراء من آية ٢٣-٣٩.

ومما يؤكد إقرار النصارى بذلك ما ورد في قصة النجاشي لما قرأ عليه جعفر بن أبي طالب أول سورة مريم ليبين قول الإسلام في المسيح فقال النجاشيُّ بعد سماعِهِ للقرآن: «إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ»[(١)].

وما ورد كذلك من شهادة ورقة بن نوفل لما سمع قصة غار حراء ونزول جبريل على رسول الله بالوحي فقال ورقة: «هذا الناموس الذي نزله الله على موسى... الخ»[(٢)].

فما تضمن في رسالة محمد ﷺ من العقائد والمعاملات والأخلاق والتشريعات والعبادات جاء بها الأنبياء قبله ولذلك فالمسلمون يعتقدون بصدق جميع الأنبياء ولا ينكرون نبوة أحدٍ منهم قال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة:١٣٦] فالإسلام يجعله عقيدة الإيمان بالأنبياء قبل النبي ﷺ ولكنه يؤمن بالتفاضل بينهم قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٢٠١-٢٠٣) من حديث أم سليم وقال صاحب الفتح الرباني الحديث صحيح وقد حَسَّنَ إسناد القصة د/ أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة (١/ ١٧٤).

(٢) صحيح البخاري (١/ ٥) كتاب بدء الوحي ومسلم (١/ ١٣٩-١٤٥).

[البقرة:٢٥٣] وأفضلهم هُوَ محمد ﷺ كما قال « ما من بني آدم فمن سواه إلا تحت لوائي » (١).

قال ابن تيمية: « فمن أقَرَّ بجنس الأنبياء كان إقراره بنبوة محمد في غاية الظهور، أبين ممن أقَرَّ أن في الدنيا نحاةً وأطباءَ وفقهاءَ فإذا رأى نحو سيبويه وطب أبقراط وفقه الأئمة الأربعة ونحوهم كان إقراره بذلك من أبين الأمور، ولهذا كان من نازع من أهل الكتاب في نبوة محمد: إما أن يكون لجهله بما جاء به وهو الغالب على عامتهم أو لعناده وهو حال طلاب الرياسة بالدين مِنْهُمْ، والعرب عرفوا ما جاء به محمد فلما أقروا بجنس الأنبياء لم يبق عندهم في محمد ﷺ شك، وجميع ما يذكره الله في القرآن من قصص الأنبياء يدل على نبوة محمد بطريق الأولى إذ كانوا من جنس واحد ونبوته أكمل فينبغي معرفة هذا فإنه أصل عظيم » (٢).

الوجه الثالث: موافقة ما جاء به للفطرة السليمة والعقل السليم وهذا تم توضيحه في الفصل الأول إلا أني أوكد هنا هذا الأمر بالاستشهاد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ﴾ [النساء:١٢٥].

قال ابن القيم: « وهذا احتجاج منه على أَنَّ دين الإسلام أحسنُ الأديان بما تضمنه مما تستحسنه العقولَ وتشهد به الفطر وأنه قد بلغ الغاية القصوى في درجات الحسن والكمال » (٣) وأخيراً قال حكيم العرب في جاهليتهم أكتم بن صيفي عن النبي ﷺ : « إن الذي يدعو إليه لو لم يكن دِيناً لَكَانَ في أخلاقِ العرب حَسَناً » (٤).

الوجه الرابع: إخبارهُ ﷺ بأمور من الغيب وقعت كما أخبر ﷺ مع أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتبُ وأمور الغيب ظهور الكذب فيها ظاهر وبين فهل يُجازف من يدعي أنه نبي يأتيه الوحي من السماء وهو يعلم في قرارة نفسِهِ أنه كاذبٌ بالإخبار بأمور من الغيب ما

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٨٧)، وأحمد في المسند (١/ ٥)، وصححه د/ أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٧٦).

(٢) النبوات (١/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ١٠).

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ١٨٠).

يلبث أن يتضح أنه فيها كاذب حاشا محمداً ﷺ أن يكون كاذباً بل ما أتى به وحي من الله فوقع كل ما أخبر به وما لم يقع سيقع كما وقع الذي قبله ومنها:

١-قوله ﷺ: « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تُضيءُ أعناق الإبل ببُصرى »[(١)][(٢)] وقد وقع ذلك في سنة أربع وخمسين وستمائة ٦٥٤هـ كما ذكر ذلك ابن كثير في تاريخه[(٣)] وذكر ابن تيمية أنه قد تواتر عن أهل بُصْرَى أنهم رأوا ببصرى أعناق الإبل في ضوء تلك النار، فخبر هذه النار مشهور متواتر بعد أن خرجت بجبال الحجاز وكانت تحرق الحجر ولا تنضج اللحم وفزع الناس لها فَزَعاً شَدِيداً[(٤)].

٢-قوله ﷺ لابنته فاطمة إنها أول أهله لحوقاً به بعد وفاته ﷺ وقد كان ذلك[(٥)] قال النووي: « هذه معجزة ظاهرة له ﷺ بل معجزتان فأخبر ببقائها بعده وبأنها أول أهله لحاقاً بِهِ ووقع كذلك »[(٦)].

٣-عن عوف بن مالك قَالَ: « أتيت النبي في غزوة تبوك وهو في قبة من أَدم فقال: « اعدد ستاً بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس..»[(٧)].

وقد وقع ما أخبر به ﷺ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة خمس عشرة من الهجرة.

٤-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: « ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكل أصابَهُ غبارُهُ »[(٨)].

---

(١) بصرى بلد بالشام وهي حوران . انظر: الفتح (١٣/ ٨٦) .

(٢) البخاري كتاب الفتن رقم (٧١١٨)، ومسلم كتاب الفتن رقم (٢٩٠٢).

(٣) تاريخ ابن كثير (١٣/ ١٨٧-١٩١).

(٤) الرد على المنطقيين ص(٤٤٦).

(٥) صحيح البخاري كتاب المناقب ص(٢٦٢٤)، ومسلم (١/ ١٩٠٥).

(٦) شرح مسلم للنووي (١٦/ ٥).

(٧) البخاري كتاب الجزية باب ما يحذر من القدر (٣١٧٦).

(٨) رواه أبو داود في سننه كتاب البيوع باب اجتناب الشبهات (٣/ ٦٢٧).

وقد وقع ما حذر منه ﷺ من فشو الربا في هذا الزمان بعد ظهور المصارف العامة وتعاملها بالربا ووضع الناس أموالهم فيها وارتباط تلك المصارف مع المصارف العالمية اليهودية التي قامت على أساس الربا مما يجعل من لا يتعامل بالربا لابد أن يصيبه منه غُبَارُهُ كما قال المصطفى ﷺ.

❖ ثالثاً: دلالة أحواله وأوصافه على نبوته ﷺ:

وهو ما يعرف بالمسلك الشخصي للأنبياء وذلك في أخلاقهم وصدقهم وآدابهم وما وهبهم الله من جاذبية الناس إليهم وبغضهم للدنيا والرياسة وحبهم للتواضع ولين الجانب وحرصهم على دخول الناس في الإسلام وبذلهم في سبيل ذلك كل ما يملكون يعيشون عيشة المساكين كما كان خاتمتهم محمد ﷺ قد كمل في أحواله وأوصافه يُجِلُّهُ من نظر إليه ﷺ وينصت إليه إذا تكلم ﷺ رحمة للخلق كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧] ويمكن أن نجعل الأدلة الدالة على نبوته من أحواله وأوصافه في الأوجه التالية:

الوجه الأول: صدقه.

الصدق صفة مدحٍ وكمالٍ في الرجال،والكذب صفة ذمٍ ونقص في ا لرجال يأبى الرجل المشرك أن يعرف بالكذب فكيف بمن أرسله الله رحمة للعالمين ومن تأمل سيرة المصطفى ﷺ قبل البعثة وبعدها علم علماً ضرورياً أنه صادق في دعواه النبوة بل إنه كان يُعرف عندهم بالصادق الأمين فإنه لما جمع قريشاً عند الصفا حينما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء:٢١٤] قال لهم ﷺ : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً قال: فإني نذير لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديدٍ.. »[1].

فشهد له بالصدق ألد أعدائه بل إن هرقل شهد له بذلك فقال لأبي سفيان

---

(١) البخاري كتاب التفسير (٤٧٧٠)، مسلم كتاب الإيمان (٢٠٨).

«وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله »(١) ومن دلائل صدقه ﷺ قصة الإفك فقد مَكَثَ ﷺ شهراً كاملاً والمنافقون في المدينة يلوكون في عرضه ﷺ وهو بشر مثل غيره يتألم وفي من؟ في أحب الناس إليه عائشة بنت من؟ بنت أحب الرجال إليه أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلو لمْ يكن صادقاً لقال لهم أنزل عليَّ آيات من ربي في براءة عائشة من أول ما سمع المنافقين يتقولون على عائشةَ فتأخُّرُ الوحي شهراً دليلٌ على صدقه ﷺ . قال الماوردي: « لم يزل ﷺ مشهوراً بالصدق في خبره ناشئاً وكبيراً حتى صار بالصدق مَرْمُوقاً وبالأمانة مَوْسُوماً وكانت قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الإسلام فجهروا بتكذيبِهِ في استدعائهم إليه.. ولو حفظوا عليه كِذْبه نادرة في غير الرسالة لجعلوها دَلِيلاً على تكذيبه في الرسالة ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم، ومن عُصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم »(٢).

قال ابن تيمية: « وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس، قد تقترن به قرائن يعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عرف صدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا من هو من أصدق الناس أو من أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دُونَ الثاني! فإذا كان العلم بصدقه بلا آية قد يكون علماً ضرورياً فكيف بالعلم بكون الآيةِ علامةً على صدقه »(٣).

إن مجرد النظر إلى وَجْهِهِ ﷺ يدل على صدقه كما قال عبدالله بن سلام: « فلما تأملت وجهه واستثبته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب »(٤).

---

(١) البخاري كتاب بدء الوحي (١/ ٤٢) برقم (٦). ومسلم كتاب الجهاد والسير جـ٣ ص(١١١٧) برقم (١٧٧٣).

(٢) أعلام النبوة ص(٢١٢).

(٣) النبوات (٢/ ٨٨٨).

(٤) الترمذي كتاب صفة القيامة رقم (٣٤٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح ،وأحمد في المسند (٥/ ٤١٥)، وابن ماجه في صحيح كتاب الأطعمة رقم (٣٢٥١).

الوجه الثاني: أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب.

إن ما أتى به محمد ﷺ من أمر النبوة والعلم بالملائكة وصفتهم وبالجنة والنار وصفتها وما يحصل بعد الموت مما أيدهُ عليه أهل الكتاب مِنْ [مثلاً] إثبات عذاب القبر وغير ذلك يدل على نبوته ﷺ إذ لا يمكن لرجل لا يقرأ ولا يكتب يأتي بها تحار فيه العقول، وبعلوم لا يعلمها أهل عصره فهو ﷺ تجاوز عصره بما أتى من علم فكيف نفسر هذه الظاهرة؟ إذا لم نصدقه أنه نبي من الله يأتيه الوحي من السماءِ قال ابن القيم في تعليقه على قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يونس:١٦].

« الحجة الثانية: أني قد لبثت فيكم عمري إلى حين أتيتكم به وأنتم تشاهدونني وتعرفون حالي وتصحبونني حضراً وسفراً وتعرفون دقيق أمري وجليلهُ وتحققون سيرتي هل كانت سيرة من هو مِن أكذب الخلق وأفجرهم وأظلمهم؟ فإنه لا أكذب ولا أظلم ولا أقبح سيرة ممن جاهر ربه وخالقه بالكذب والفِرية عليه وطلب إفساد العالم وظلم النفوس والبغي في الأرض بغير حق، وهذا وأنتم تعلمون أني لم أكن أقرأُ كتابا ولا أخطه بيميني ولا صاحبت من أتعلم منه، بل صحبتكم في أسفاركم لمن تتعلمون منه وتسألونه عن أخبار الأمم والملوك وغيرها ما لم أشارككم فيه بوجهٍ، ثم جئتكم بهذا النبأ العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين وعلم ما كان وما سيكون على التفصيل، فأي برهان أوضح من هذا؟ وأي عبارة أفصح وأوجز من هذه العبارة المتضمنة له »[١].

الوجه الثالث: اجتماع جميع صفات الكمال البشري في شخصِهِ ﷺ.

عرف العرب حاتماً بالكرم والأحنف بن قيس بالحلم وعنترة بن شداد بالشجاعة وأكثم بن صيفي بالحكمة فجاء محمد ﷺ فجمع هذه الصفات كلها فتجاوز الجميع بكرمه وحلمه وشجاعته وحكمته ورحمته بأمته، فمنِ الذي اجتمعت فيه كل هذه الصفات غير محمد ﷺ ؟ لقد حاز السبق فيها النبي الكريم ﷺ ولم يُعرف في التاريخ أن رجلاً جمع الله له

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٧٠-٤٧٢).

جميع صفات الكمال بدرجة واحدة إلا محمد ﷺ وإخوانه الأنبياء قبله ولكن نبينا الكريم ﷺ جمع من أكمل الكمال وأتم الله به البنيان، فلا نبي بعده فجمع الله له هذه الصفات على أفضلها وأعلاها فجاء نادرة في زمانه ودرة في صفاته فلا شبيه له من بني جنسه فلم يوجد على ظهر الأرض من جمع له من محاسن الأخلاق وكثرة الفضائل ما جمع لرسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم:٤] ويقول محمد الصادق عرجون: « وهذا التكافؤ الخُلقي في شخصية محمد ﷺ يوشك أن يكون معجزة الحياة.. لأن التاريخ لم يذكر من النماذج العليا للبشر من كان هذا التكافؤ الخُلقي خليقته العامة سوى الرسل وعلى رأسهم أولو العزم ويجمع سيدنا محمد ﷺ هذا التوازن بأبهى صورة.. وهكذا تتفرق النهاياتُ في الأخلاق والفضائِل في نماذج متعددةٍ ولكنها تجتمع متكافئة في شخصية محمد ﷺ وهذا هو سر الإعجاز الإنساني في حياته »(١).

الوجه الرابع: شهادة هرقل لنبوته:

عن ابن عباس أن أبا سفيان أخبره أن هرقل سأله عن النبي ﷺ وأحواله لما جاءه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام قال أبو سفيان ثم كان أول ما سألني عنه أنه قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت لا. قال: فهل كان من آبائه من ملكٍ؟ قلت لا. قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت لا. قال: فهل يغدر؟ قلت لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة قال: فهل قاتلتموه ؟ قلتُ: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سِجَالٌ ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان: قل له:

---

(١) رسالة خاتم النبيين محمد ص(٣٢٠).

١-سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

٢-وسألتك هل قال أحدٌ منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا، فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقولٍ قيل قبله.

٣-وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أنْ لا. قلت: فلو كان من آبائه من ملكٍ قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

٤-وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أنْ لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

٥-وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل.

٦-وسألتك أيزيدون أَم ينقصون؟ فذكرتَ: أنهم يزيدونَ وكذلك أمر الإيمان حتى يَتِمَّ.

٧-وسألتك أيرتد أحدٌ سخطةً لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت: أنْ لا وكذلك الإيمان حين تخالطه بشاشة القلوب.

٨-وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أنْ لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

٩-وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة.

١٠-وسألتك: بِمَ يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميَّ هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لِقَاءَهُ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه » [1].

(١) سبق تخريجه ص(٢).

هذه الأسئلةُ من هرقل دليل على أنه صاحب علم بصفات وأحوال الرسل فأراد أن يتثبت من أبي سفيان عن حاله ﷺ فلما تيقن من صدقه ﷺ أيقن أنه نبيٌّ صادق وليس بدعيٍّ كاذب ولكن منعه حب الرياسة والجاهِ من اتباعه والإيمان به ﷺ .

❖ رابعاً: النصر والعاقبة الحسنةُ للنبي وأوليائه من بعده ﷺ .

إن نصر الله للأنبياء وأتباعهم من بعدهم سنةٌ إلهية لا تتبدل أبداً قَالَ تَعَالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝﴾ [الحج:٤٠] وإن أولى الرسل بالنصر هو خاتمهم محمد ﷺ وأمته من بعده ولكن جعل الله للنصر شروطاً قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝﴾ [النور:٥٥] قال ابن تيمية: « كل من كان أتم إيماناً بالله ورسله كان أحق بنصر الله »[١] وقال ابن تيمية: « ومن آياته: نصر الرسل على قومهم وهذا على وجهين:

الوجه الأول: يكون بإهلاك الأمم وإنجاء الرسل وأتباعهم...

الوجه الثاني: ظهور برهانه وآياته، وأنه أظهره عليهم بالحجة والعلم[٢].

والوجه الثاني جليٌّ وظاهر في جانب الرسول محمد ﷺ وأمته من بعده حيث أظهر الله هذه الأمة بالحجة والعلم والبرهان العظيم المتمثل في القرآن الكريم إلى أن يرفعه الله يوم ألا يكون في الأرض أحدٌ يقول الله الله وكذا في جانب إهلاك أعدائهم ونصرهم عليهم وإنجاء المسلمين ،وإن بقاء هذا الدين منصوراً وأتباعه ظاهرين من أعظم الأدلة على صدق الرسول ﷺ . قال ابن تيمية: « إن ظهور دين محمد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها أعظم حادث في الأرض فلم يُعرف دين قط انتشر ودام كانتشاره ودوامه »[٣].

---

(١) الجواب الصحيح (٢/ ١٧٩).

(٢) النبوات (١/ ٢٠٥-٢٠٩) بشيء من التصرف.

(٣) الجواب الصحيح (٥/ ١٨٩).

❖ **خامساً: الآيات الدالة على نبوته ﷺ :**

قال ابن تيمية: « فآيات الأنبياء هي علامات وبراهين من الله تتضمن إعلام الله لعباده وإخباره »(١) وقال ابن تيمية: « ومن خصائص معجزات الأنبياء، أنه لا يمكن معارضتها فإذا عجز النوع البشري غير الأنبياء عن معارضتها كان ذلك أعظم دليل على اختصاصها بالأنبياء »(٢) وقال ابن تيمية: « والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة ومتنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميها من النظار «معجزات » وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان » (٣).

إن مما يريد توضيحه شيخ الإسلام في معنى المعجزة.

١-أنها إعلام من الله وإخبار لعباده أن هذا رسول أرسلته فأطيعوه.

٢-أن هذه المعجزة لا يمكن معارضتها من قبل غير الأنبياء فهي مختصة بهم وحدهم فلا يمكن لِأَحَدٍ أن يأمر القمر فينشق، ولا يقلب العصا حية حقيقةً.

٣-وجوب الالتزام بالألفاظ الشرعيَّةِ وعدم استبدال مصطلحات مستوردة أو مؤلفة بها، فالمعجزة مصطلحها الشرعيُّ الآيةُ أو البرهانُ أو البينةُ، فلا بد من الالتزام بالمصطلحات الشرعية الواردة في الكتاب والسنة.

كيف تدل هذه الآيات على نبوته ﷺ ولم يتيسّر لكل أحدٍ مشاهدتها؟

يُجاب على هذا السؤالِ من خلالِ ثلاثةِ أمورٍ:

١-الطرق التي أثبتنا بها وجود الله وأنه أرسل رسله ومنهم وآخرهم محمد ﷺ -

---

(١) النبوات (٢/ ٧٧).

(٢) النبوات (٢/ ١٩٥).

(٣) الجواب الصحيح (٥/ ٤١٢).

وهي طرق ضرورية حتمية- ولم نشاهد الله، وكثير من أتباع الرسل لم يشاهدوهم فهؤلاء اليهود اليوم لم يشاهدوا موسى وهؤلاء النصارى اليوم لم يشاهدوا عيسى، ومع ذلك فهم مقرون بها بأنهما رسولان من الله ﷻ وكذا المسلمون لم يشاهد أكثرهم محمداً ﷺ ومع ذلك فاليهود مقرون بآيات موسى من قلب العصاحية وفلق البحر وهم لم يشاهدوا ذلك، والنصارى مقرون بآيات عيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والابرص وهم لم يشاهدوا ذلك، فكذلك آيات محمد ﷺ يجب الإقرار بها على أنها براهين تدل على نبوته ولو لم يشاهدها أكثر أهل الأرض قياساً على إخوانه الأنبياء قبله فمن أنكر براهين محمد يلزمه إنكار آيات موسى وعيسى وسائر الأنبياء؟ ومن أقر بآيات وبراهين موسى وعيسى وسائر الأنبياء لزمه الإقرار بآيات محمد ﷺ الدالة على نبوته.

٢-أن هذه المعجزات والبراهين الدالة على نبوته ﷺ خارقة للسنن الجاريةِ وغير مقدورة لغير الأنبياء بدلالة أن الله لم يمكن للكاذبين المدعين للنبوة أو المدعين خلاف السنن من السحرة والكهان أن يأتوا بمثل ما أتى به الأنبياء، وأكبر دليل على عجزهم وأن الفرق كبير بين أعمال السحرة وآيات الأنبياء آية موسى عليه السلام مع سحرة فرعون فما هو السبب الذي جعل السحرة يؤمنون بموسى وهارونَ؟ السبب أنهم فرقوا بين معجزة موسى وما عندهم من السحر وهم أعلم بالسحر ممن يأتي بعدهم.

٣-إن طرق المعرفة غير محصورة في النظر أو اللمس بل طرق المعرفة أوسع من ذلك ولا يمكن لعاقل أن يحصر طرق المعرفة في المحسوسات والمشاهد بالبصر إِذْ أَنَّهُ يشكك في أكثر الضروريات لأن عمر الإنسان محدودٌ والمعارف تتجاوزُ حدودَ الزمن بل إن الإنسان أي إِنْسَانٍ سَوَاءٌ أكان ملحداً أو مقراً بوجود خالق، يقر هذا الإنسان بوجود روح تبعث فيه الحياةَ ولكنه (وهي بين جنبيه) هل شاهدها أو مسها بيده؟ الجواب واضح فكذلك آيات وبراهين نبوته ﷺ تعلم عن طريق الأخبار التي نقلت إلينا ومن كثرتها إفادة العلم اليقيني بوقوعها...ومن الآيات الدالة على نبوته ﷺ:

١-إنشقاق القمر: قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ [القمر:١-٢] عن ابن مسعود قال: « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ

فرقتين: فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله : اشهدوا »[١].

انشقاق القمر آية عظيمة للنبيِّ الكريم ﷺ شاهدها عامة الناس وتواترت بها الأخبار والرسول الكريم ﷺ يقرأ سورة القمر في المحافل ويسمعه كل الناس ولم ينقل أن أحداً كذبه أو اعترض عليه والكافرون والمنافقون المتربصون به ﷺ كثير هم من أحرص الناس على تكذيبه وتنفير الناس منه ﷺ فدل ذلك على صدقه[٢].

٢-الإسراء والمعراج: قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١] وقوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم:١٢-١٨].

أما أحاديث الإسراء والمعراج فثابتة بالتواتر[٣]:

٣-حنين الجذع على بعد النبي ﷺ عنه: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يَدَهُ عَلَيْهِ » وفي لفظ آخر عن جابر رضي الله عنه وفيه « فلما صُنع له المنبر فكان عليه ﷺ فسمعنا لذلك الجِذْعِ صوتاً كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت »[٤].

٤-نبع الماء من بين أصابعه ﷺ وتكثيره: روى البخاري في صحيحه سبعة أحاديث تدل على هذه الآية منها « عطش الناس يوم الحديبية.. قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ به

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير باب وانشق القمر (٨/ ٤٨٣ ومسلم.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١/ ٤١٨) (٦/ ١٥٩-١٦٤).

(٣) ذكر هذه الأحاديث السيوطي في كتابه « قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواتر » ص(٢٦٣) رقم (٩٦)، وكذا ذكره الكتاني في كتابه « نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص(٢٠٧) رقم (٢٥٨)، وقال: «مجموع رواته خمسة وأربعين صحابياً » .

(٤) وهي أحاديث متواترة ذكرها السيوطي في كتابه من عشرة أنفس ص(٦٢٨) رقم (٩٨)، والكتاني ص(٢٠٩) رقم (٢٦٣).

ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده ﷺ في الركوة فجعل الماءُ يثور بين أصابعِهِ كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألفٍ لكفانا كنا خمسة عشر مائة» [١].

قال القرطبي: « وإذا تأمل العاقل والمنصف هذا الباب علم أن نبينا محمداً ﷺ أوتي مثل معجزة موسى، التي هي نبع الماء من الحجر وزاد عليه نبع الماءِ من بينِ أصابعِهِ .. من اللحم أعجب من انفجاره مِنَ الحِجَارَةِ » [٢] .

٥-لجوء الجمل إلى النبي ﷺ يشكو مالكه وعيناه تدمعان فمسح عليه ﷺ فسكن وانتصر له من مالكه الذي آذاهُ[٣].

٦-كَانَ في مَكَّةَ حجر يسلم على رسول الله قبل البعثة[٤].

٧-تكثيرُ الطعامِ ببركة يَدِهِ الشريفة ﷺ كما في قصة أم سليم[٥].

فهذه بعض آياته ﷺ الدالة على نبوته ولا يمكن حصرها في هذه العجالة وقد ذكر النووي في مقدمة شرح مسلم أنها تزيد على الألف ومائتين وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل وقد اعتنى بجمعها جماعة من الأئمة كأبي نُعيم والبيهقي وغيرهما تحت عنوان « دلائل النبوة » [٦].

---

(١) صحيح البخاري كتاب المناقب (٦/ ٦٧١) الفتح وانظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص(٢١٢) رقم (٢٦٥).

(٢) الإعلام ص(٣٥٢).

(٣) حديث متواتر ذكره السيوطي في كتاب « قطف الأزهار » ص(٢٦٦) رقم (٩٧)، وذكره الكتاني في كتابه نظم المتناثر (٢١٥) رقم (٢٦٩).

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ (٤/ ١٧٨٣).

(٥) صحيح البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام فتح الباري (٦/ ٦٧٩) .

(٦) انظر: فتح الباري (٦/ ٥٨٣).

❖ سادساً: بشارات الكتب السابقة به ﷺ :

القرآن الكريم أشار إلي أن في كتب أهل الكتاب بشاراتٍ بالنبي محمد ﷺ وما قاله القرآن حق ويقين أثبته الواقع اليوم من كتب القوم على ما فيها من تحريف ولكنَّ الله أبقى وسلم من التحريف النصوص المبشرة به ﷺ برغم حقد القوم علينا وحرصهم على إثبات كذب النبيِّ ﷺ وهذه دلالة أيضاً على نبوته ﷺ وأن القرآن، كلام الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف:٦] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف:١٥٧]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة:١٤٦].

بشارة التوراة بالنبي محمد ﷺ :

١-النص: سفر التثنية ١٨-١٥-٢٠ « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه أو فإني أحاسبه، وأما النبي الذي يُعطي فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم بِهِ، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي»[1].

في هذا النص السابق التبشير بمجيء نبي بعد موسى عليه السلام من إخوة بني إسرائيل وسيجعل الله كتابه إليه كلاماً يحفظه ويتلوه على الناس من فِيْهِ ليس كموسى أعطاه الله كتاباً؟ مكتوباً في ألواح، وسينصره الله على أعدائه وأن الله سيهلك كل من يَدَّعِي النبوة كذباً وزورا.

---

(١) نقلاً عن: كتاب تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ ص(٣٢٣).

أوجه دلالة النص السابق على نبوته ﷺ:

١-ثبوت هذا النص لدى اليهود والنصارى في التوراة فلا مجال لإنكاره أو تحريفه أو الزيادة عليه.

٢-موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام تماثلا في أن كلا منهما سَيُعْطَي كتاباً من الله.

٣-فيه إشارة إلى أن هذا النبي أُمْيٌّ لا يقرأ ولا يكتب ولذلك جعل الله كتابه إليه حفظاً يحفظه هذا النبي ويلقيه على أتباعه وهذا هو حال محمد ﷺ بل ورد في سفر أشعياء الاصحاح ٢٩-١٢ ما يؤكد ذلك وهو قوله: « أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا فيقول: لا أعرف الكتابة »[1].

٣-ورد في التوراة أن هذا النبي المثيل لموسى عليه السلام يجب ألا يكون يهودياً « ليس هناك نبي يهودي كَمُوسَى »[2] سفر التثنية ٣٤-١٠.

٤-أن هذا النبي يكون من العرب بدلالة قوله « أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم » فمن هم إخوة اليهود؟ إن أقرب الناس والشعوب لأن تَدَّعِيَ أُخُوَّةَ اليهود هم العرب لأن إبراهيم عليه السلام جدُ اليهود والعرب فأب اليهود إسحاق وأب العرب إسماعيل، فاليهود أبناء عمومةٍ للعرب.

٥-لم يدع أحدٌ من الأنبياء من بني إسرائيل تحققها فيه حتى عصر عيسى عليه السلام فادعى النصارى أنه هو المعنيُّ بالبشارة ويُرد عليهم ببيان أوجهِ الشبه بين موسى ومحمد ﷺ بخلاف عيسى عليه السلام:

١-موسى ومحمد قد أتيا بشريعة ونظامِ جديدَيْنِ، أما المسيح فشريعته شريعة من قبله مع بعض التخفيف.

٢-موسى ومحمد اتبعهما شعباهما وقومهما، وحَكَمَ كل منهما شَعْبَهُ بخلاف المسيح.

---

(١) رسالة خاتم النبيين ص(٢٨١).

(٢) تباشير الإنجيل والتوراة ص(٣٢٤).

٣-أن عيسى من بني إسرائيل والبشارة تقول « من وسط إخوتهم » لا منهم حقيقة وهذه البشارة لا تتحقق إلا في محمد ﷺ فهو من بني عمومتهم لا منهم.

٤-أن موسى ومحمد: لهما أب وأم بشريان معروفان ، أما المسيح فلا أب بشري له .

٥-أن البشارة تؤكد أنه مثل موسى ذو طبيعة بشرية كاملة ونبياً رسولاً من الله والنصارى يزعمون أن عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة فكيف يكون مثل موسى؟ وكيف يكون نبياً وإلهاً في وقتٍ واحد؟.

٢-جاء في الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين ما يلي:

« وأما ساراي [سارة] امرأة إبرام [إبراهيم] فلم تلد له. وكانت له جاريةٌ مصرية اسمها هاجر فقالت ساراي لإبرام/ هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة ادخل على جاريتي لَعَلِّي أرزق منها بنينَ فسمع إبرام لقول ساراي.. وأعطتها لإبرام زوجة له. فدخل على هاجر فحبلت. ولما رأت أنها حَبَلَتْ صَغُرَتْ مولاتها في عينيها. فقالت سَارَايْ لإبرام ظلمي عليك. أنا دفعت جاريتي إلى حضنك. فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها.

يقضي الرب بيني وبينك. فقال إبرام لساراي: هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك. فأذلتها ساراي فهربت من وجهها فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية.. وقال: يا هاجر جارية ساراي: من أين أتيت وإلى أين تذهبين؟ فقالت: أنا هاربة من وجه مولاتي ساراي. فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى مولاتك واخضعي تحت يديها وقال لها ملاك الرب: تكثيراً أكثر نسلك فلا يُعد من الكثرة.

وقال لها ملاك الرب: هل أنت حبلى فتلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وإنه يكون إنساناً وحشياً يده على كل واحد ويد كل واحد عليه وأمام جميع إخوته يسكن » .

وجاء في سفر التكوين الإصحاح ١٧ « وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه: ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً« اثنى عشر رئيساً يلد وأجعله أمة كبيرة »[1].

(١) هذا النص والنص السابق نقلته عن طريق كتاب رسالة خاتم النبيين ص(٢٧١-٢٧٢).

وجاء في الإصحاح ٢١ من سفر التكوين « ... ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر، لا تخافي، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو، قُومي احملي الغلام وشدي يدك به. لأني سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينيها فأبصرت ماء. فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران »(١).

وقال في سفر التكوين: « وقال الرب لأبرام بعد أن اعتزل لوط عنه ارفع عينيك من المكان الذي أنت فيه، وانظر شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً لأن جميع الأرض التي ترى لك أعطيها ولِنَسْلِكَ إلى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضاً يُعَد » وقال سفر التكوين «وبنسلك تتبارك جميع الأمم»(٢).

أوجه دلالة النصوص السابقة على نبوته ﷺ:

١-ثبوت هذه النصوص لدى اليهود والنصارى في التوراة فلا مجال لإنكارها أو تحريفها أو الزيادة عليها.

٢-إجماع النسا بين قبل البعثة وبعدها أن الرسول محمد ﷺ من نسل إسماعيل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.

٣-تأكيد أن الابن البكر لإبراهيم هو إسماعيلُ يقول د/ عبدالأحد داود: « تلك نبذة مختصرة لحياة إبراهيم كمقدمة أحقية الابن البكر في وراثة عهد أبيه حيث نلاحظ حقائق ثلاثة تقتضي أن يقبلها كُلُّ مؤمن:

الأولى: أن إسماعيل هو الابن الأكبر الشرعي لإبراهيم ولذا فإن حقه في البكورية شرعي وعادل.

الثانية: أن العهد كان بين الله وبين إبراهيم وإسماعيل قبل ولادة إسحاق ولو لا

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) انظر: كتاب دراسات في اليهودية د/ محمود مزروعة.

تكرار الوعد (من خلال ذريتك سوف تتبارك كل الأمم على وجهِ الأَرْضِ) بصيغ مختلفة وأيضاً (ذلك الذي سوف يخرج من أحشائك سوف يرثك) (سفر التكوين ١٥/ ٤) وتحقق هذا الوعد بولادة إسماعيل (سفر التكوين (١٦) ... ولذلك وجب أن نعترف بأن إسماعيل كان الوارث الحقيقي والشرعي لامْتِيَازَاتِ ومكانة أبيه الروحية وأن هذا الإرث الذي استحقه إسماعيل وذريته لكونه الابن البكر، لم يكن خيمة والده ولا مواشيَهُ وإنما كان إخضاع كل الأرض الممتدة من النيل إلى الفرات وسكانها إلى الأبد (سفر التكوين ١٥/ ١٨-١٧/ ٢٠) وبالفعل فإن تلك البلاد لم تخضع قط لذرية إسحاق ولكنها خضعت لذرية إسماعيلَ مما يعتبر تحققاً حرفياً وفعلياً لأحد نِقَاطِ العهد »[1].

٤-تأكيد أن نسل إسماعيل من الكثرة التي لا يمكن أن تُعد وهذا الوعد لا يتحقق إلا في أمة محمد ﷺ نسل إسماعيل لأن اليهود أحفاد إسحاق قلة قليلة في العالم اليوم.

٥-توضيح المكان الذي نشأ فيه إسماعيل وهو برية فاران وقصة ماء زمزم مع هاجر وابنها إسماعيل كلها حقائق تؤكدها التوراة ويشهد التاريخ بها لا مجال للشك فيه أن إسماعيل نشأ في مكة بوادٍ غير ذي زرعٍ في برية وجبالِ فاران قال شيخ الإسلام: « هذا خبر الله في التوراة أن إسماعيل ربي وسكن في برية فاران بعد أن كاد يموت من العطش وأن الله سقاه من بئر ماء، وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن إسماعيل إنما ربى بمكة وهو وأبوه بنيا البيت فعلم أن أرض مكة: فاران »[2].

٣-قال في سفر حجي (٩/ ٧-٩) « وسوف أزلزل كل الأمم وسوف يأتي (حِمْدَه) لكل الأمم وسوف أملأ هذا البيتَ بالمجدِ كذلك قال رب الجموعِ، لي الفضة ولي الذهب هكذا قال رب الجموع، وإن مجد ذلك البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، هكذا قال رب الجموع وفي هذا المكان أعطى أل (شالوم) هكذا قال رب الجموع » .

---

(١) محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى (٤٤- ٤٥).

(٢) الجواب الصحيح (٤/ ٢١٠).

أوجه دلالة النص السابق على نبوته ﷺ :

١-أكد البروفسور عبدالأحد داود[1] أن لفظه « حمده » تؤدي بدقة معنى كلمة « أحمد» .

٢-وأكد كذلك د/ عبدالأحد أن لفظه « شالوم » تؤدي بدقة معنى كلمة « الإسلام »[2] .

بشارة الأناجيل بالنبي محمد ﷺ :

١-روى لوقا في إنجيله قصة الرعاة الذين كانوا يرعون أغنامهم قرب بيت لحم في الليلة التي ولد فيها سيدنا عيسى إذ ظهر أمامهم ملاك لكي يعلن مولد «السيد المخلص» ثم ظهر حشد من الملائكة في السماء ينشدون بأصواتٍ عالية الترنيمة التالية (لوقا ٢/ ١١-٢٠)

المجد لله في الأعالى

وعلى الأرض السلام

وفي الناس المسرة (Goodill)

يقول د/ عبدالأحد داود:

« هذه الترنيمة الملائكية المعروف بـ (Gloria Excelsis Deo) والتي ترتل في الكنائس خلال احتفالها بالمراسم المقدسة ، ليست لسوء الحظ سوى ترجمة غامضة عن النص اليوناني الذي لا يمكن الاعتماد عليه أصلاً لأنه لا يتضمن الكلمات الأصلية باللغة التي

---

(١) البروفسور: عبدالأحد داود وهذا اسمه بعد إسلامه، كان كبير الكهنة (دافيد بناجين كلداني) أستاذ اللاهوت B.D. وقسيس الروم الكاثوليك لطائفة الكلدان ولد عام ١٨٦٧قرب أروميا (Urmia) في إيران وفي عام ١٩٠٤م أعلن إسلامه بعد مناظرات عديدة مع شيخ الإسلام جمال الدين أفندي. انظر: كتاب محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص(٥) .

(٢) محمد كما وردت كتاب اليهود والنصارى د/ عبدالأحد داود (٣٦-٣٧).

رتل بها الملائكة والتي فهمها الرعاة العبرانيون »[١].

وبعد تحليل رائع من خبير باللغة والدين النصراني توصل د/ عبدالأحد إلى أن هذه الأنشودة فيها تبشير بالنبي محمد ﷺ . فقال وهكذا تكون الأنشودة الملائكية في معناها الحقيقي كما يلي:

المجدُ والحمد في الأعالي.

أوشك أن يجيء الإسلام لِلْأَرْضِ.

يقدمه للناس أحمد[٢].

٢-قال في إنجيل يوحنا: ١٥ « إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي » .

وقال ١٦ « وأنا أطلب من الأب فيعطيكُمْ فار قليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد.

وقال ٢٦ « والفار قليط روح القدس الذي أرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كل ما قلته لكم » .

وقال في الإصحاح السادسَ عَشَرَ من إنجيل يوحنا هكذا ٢٦ « فأما إذا جاء الغار قليط الذي أرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من الآب ينبثق هو يشهد لأجلي»[٣].

يؤكد د/ عبدالأحد داود عن وجود كلمة « الفارقليط » في إنجيل يوحنا (١٤/ ٦، ١٤/ ٢٦، ١٥/ ٢٦، ١٦/ ٧) (يوحنا ٢/ ١) [٤].

---

(١) محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى د/ عبدالأحد داود ص(١٢٨).

(٢) المرجع السابق (١٤٨).

(٣) إظهار الحق (٢/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٤) محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ص(١٨٣).

أوجه دلالة النصوص السابقة على نبوته ﷺ:

١-أكد د/ عبدالأحد داود على أن معنى كلمة الفارقليط هي أحمد أو محمد فقال «ليس هناك أدنى شك أن « محمد » أو « أحمد » هو المعنى بكلمة الفارقليط فالاسمان متطابقان في اليونانية والعربية وكلاهما بمعنى الأشهر والأحمد تماماً »[1].

٢-يؤكد النص السابق أن هذا المبشر به من قبل عيسى عليه السلام هو خاتم المرسلين وسوف تبقى شريعته إلى الأبد كما قال « ليثبت معكم إلى الأبد » وهذا ما أكده الرسول ﷺ أنه خاتم المرسلين فهذا التوافق دليل صحة تفسير الفارقليط بأنه يعني أحمد أو محمد وإذا أضيف إلى ذلك أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب زاد الأمر وضوحاً وتأكيداً

٣-ذكر النص السابق أن المبشر به من قبل عيسى عليه السلام يشهد له كما قال « هو يشهد لأجلي » وهو ما ورد عن النبي ﷺ من التصديق بعيسى عليه السلام وما أكده الله العلي العظيم في القرآن، بخلاف معتقد اليهوديِّ في عيسى.

ملحوظـــة مهمة:

في النسخة المعاصرة المتداولة الآن لدى النصارى من إنجيل يوحنا لا توجد لفظة « البارقليط » وإنما بدلوها بلفظه « المعزي » وسبب هذا التحريف أن لفظه « الفارقليط » وهي يونانية معناها العربي أحمد أو محمد بل أعظم من ذلك حرفوا كلمة « المعزي » إلى المعين في النص المطبوع مع تفسير الإنجيل فدل ذلك على أنهم يحرفون كتابهم المقدس فكيف يكون مقدساً وهو عرضة للتحريف ؟[2].

ومما يؤكد صحة لفظ « الفارقليط » أمران:

١-أن البروفيسور عبدالأحد داود وهو أحد علمائهم العارفين بكتبهم أكد وجود

---

(١) المرجع السابق ص(٢٠٠).

(٢) انظر: رسالة خاتم النبيين ص(٢٨٤).

هذه اللفظة[١].

٢-أن الشيخ رحمت الله الهندي صاحب كتاب « إظهار الحق » نقل هذه اللفظة عن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٢١م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م في بلدة لندن[٢][٣].

---

(١) محمد د/ عبدالأحد داود ص(١٨٣).

(٢) إظهار الحق (٢/ ٢٧٨).

(٣) ولمن أراد التوسع فعليه بالمراجع التالية: ١- إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي ٢-محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى د/ عبدالأحد داود ٣- تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله د/ نصر الله أبو طالب دار الوفاء ٤-ومبشراً برسول يأتي بعدي اسمه أحمد د/ ليلي حسن سعد الدين، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان، الأردن ٥-رسالة خاتم النبيين محمد ﷺ ضرورتها وطرائق إثباتها ولوازمها د/ ثامر بن ناصر بن فهد غشيان مكتبة الرشد ٦- ربحت محمداً ﷺ ولم أخسر المسيح عليه السلام د/ عبدالمعطي الدلاتي وغيرها كثير.

المبحث الخامس: الأدلة الدالة على أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق وهو دين الرسل جميعاً

لاشك أن الرسل جاءت بما يُسعد البشرية في الدنيا والأخرى وجاءت بما يحقق للناس السعادة العقلية والروحيةَ وبما يحفظ حقوقهم كاملة فجاءت بالعدل ونبذ الظلم وجاءت بالدلالة على الخير والتحذير من الشر وهذه الأمور قدر مشترك بين الرسل بل بين كل من يدعو إلى صلاح الناس ومن هذا المنطلق نجد أن الإسلام قد حاز السبق في ذلك فجاءت شريعة محمد ﷺ أكمل الشرائع وأعظمها لتحقيق السعادة للناس جميعاً في دنياهم وأخراهم ومن أجل ذلك نجمل في النقاط التالية الأدلة الدالة على أن ما جاء به محمد ﷺ هو الإسلام وهو الدين الحق:

١-الإسلام دين الفطرة والبساطة في عقيدته وتشريعاته وقد بُسط هذا الموضوع في الفصل الأول من هذا الباب.

٢-الإسلام دين يدعو إلى العلم ولا يفرق بين العلم والإيمان لأن الحقائق العلمية لا تتعارض مع أصول الإيمانِ لأن خالق العقل ومنزل الكتب هو الله الواحد العلاَّم فلا فصام بين العلم والإيمان في الإسلامِ بينما النصرانيةُ وقع الخصام والعداء العظيم بين العلم والدين النصراني المحرف مما نتج عنه هروب العلماء عن الدين وظهور العلمانية في بلاد أوروبا نتيجة لهذا الخصام المقيت بسبب تحريف الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام وهذا التوافق بين العلم والإيمان دليل على أن الإسلام هو الدين الحق وهذا ما شهد به علماء الطبيعةِ كما مر معناه في الفصل السابق.

٣-الإسلام دين حافظ على أصوله دون تحريف لحفظ الله لهذا الدين مع كثرة الأعداء وشدة حرصهم على تحريفه بينما اليهودية والنصرانية حرفت وبدلت وهذا أمرٌ معروف لكل من يهتم بدراسة الأديان.

٤-الإسلام دين يدعو إلى العدل بين الناس ويسمو بالنفوس إلى الوصول إلى أعلى مراتب الشرف والعز والتقوى والصلاح ويكفي أن ننظر إلى نظام الطبقات في البرهمية والعنصرية في اليهودية وسلطة الرؤساء وتقديس الأشخاص عند النصارى لكي نعلم

أن الإسلام دين لا يفرق بين أحد فكل يستطيع الوصول إلى أعلى مراتب الإيمان بجهده وعمله وصلاحه لا بنسبه ولا منزلته ولا ماله.

٥-الإسلام ينبذ الواسطة بين المخلوق والخالق في الدنيا ويأمر أتباعه بالتوجه إلى الله مباشرة في طلب المغفرةِ أو حاجة من حوائج الناسِ بخلاف الأديان المحرفة الأخرى.

٦-كثرة انتشار الإسلام في الأرض دليل صارخ على أنه الدين الحق ، فلا تخلو بقعة على وجه الأرض إلا وفيها مسلم يعبدالله وحده لا شريك له.

٧-الحقائق العلمية الصارخة التي جاء بها الإسلام تحتم وتلزم المنصف الباحث عن الحق أن يأخذ بالقرآن كله فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

فالعالم المنصف الذي آمن بالحقائق العلمية الموجودة في القرآن والسنة يجب عليه أن يؤمن بالقرآن كله ويسلم وجهه لله العلي العظيم.

٨-التوافق فيما يدعو إليه الإسلام مع ما هو موجود في التوراة والإنجيل مما لم يحرف دليل « على أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً وأن شريعته ناسخة للشرائع قبله كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].

وكما ورد في إنجيل يوحنا على لسان عيسى عليه السلام قوله « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد »[١] أي أن شريعة محمد ﷺ هي الشريعة الناسخة لمن قبلها إلى أن تقوم الساعة، ولا يمكن فهم وتفسير نصوص التوراة والإنجيل إلا بالرجوع إلى القرآن العظيم لأنه مصدق لما بين يديه ومهيمنٌ عليهما فما أقره القرآن

---

(١) إظهار الحق (٢/ ٢٧٨).

فهو حق وما عارضه فهو باطل، وأما أوجه الاتفاق فهي كالتالي:

١-الله ووحدانيته: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾ [الإخلاص:١-٤].

وورد في إنجيل يوحنا ١٧: ٣ من أقوال المسيح: « وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفونك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته »[١].

وفي سفر الخروج ٢٠: ٢-٥ « أنا الرب إلهك لا يكن لك آلهة أخرى أمامي لا تصنع لك تمثالاً لا منحوتاً ولا صورة ما.. لا تسجد لهن ولا تعبدهنَّ لأني أنا الرب إلهك إله غيور »[٢].

وفي سفر أشعياء: « قبلي لم يصور إله وبعدي لا يكون أنا الرب وليس غيري مخلص... أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري.. أنا الله وليس آخر »[٣].

٢-بشرية عيسى عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝﴾ [المائدة:٧٥] قال عيسى كما ورد في إنجيل برنابا « أشهد أمام السماء وأشهد كل شيء على الأرض أني بريء من كل ما قد قلتم لأني إنسان مولود من امرأة فانية بشرية وعرضة لحكم الله مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر.. »[٤].

ويوجد لدى النصارى طائفة اسمها « الموحدون من النصارى » لا تؤمن بالتثليث وتأليه عيسى بل تؤمن ببشرية عيسى عليه السلام وما زالت موجودة إلى اليوم ومركزها الأول في العالم في أمريكا[٥].

---

(١) الإسلام والأديان الأخرى تأليف / لواء أحمد عبدالوهاب ص(٣٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

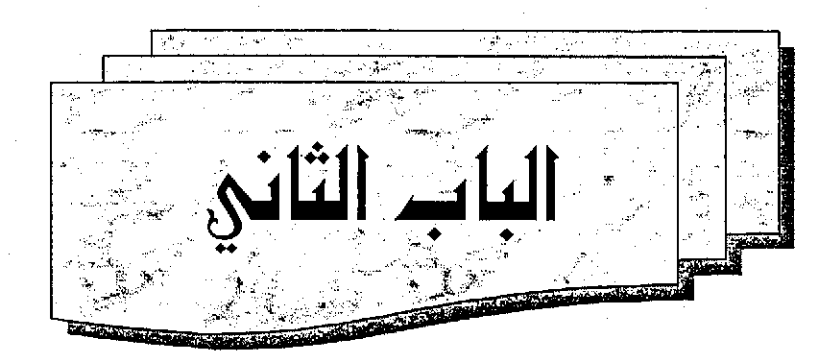
(٤) إنجيل برنابا ص(١٤٢).

(٥) انظر: مقالة د/ سفر الحوالي في مجلة البيان عدد ٢٠٤ شعبان ١٤٢٥هـ ص(١٠٦)، وانظر: كتاب الفرق =

وأما أوجه الاتفاق الأخرى فكثيرة لا يتسع المجال لذكرها[1]، وأما الغرض من ذكرها للتأكيد على أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً وأن شريعة محمد ﷺ تتفق مع الشرائع السابقةِ في أصول الأخلاقِ وأصولِ التشريعاتِ كتحريم الزنا والخمر والحث على الخير ونبذ الشر وأن محمداً ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل وأن ما جاء به إنما هو استكمال لما جاء به إخوانه الأنبياء قبله وتعديلاً للتحريف الواقع في الكتب قبله مع العلم أنه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب وجاء بهذه التفاصيل الدقيقة عن معتقدات اليهودية والنصرانية وجاء كذلك بشريعة عظيمة لشؤون الحياة لم يترك أمراً إلا وله فيه حكم فهل أتى به هذا الأمي من تلقاء نفسه؟ لا أظن أن عاقلاً يقول بذلك بل يجب عليه أن يقر أنه وحيٌ من السماء من الله العلي العظيم.

= والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم لمؤلفه سعد رستم، دار الأوائل ص(٣٠٦) .

(١) انظر: للتوسع ١- الإسلام والأديان الأخرى لواء أحمد عبدالوهاب وكتاب موسوعة مقارنة الأديان السماوية د/ مهدي حسين التميمي.



الإكراه على الحق

وفيه فصلان : -

- الفصل الأول : مفهوم الحق ونظرة الناس إليه.
- الفصل الثاني : مفهوم الاكراه في الإسلام .

* *　　* *　　* *



مفهوم الحق ونظرة الناس إليه

<u>وفيه مبحثان</u>: -

- المبحث الأول: مفهوم الحق في الإسلام.
- المبحث الثاني: نظرة الناس للحق في أصول الدين.

* *   * *   * *

المبحث الأول: مفهوم الحق في الإسلام

وتحته مطلبان:

۞ المطلب الأول: تعريف الحق لغةً:

تعريف الحق لغةً: عند تتبع كلمة الحقِّ في كتب المعاجم اللغوية يتضح أن هذه الكلمة تدل على عِدَّةِ معاني:

١-الثبات من قولهم: « وأُحق عليك القضاءُ فَحَقَّ أي أُثْبِتَ فَثَبَتَ » [١].

٢-اليقين من قولهم « أي تحققه وصار منه عَلَى يقين » [٢].

٣-وجب من قولهم: « حق الشيء يحق حقاً أي وجب وجوباً » [٣].

٤-بمعنى صح من قولهم « أحققت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته وصححته » [٤].

٥-الصدق من قولهم « وحقق قوله وظنه تحقيقاً أي صدقه » [٥].

٦-والظهور من قولهم « وأحق الله الحق: أظهره وأثبته » [٦].

٧-الرصانة من قولهم « وكلام محقق أي رصين » [٧].

٨-المطابقة والموافقة قال الراغب: « أصل الحق: المطابقة والموافقة كمطابقة رجْل الباب في حُقِّه لدورانه على الاستقامة » [٨].

---

(١) لسان العرب (١٠/ ٥٢).

(٢) مختار الصحاح ص(٦٢).

(٣) كتاب العين (٣/ ٦).

(٤) لسان العرب (١٠/ ٤٩)، ومختار الصحاح ص(٦٢) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ص(٢٤٤).

(٥) مختار الصحاح ص(٦٢).

(٦) أساس البلاغة ص(٩٠).

(٧) القاموس المحيط (٣/ ٣٠١).

(٨) تاج العروس (١٣/ ٧٩).

٩-الحق العدل[1].

١٠-الحكمة قال الزبيدي في تاج العروس: « يُقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة ولذلك يقال: فعل الله كله حقٌّ »[2].

وقال ابن منظور في لسان العرب: « الحق نقيضُ الباطلِ وجمعه حَقوقٌ وحِقَاقٌ ».

ومن خلال ما تم استخلاصُهُ من كلام أهل اللغة يتضح أن الحق عندهم هو الثابت الذي لا يمكن إنكارُهُ، وبالتالي لابد أن يكون صادقاً عدلاً يقيناً لا يحتمل الشك صحيحاً لا يحتمل الخطأ، فوجب عليك حمايته والدفاع عنه كما قالوا: « والحقيقة: ما يحق عليك أن تحميه يقال: فلان حامي الحقيقة ، نقله الجوهريُّ وهو مجاز كما في الأساس وفي اللسان: حقيقة الرجلِ: ما يلزمه حفظه ومنعه ويحق عليه الدفاعُ عنه من أهل بيتِهِ وجَمْعُهَا الحقائق »[3].

ويُمْكِنُ إِرْجَاعُ هذِهِ المعانِي إلى الثباتِ واليقينِ والصحةِ فالحقُّ هو الثابتُ اليقينيُّ الصحيحُ.

---

(١) تاج العروس (١٣/ ٧٩).

(٢) تاج العروس (١٣/ ٨٠).

(٣) المرجع السابق ص(٨٢)، وانظر: أساس البلاغة ص(٩١).

۞ المطلب الثاني: تعريف الحق اصطلاحاً:

وقبل الحديث عن تعريف الحق في اصطلاحِ أهلِ العِلْمِ لابُدَّ أن نعلم عن مدلول ومعنى هَذِهِ الْكَلِمَة في كتابِ الله لأنَّ القرآنَ الكريمَ أساس العلوم ومصدر لغةِ الْعَرَبِ والمصْدَرُ الأَوَّلُ للعقيدةِ الإسلاميةِ فكان لِزَاماً بحث معنى كلمة الحق في كِتَابِ الله الذي ورد ذكر كلمة الحق فِيهِ فِي صيغ متنوعةٍ في مائتين وسبعة وثمانين مَوْضِعاً (٢٨٧) فأقول وبالله التوفيق:

ورد ذكر كلمة الحق في القرآن الكريم على عدة أوجه منها:

١- الحق بمعنى اسم من أسمائه تعالى « الله » قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾ [المؤمنون:٧١] .

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [لقمان:٣٠] .

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور:٢٥] .

٢- الحق مراداً به القرآن قال تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الزخرف:٢٩].

٣- الحق مراداً به الإسلام قال تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل:٧٩].

٤- الحق مراداً به العدل قال تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [ص:٢٢].

٥- الحق مراداً به وجب عليهم القول قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [الأحقاف:١٨].

٦- الحق مراداً به الصدق قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [يونس:٥٥] (1) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ

---

(١) انظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العربي لأبي عبدالله الدامغاني (١/ ٢٨٤)، وكتاب نزهة الأعين =

وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنعام:٧٣] .

وغيرها من المعاني الأخرى وما ذكرته من هذه المعاني يدل على الثبات واليقين وهي صلب معنى هذه الكلمة.

يقول الشيخ محمد الراوي « فتلك كلمة الحق في القرآن الكريم رأيناها اسماً من أسماء الله وصفة من صفاته وسمعناها في قوله وشهدناها في تحقيق وعده وإحقاق كلماته ما أرسل الله من سول إلا بها وما أنزل من كتاب إلا لها، يُرى سلطانها في كل شيء في خلق وحياة وموت وبعث ويشاهد عدلها في حساب وجزاء ويخضع الناس لها وهم يساقون إلى جنة أو نار، تنطق بها جلود ويشهد سمع وبصر وتحدث أرض وينطق كتاب ويبقى ما كان لها ويذهب ما كان لسواها، ما من قول أو فعل إلا ويوزن بميزانها وما من ظن أو اعتقاد إلا ويحكم عليه بحكمها ... الخ »[1] فهذا هو مدلول كلمة الحق في القرآن العظيم وأما تعريف أهل العلم كلمة الحقِّ فلا تخرج عن معانيها في القرآن العظيم.

فقال ابن خزيمة[2] في كتابه التوحيد: « فكل صواب وعدل في حكم أو فعل ونطق: فاسم الحق واقع عليه، وإن كان اسم الحق اسماً من أسامي ربنا عز وجل لا يمنع أحد من أهل القبلة من العلماء من إيقاع اسمِ الحقِّ على كُلِّ عدْلٍ وصَوَابٍ »[3].

وعرفه أَهْلُ المعانِي بقولهم « هو الحكم المطابق للواقع يُطلق على الأقوالِ والعقائد

والنواظر لابن الجوزي ص(٢٦٥).

(١) كلمة الحق في القرآن الكريم الشيخ محمد الراوي (٢/ ٩٠٨).

(٢) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي الشافعي إمام الأئمة ولد عام ٢٢٣هـ، ومات عام ٣٢١هـ، كان معروفاً بالكرم والشجاعة من أهم مؤلفاته كتاب التوحيد وإثبات صفات رب العالمين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥)، وطبقات الشافعية للسبكي (٣/ ١١٢)، والأعلام (٦/ ٢٣٥).

(٣) كتاب التوحيد لابن خيمة (١/ ٧٣).

والأديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل »[١].

وقال أبو المظفر السمعاني الحق هو « وضع الشيء في موضعه على ما توجبه الحكمة»[٢].

وقال ابن عقيل[٣] الأصولي الحنبلي « هو اسم مشترك بين الموجود الثابت وبين الواجب اللازم، وبين نقيض الباطل وهو الصواب في القول والاعتقاد »[٤].

الحق الواجب اتباعه هو ما جاء في القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة فهما المصدران الثابتان اللذان لا يسوغ إنكارهما أو تحريف معناهما أو عدم العمل بهما فهما يحتويان على الحق كله.

الحق هو الإسلام دين الأنبياء جميعاً الذي لا يقبل الله من أحدٍ غيره قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

الحق هو أحكام الإسلام وتشريعاتُهُ العظيمةُ التي جاءَ بها خَاتَمُ الأنبياءِ محمد ﷺ فكلها حق وكلها صحة وصواب وكلها صدق وعدل الحق في اتِّبَاعِهَا، والباطلُ فِي الإِعْرَاضِ عنها.

الحق هو الله الحكيم العليم وما أنزله الله على مُحَمَّدٍ ﷺ حَقٌّ واجبٌ اتباعه لأنه يحتوي على العدل والصدق والحكمة.

قال ﷺ من حديث ابن عباس: «.. ولك الحمد أنت الحق، ووعدك حق، ولقاءك

---

(١) الكليات لأبي البقاء ص(٣٩١)، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (١/ ٤٥١)، ومعجم مصطلح الأصول ص(١٢٨).

(٢) تفسير السمعاني (٣/ ٧٥).

(٣) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي الحنبلي عالم العراق وشيخ الحنابلة في وقته ولد عام ٤٣١ ومات عام ٥١٣هـ من أهم مؤلفاته الواضح في أصول الفقه . انظر: الأعلام (٤/ ٣١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣).

(٤) الواضح (١/ ٢٠٥).

حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق والساعة حق... »[١].

فتعريف الحق في الإسلام هو الإسلام بعقائده وتشريعاته العظيمة وسبب اختياري لهذا التعريف أن تفسير الحق ورد في القرآن الكريم كما مر معنا بمعنى الإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ۝﴾ [النمل:٧٩] وينسجم مع هذا الاختيار كون كلمة الحق من الألفاظ المتواطئة وهي المتفقة في اللفظ والمشتركة في معنى عام قال ابن تيمية: « فكذلك الأسماء المتفقة اللفظ قد يكون معناها متفقاً وهي المتواطئة وقد يكون معناها متبايناً وهي المشتركة اشتراكاً لفظياً »[٢] فكلمة الحق لفظها واحد ومعانيها متفقة فالحق هو العدل والعدل هو الصدق والصدق كُلُّهُ هو القرآن العظيم والقرآن العظيم كلام الله ﷻ، والله دينه الذي أرسل به رسله هو الإسلام.

وأما ما يتعلق بما ذكرت من التعاريف فهي على النحو التالي:

١-تعريف ابن خزيمة في كتابه يتفق مع ما ذكرته من أن الحق من الأسماء المتواطئة إذ قال « لا يمنع أحدٌ من أهل القبلة من العلماء في إيقاع اسم الحق على كُلِّ عدل وصواب » فالحق يطلق على العدلِ والصوابِ وهما متفقان في المعنى، فالعدل والصواب صنوان لا يفترقان وهما من الحقِّ.

٢-وتعريف أهل المعاني غيرُ دَقِيقٍ لأنهم عرفوا الحق بمعنى الصدق وهو أحد أفراد الحق « فالحق أعم من الصدق مطلقاً، فالصدق يعبر عن باب من أبواب الحق »[٣].

٣-وأما تعريف أبي المظفر السمعاني فقد نظر إلى الحق من جانب الحكمة التي تفيد جلب المصالح أو تكميلها ودفع المفاسد أو تقليلها وهذه قاعدة عامة في الإسلام هي من الحق وليست الحق كُلَّهُ.

---

(١) صحيح البخاري (١١٢٠-٦٣١٧-٧٣٨٥-٧٤٤٢-٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩-١٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٢٧).

(٣) معجم مصطلح الأصول د/ محمد التونجي دار الجبل ص(١٢٨).

٤-وأما ما ذكره ابن عقيل من قوله أن كلمة الحق من الأسماء المشتركة فبسبب تعريفه الخاطئ للوجوه والنظائر في القرآن الكريم يقول ابن تيمية: « والأسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه وبعض «المتواطئة» من المتشابه ويسميها أهل التفسير «الوجوه والنظائر» وصنفوا كتب الوجوهِ والنظائرِ فالوجوه في الاسماء المشتركة، والنظائر في الأسماء المتواطئة وقد ظن بعض المصنفين في ذلك أن الوجوه والنظائرَ جميعاً من الأسماءِ المشتركةِ فهي نظائر باعتبار اللفظِ وجوه باعتبارِ المعنى وليس الأمر على ما قاله »[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٦).

المبحث الثاني: نظرة الناس إلى الحق في أصول الدين

وقد اختلفت نظرة الناس إلى الحقِّ في أصولِ الدِّينِ على قَوْلَيْنِ:

القول الأول: القائلون بأن الحق واحد في أصول الدين مع اختلافهم الكبير في تحديد الذي معه الحق منهم !! وهؤلاء هم:

١-اليهود ٢-النصارى ٣-الهندوس ٤-المسلمون.

أولاً: موقف اليهود :

اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأن أرواح اليهود جزء من الله وإذا ضرب أمي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية وأن الفرق بين درجة الإنسان ودرجة الحيوانِ هو بمقدار الفرقِ بين اليهوديِّ وغير اليهوديِّ ويجوز غش غير اليهودي وسرقته وإقراضه بالربا الفاحش وشهادة الزور ضده وسبب ذلك أن غير اليهودي في عقيدتهم كالكلاب والخنازير والبهائم ولذلك لا يسمحون لأحدٍ أن يدخل في اليهودية من غير اليهود فعقيدتهم قائمة على الجنس والعرق اليهودي المقدس كما زعموا فهي ديانة عنصرية بغيضة محرفة لاشك فيها وينتج من خلال الكلام السابِقِ أن اليهودَ ولا يرون الحق إلا معهم ولا يرون تعدده في أصول العقائد ولو أنهم يرون تعدده لاعترفوا بغيرهم وبما معهم من حَقٍّ إنْ كَانَ[1].

ثانياً: موقف النصارى:

فالدعوةُ إلى التنصير أو التبشير كما زعموا دعوة صريحة وواضحة هدفها إخراج المسلم من دينه إلى النصرانية وبذلوا في سبيل ذلك المال والجهد والرجال وكل ذلك يدل على أنهم يعتقدون أن الحق معهم فقط وأنه لا يتعدد إذ لو كان الحق في أصول الدين

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة والفكر الدين اليهودي أطواره ومذاهبه د/ حسن ظاظا وكذلك اليهود د/ أحمد شلبي.

متعدداً عندهم فما الداعي إلى بذل المال والجهد والوقت لتنصير غير النصارى؟ فدل ذلك على أنه واحد عندهم[١].

ولهم أيضاً عقائد تخصهم مثل التثليث والصلب والفداء لا يمكن أن يقرواْ بأن ما لدى غيرهم من العقائد حق، لأنه يخالفُ ويضاد ما لديهم إذ الإِعْتِرَافُ بصدق عقائد غيرهم يلزم منه بطلان عقائدهم إذ في منطق العقل لا يمكن أن يجتمع النقيضان ويَتَّحِدَ الضِّدَّانِ.

ثالثاً: موقف الهندوس:

وأما الهندوسية فيكفي أن نعلم نظام الطبقات في المجتمع الهندوسي لنعلم مدى تعصبهم بما لديهم من باطل مع بعضهم البعض فكيف بغيرهم؟ والنتيجة أنهم لا يرون تعدد الحق بل ما لديهم من باطل يحسبونه حقاً ويتعصبون له[٢].

ومحصل القول أن كل من ينتمي إلى دين له أصوله وعقائده فهو يرى أن معه الحق ومع غيره الباطلُ، وبالتالي لا يرى تعدد الحق في أصول العقائد أبداً إذا كان ما لدى الآخر يخالف ما لديه.

رابعاً: موقف الإسلام من تعدد الحقّ في أصول الدّين:

أجمع المسلمون من أهل القبلة أن الحق في أصول العقائد واحدٌ لا يتعدد أبداً وذكروا جملة من الأدلة على ذلك وهي:

أولاً: الكتاب: وردت آيات في الكتاب تدل على تكفير أو تفسيق أو تضليل المخالق للحق في أصول الدين وإليك جملة منها:

١-قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة:٤٢].

يقول ابن كثير: « يقول تعالى ناهياً لليهود عما كانوا يتعمدونه من تلبيس الحق

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٦٦٥).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة (٢/ ٧٢٦).

بالباطل وتمويهه وكتمانهم الحق وإظهارهم الباطلَ.. ولهذا قال الضحاك عن ابن عباس ولا تلبسوا الحق بالباطل: لا تخلطوا الحق بالباطل،و الصدق بالكذب.. وقال قتادة « ولا تلبسوا الحق بالباطل » ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، وأنتم تعلمون أن دين الله الإسلام،وأن اليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله » [(١)].

٢-قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران:٨٦-٨٩].

يقول ابن كثير: « أي قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعدما تلبسوا به من العماية » [(٢)].

وجه الشاهد من هذه الآية أوضح من الشمس في رائعة النهار إذ لو كان الحق متعدداً لم يلعن الله وملائكته والناس أجمعين المرتدين عن الحق، فلما لعنهم دل على أنهم على باطلٍ وأن الحقَّ واحدٌ لا يتعدد.

٣-قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء:١٧٠].

وجه الشاهد من هذه الآية يمكن إجماله في النقاط التالية:

أ-أن الخطاب عام للناس ولم يخصص جماعة دون جماعة أوجنس دون جنس.

ب-أن ما أتى به محمد ﷺ هو الحق من الله العلي العظيم فحصر الله الحق فيما جاء به الرسول الخاتم محمد ﷺ.

ج-أمر الناس باتباعه وهو أمرٌ يقتضي الوجوبَ ولا صارف له عن ذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٨).

د-حكم الله على من لم يتبعه ﷺ بالكفر وهذا دليل واضحٌ على أن الحق واحدٌ لا يتعدد إذ لو كان متعدداً لم يكفر الله المخالف.

٤-قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران:١٩].

وجه الشاهد من الآية أَنَّ اللهَ ﷻ حَصَرَ الْحَقَّ في الإسلامِ فهو الدينُ الذي يَقْبَلُهُ ولا يقبل غيره فدل على أن ما عداه بَاطِلٌ وأن الحق في الإسلام فقط فلا يتعداه إلى ما سواه .

قال ابن كثير: « إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حينٍ حتى ختمُوا بمحمد ﷺ الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل »[1].

٥-قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وجه الشاهد من الآية أن الله حصر القبول في الإسلام فقط وحكم على من يتبع الإسلام بالخسارة في الآخرة، فدل على أن الحق في الإسلام فقط دون غيره من الأديان الباطلة.

٦-قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ:٢٤].

قال ابن كثير وقوله تعالى: « ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل والآخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحدٌ منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى »[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٣١).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٨٥٥).

ثانياً: السنة: وردت أحاديث تدل على تكفير أو تفسيق أو تضليل المخالف منها:

١-عن عبدالله بن مسعود قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقرأ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣]. فخط خطاً فقال هذا الصراط ثم خط حوله خطوطاً فقال: « وهذه السبل فما منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه »(١).

وجه الشاهد من الحديث أن الرسول ﷺ بين أن الحق واحد عندما خط خطاً واحداً وقال عنه الصراط، وخط حوله خطوطاً أوضح أنها سبل الباطل وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه.

٢-عن ثوبان قال: قال ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك »(٢).

دل الحديث على أن الحق مع الطائفة الظاهرة وأن ما عداهم على باطل بدليل قوله ﷺ « لا يضرهم من خذلهم » إذ لو كان الحق مع الجميع لما قال ﷺ « لا يضرهم من خذلهم ».

٣-عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قال ﷺ: « .. إن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي »(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٣٥-٤٦٥)، والإمام الأجري في كتاب الشريعة (١/ ٢٩٠)، واللالكائي في شرح أصول أهل السنة والجماعة (١/ ٨٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٣)، وممن صححه أحمد شاكر في المسند (٦/ ٨٩-٩٠)، والألباني كما في ظلال الجنة (٣٠-٣١)، وحسن إسناده د/ الدميجي ت/ كتاب الشريعة (١/ ٢٩٢).

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٣)، والبخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، الفتح (١٣/ ٣٠٦).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة رقم (٢٦٤١) (٥/ ٢٦)، وأخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٣٠٧) برقم (٢٣) قال الألباني: « ضعيف بهذا السياق وقد حسنه الترمذي في بعض النسخ وهو ممكن باعتبار شواهده ولذلك أوردته في صحيح الجامع (٥٢١٩) والصحيحة (١٣٤) شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٦٠).

دل هذان الحديثان على أن الحق مع طائفة دون الأخريات وأنها الناجية من النار مما يدل بوضوح أن الحق واحد لا يتعدد، إذ لو كان متعدداً لما استحقوا عقوبة النار.

قال الإمام الشاطبي: « إن قوله عليه الصلاة والسلام « إلا واحدة » قد أعطى بنصه أن الحق لا يختلف إذ لو كان للحق فرق أيضاً لم يقل « إلا واحدة » ولأن الاختلاف منفي عن الشريعة بإطلاق لأنها الحاكمة بين المختلفين لقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] إذ رد التنازع إلى الشريعة، فلو كانت الشريعة تقتضي الخلاف لم يكن في الرد إليها فائدة وقوله « في شيء » نكرة في سياق الشرط فهي صيغة من صيغ العموم فتنتظم كل تنازع على العموم، فالرد فيها لا يكون إلا لأمر واحد فلا يسع أن يكون أهل الحق فرقاً وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام:١٥٣] وهو نص فيما نحن فيه فإن السبيل الواحد لا يقتضي الافتراق بخلاف السبل المختلفة » (١).

٤-عن أبي هريرة قال قال ﷺ: « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » (٢).

وجه الدلالة من هذا الحديث أن الرسول ﷺ حكم على من لم يؤمن به بأنه من أصحاب النار ولو كان الحق متعدداً لم يحكم عليه بالنارِ، فلما حَكَمَ عليه بالنار دل على أن الحق واحدٌ لا يتعدد.

ثالثاً: إجماع الصحابة على قتالِ المخالفين لهم في العقيدةِ وذلك في عِدَّةِ مواقف:

١-قتال أبي بكر للمرتدين من العرب وَمَا نِعِي الزكاةِ وهذا أمر معلوم بالتاريخ بالضرورة.

٢-وقتال أبي بكر وعمر وعثمان لغير المسلمين وفتح مصر والشام وغيرهما دليل واضح على أن الحق واحد لا يتعدد إذ لو كان مع المخالف الحق لما جاز قتاله واستحلال

---

(١) المرجع الاعتصام للشاطبي ص(٤٤١)، دار الباز للنشر والتوزيع ط١، ١٤٠٨هـ.

(٢) سبق تخريجه ص(٤٥) وهذا لفظ مسلم.

دمه وعرضه وماله.

٣-قتال عَليٍّ ﷺ للخوارج وقتال الخوارج لعليٍّ وتكفيرُهُ دليل على أن الحق واحد وهو مع علي ﷺ.

رابعاً: إن القول بتعدد الحق في الأصول يؤدي إلى اجتماع النقيضين واتحاد الضدين وهذا باطل ومحال وسفسطه غير مقبولة؛ إذ كيف يعقل أن القائل بقول والقائل بنقيضه مصيبان؟[1].

قال ابن تيمية: « ومن حكى عن أحد من علماء المسلمين -سواء كان عبيد الله بن الحسن العنبري أو غيره- أنه قال: كل مجتهد في الأصول مصيب، بمعنى أن القولين المتناقضين صادقان مطابقان فقد حكى عنه الباطل بحسب توهمه، وإذا رد هذا القول وأبطله فقد أحسن في رده وإبطاله وإن كان هذا القول المردود لا قائل به »[2].

خامساً: تخطئة الصحابة للمخالفين وردهم عليهم كما حاور ابن عباس الخوارج وإنكار ابن عمر على القدرية وإنكار بل وإحراق علي ﷺ السبيئة.

سادساً: إجماع الأمة وعدم وجود المخالف في هذه المسألة دليل على أن الحق في أصول الدين واحدٌ لا يقبل النقاش والجدال.

سابعاً: إجماع الأمة على تكفير اليهود والنصارى والوثنيين وأنهم خالدون مخلدون في نار جهنم.

إذاً فالحقيقة الواحدة التي يدعو إليها الإسلام تقوم على أصول خمسة:

١-أن الحق والصواب معنا نحن المسلمين وأن ما عدا دين الإسلام فهو باطل.

٢-أن النجاة من النار ودخول الجنة لا تكون إلا عن طريق محمد ﷺ فلا نجاة إلا باتباعه والإيمان به والإقرار بأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع قبله كما قال ﷺ: « والذي

(١) شرح الكوكب المنير (٤/ ٤٨٨).

(٢) الفتاوى (١٩/ ١٣٨).

نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »[(١)].

٣-أن توحيد الألوهية هو أساس دعوة الرسل المتضمن الإقرار بوحدانية الله ووجوب إفراده بالعبادة وهو الحق الذي لا يقبل الله من أحدٍ تركه أو الإقرار بنقيضه.

٤-أن ما لدى غير المسلمين من حق لم يكتسب أحقيته إلا من خلال إقرار الإسلام العام الذي هو دين الأنبياء بأدلته الفطرية والنقلية والعقلية.

٥-التفريق بين الشريعة والعقيدة فالعقيدة واحدة من آدم ﷺ إلى محمد ﷺ فلم يأت نبي أو رسول بدين أو عقيدة جديدة ولكن الله أرسل رسله لإرجاع الناس إلى العقيدة الصحيحة لما اجتالتهم الشياطين إلى العقائد الباطلة فمن الخطأ أن يقال الأديان السابقة دون تقييدها بالباطلة لأن الدين الحق الصحيح واحد فلا مجال لتعدد الحقيقة فيه، وأما الشرائع فهي متعددة، ولكن ذلك كان قبل بعثته ﷺ وأما بعد البعثة فلا مجال لتعددها لأن شريعة محمد ﷺ ناسخة للشرائع قبلها.

فهذا هو الحق الذي لا مجال لتعدده في أصول العقيدة وهو مفهوم الحق الذي أقصده في حديثي، وهو مفهوم أهل السنة والجماعة الطائفة المنصورة الباقية على الحق إلى أن تقوم الساعة.

وهناك جملة من المسائل لابد من بحثها وهي:

المسألة الأولى: سنة الاختلاف: أثبت الله في القرآن الاختلاف فهو سنة من سنن الله الثابتة الدائمة قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [يونس:١٩] وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ

---

(١) سبق برقم (٨٤).

شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود:١١٨-١١٩].

قال ابن كثير عن الآية الأخيرة من سورة هود: « ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونِحَلِهِمْ ومذاهبهم وآرائهم... وعن ابن عباس خلقهم فريقين كقوله: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود:١٠٥] وعن مالك قال فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن كثير عن قول مالك « وقد اختار هذا القول ابنُ جريرٍ وأبو عبيد الفراء»(١).

أي أن الله خلق الناس مختلفين في ألوانهم وألسنتهم وكذا أيضاً في عقائدهم ومللهم «وإن اختلاف الناس في الحق لا يوجب اختلاف الحق في نفسه وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه والقياسات المركبة عليه والحق في نفسه واحدٌ »(٢).

وقال سيد قطب رحمه الله: « لو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد وباستعداد واحد نسخاً مكرورة لا تفاوت بينها ولا تنويع فيها وهذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على هذه الأرض وليست طبيعة هذا المخلوق البشري الذي استخلفه الله في الأرض ولقد شاء الله أن تتنوع استعداداتُ هذا المخلوقِ واتجاهاتُهُ وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه وأن يختار هو طريقه ويحمل تبعة الاختيار ويجازى على اختياره للهدى أو الضلال هكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته فالذي يختار الهدى كالذي يختار الضلال سواء في أنه تصرف حسب سنة الله في خلقِهِ ووفق مشيئتِهِ في أن يكون لهذا المخلوقِ أن يختار وأن يلقى جزاء منهجه الذي اختار.

شاء الله ألا يكون الناس أمة واحدة فكان من مقتضى هذا أن يكونوا مختلفين وأن يبلغ هذا الاختلاف أن يكون في أصول العقيدة -إلا الذين أدركتهم رحمة الله- الذين اهتدوا إلى الحق -والحق لا يتعدد- فاتفقوا عليه وهذا لا ينفي أنهم مختلفون مع أهل

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٧١٩).

(٢) الإنصاف لابن السيد البطليوسي ص(٢٧).

الضلال »[1]. وبهذه النظرة التوافقية يتضح أن الحق واحدٌ لا يتعدد وأن اختلاف الناس فيه لا يوجب تعدده لأن الله سن في هذا الكون سنناً لا بد من وقوعها ولا يمكن تبديلها أو تغييرها وفق سنن أخرى ومن هذه السنن سنة الاختلاف بين الناس في نظرتهم للحق سبحانه وهذا الاختلاف ناتج عن أسباب عدة من أبرزها الجهل بالحق واتباع الهوى كما قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل:١٤] فاقتضت سنته سبحانه الاختلاف مع أن الحق واحد ليظهر الحق وأهله على الباطل وأهله في الدنيا وليكونوا في الآخرة على فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.

المسألة الثانية: تحقيق الأمر فيما ورد عن العنبري والجاحظ:

ورد عن عبيد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة والجاحظ المعتزلي أن كل مجتهد في الأصول مصيب قال ابن تيمية: « ومن حكى عن أحد من علماء المسلمين –سواء كان عبيد الله بن الحسن العنبري أو غيره– أنه قال: كل مجتهد في الأصول مصيبٌ بمعنى أن القولَيْن المتناقضين صادقان متطابقان فقد حكى عنه الباطل بحسب توهمه » وقال في موضع آخر « وأما القطيعات فأكثرهم يؤثم المخطئ فيها ويقول إن السمع قد دل على ذلك ومنهم من لا يؤثمه والقول المحكي عن عبيد الله بن الحسن العنبري هذا معناه: أنه كان لا يؤثم المخطئ من المجتهدين من هذه الأمة لا في الأصول ولا في الفروع »[2] وممن ذكر عن العنبري رجوعه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب[3] وأكد ابن تيمية أن المراد بقوله السابق أن المخطىء في الأصول من أهل القبلة معذور.

وأما الجاحظ فقال عنه الزركشي[4]: « ... وأما الجاحظ فجعل الحق في هذه المسائل

---

(١) الظلال (٣/ ١٩٣٣).

(٢) الفتاوى (١٩/ ١٣٨-٢٠٦).

(٣) (٧/ ٨) تهذيب التهذيب.

(٤) هو محمد بن بهادر بن عبدالله المصري الزركشي الشافعي الفقيه الأصولي ولد عام (٧٤٥هـ) ومات عام (٧٩٤) من أهم مؤلفاته البحر المحيط في أصول الفقه. انظر: الأعلام (٦/ ٦٠)، ومعجم المؤلفين =

واحداً ولكنه يجعل المخطيء في جميعِهَا غير آثم »[١] فالزركشي يؤكد أن مذهب الجاحظ في عدم تأثيم المخطيء في الأصول لا في أن كل مجتهد في الأصول مصيبٌ وبهذا يتضح أن لا مخالف في هذه المسألة وأن إجماع أهل القبلة عَلَيْهَا إجماع لا يجوز نقضه أبداً[٢].

المَسْأَلَةُ الثالثةُ: حكم غير المسلمين في الدنيا والآخِرَةِ.

أجمع جميع أهل العلم من أهل القبلة على أن غير المسلمين في الدنيا كفار لهم أحكام تخصهم، وفي الآخرة خالدون مخلدون في النار وذلك غير أهل الفترة فإنهم يختبرون.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٣٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤].

وقال ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا

(١٢١/٩).

(١) البحر المحيط (٦/ ٢٣٦).

(٢) انظر: كتاب التفريق بين الأصول الفروع د/ ناصر الشتري (٢/ ٢٥٢)، وما بعده، وانظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٠٢).

نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار) [١] .

وقال ﷺ من حديث أبي هريرة: (أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) [٢] .

وأما ما ورد عن الجاحظ من عدم تخطئته المخالفَ لملة الإسلام من عامة اليهود، والنصارى فقوله محجوجٌ بالإجماع قبله، قال الطوفي[٣]: « وبالجملة الجمهور على خلاف الجاحظ والعقل مائل إلى مذهبه وقوله -على كل حال- مخالف للإجماع »[٤] .

وأما العبارة المنقولة عن الجاحظ فهي قوله: « إن كثيراً من العامة والنساء والبله مقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله تعالى عليهم إذ لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال »[٥] ويكفي أن يُعلم أن الجاحظ من المعتزلة بل له فرقة تنتسب إليه قال عنه أبو الفتح الشهرستاني: « ومذهب الجاحظ هو بعينه مذهب الفلاسفة إلا أن الميل منه ومن أصحابه إلى الطبيعيين منهم أكثر منه إلى الإلهيين »[٦] فهو معتزلي عقلاني مائل إلى مذهب الفلاسفة الطبيعيين وبالتالي أصوله تختلف عن أصول أهل السنة والجماعة في الاستدلال والنظر فلا يعتد بخلافه .

وأما ما قد ينتج من قول الجاحظ من فكرة الدعوة إلى تقارب الأديان فهي فكرة

---

(١) سبق تخريجه ص(٤٥).

(٢) مسلم كتاب الإيمان (١/ ٥٢) رقم (٣٤) وأخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة (٢/ ١٣١).

(٣) سليمان بن عبدالقوي الطوفي الصرصري أبو الربيع نجم الدين فقيه حنبلي، ولد عام ٦٥٧ ومات عام ٧١٦ من أهم مؤلفاته « شرح مختصر الروضة » . انظر: الأعلام (٣/ ١٢٧)، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٦/ ٣٩).

(٤) شرح مختصر الروضة (٣/ ٦١١) .

(٥) الشفا (٢/ ٢٧٠)، البحر المحيط (٦/ ٢٣٨) .

(٦) الملل والنحل (١/ ٧٦) .

غير مقبولة مطلقاً، لأنها تخالف المنقول والمعقول، أما المنقول فالنصوص التي ورد ذكرها تؤكد أن الله لا يقبل من أحدٍ ديناً غيرَ الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ وتؤكد على بطلان الأديان الأخرى فكيف نتقارب مع دين باطلٍ؟

وأما المعقول فلا يمكن اجتماع النقيضين واتحاد الضدين[١] فكيف نصحح مذهبهم ودينهم ونصحح مذهبنا وديننا؟ هذا محال لا يقبله العقل لأن الحق في أصول الدين والتوحيد واحدٌ لا يتعدد أبداً ولكن المطلوب هو مجادلتهم بالتي هي أحسن لبيان أن ما لدينا هو الحق وما لديهم هو الباطل، وأن ما لديهم من حقٍ في ديننا أعظم منه وأحسن لكي يتبعوا الحق ويدعوا الباطل .

المسألة الرابعة: حكم الطوائف والفرق والمذاهب الإسلامية المخالفة للحق:

من الأصول المقررة لدى أهل السنة والجماعة أن الاختلافَ والفرقةَ سنةٌ من سنن الله التي لا بد أن تقع كما أراد اللهُ تحقيقاً لسنة التدافع بين الحقِّ والباطلِ حتى قيامِ الساعةِ، فالدعوة إلى التوحد والتوافق بين الفرق والمذاهب دعوة غير شرعية وغير واقعية –نظراً لسنة الإختلاف والتدافع التي تمثل الإرادة الكونية التي لابد أن تقع كما أراد الله– إلا في المسائل المشتركة كنصرة المظلوم المتفق عليها ودفع الصائل ومحاربة كل ما يؤدي إلى هلاك النفس من المخدرات وأمثالها، يقول الشاطبي مبيناً متى يحكم على فرقة أو جماعة أنها فرقة ضالة مخالفة لأهل السنة والجماعة؟ « وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقاً بخلافها للفرقة الناجية والجماعة في معنى كُلِّيٍّ في الدين وقاعدة من قواعد الشريعةِ لا في جزئي من الجزئيات فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة »[٢].

فأهل السنة والجماعة أهل الحق لهم نظرة لمن خالفهم فيما قَرَّرُوهُ من مسائل التوحيد

---

(١) النقيضان: أمران لا يجتمعان ولا يرتفعان كالحركة والسكون على جسم واحد.

والضدان: صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض. انظر: التعريفات للجراجني ص(٢١١-٣٣٧).

(٢) الاعتصام للإمام الشاطبي ص(٤١٥).

والعقيدة ممن ينتسب للإسلام أو يزعم أن معه الحقَّ وهذه النظرة تتمثلُ في عدة أمور:

أولاً: الحكمُ بالكفر على الأقوالِ والأفعالِ لِطَائِفةٍ أو مذهب أو فرقة أو جماعة لمخالفتها القرآن والسنة مرهون بعدة أمور:

١-إنكاره أو خروجه أو عدم علمه بشرائع الإسلام الظاهرةِ المتواترةِ كلها أو آحادها.

٢-إنكاره القرآن والسنة أو أحدهما، عملاً أو دلالةً.

٣-تحريفه نصوصَ الشرع المطهَّرِ تحريفاً يجعل لها ظاهراً يعلمه العوام وباطناً يعلمه الخواصُّ.

فأي طائفةٍ أو جماعة أو فرقة أو مذهب يكون من أصوله أحد هذه الأمور الثلاثة او كلها فقد خرج عن دائرة الإسلام قطعاً مثل الدروز والنصيرية والقرامطة والبهائية والقاديانية وغيرهم ممن ينتسب لِلْإِسْلَامِ.

ثانياً: الدعوة إلى قتال كل طائفة أو جماعة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة للأدلة الآتية:

١-إجماع الصحابة على قتال مانعي الزكاة مع إقرارهم بشَعَائِرِ الإسلام الأخرى والإجماع دليلٌ لا يجوز خرقهُ أبداً.

٢-إجماع الصحابة على قتال الخوارج مع علي بن أبي طالب دليلٌ آخر على جواز القتالِ مع أن مفهوم الخوارج لا ينحصر فيمن قاتلهم عليٌّ بل هُمْ أولهم قال ابن تيمية: « وهذه العلامة التي ذكرها النبيُّ ﷺ هي علامة أول من يخرج منهم ليسوا مخصوصين بأولئك القوم فإنه قد أخبر في غير هذا الحديث أنهم لا يزالون يخرجون إلى زمن الدجال وقد اتفق المسلمون على أن الخوارج ليسوا مختصين بذلك العسكرِ » ثم ذكر ابن تيمية أصول الخوارج عموماً سواءً الذين قاتلهم عليٌّ أو من أتى بعدهم ممن يشملهم كالروافض وهذه الأصول التي ذكرها شيخ الإسلام هي:

١-اعتقادهم في أئمة الهُدَى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل وأنهم

ضالُّونَ.

٢-جعلهم المعصيةَ كُفْراً.

٣-يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها.

٤-يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان[١].

نعود إلى الأدلة الدالة على جواز قتال المخالفين في الحق من الطوائف الخارجة عن الشريعة الإسلامية:

٣-قتال المسلمين الدولة العبيديةَ بِمِصْرَ والقرامطة في الأحساء.

وغيرها من الوقائع في تاريخ الأمة الإسلامية التي تؤكد جواز قتال أمثال هؤلاء.

قال ابن تيمية: « كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترةِ فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمينَ، وإن تكلمت بالشهادتَيْنِ فإذا أقروا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلوات الخمس وجب قتالُهُمْ حتى يُصَلُّوا وإن امتنعوا عن الزكاةِ وجب قتالهم حتى يُؤَدُّوا الزكاةَ وكذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان أو حج البيت العتيق وكذلك إن امتنعوا عن تحريم الفواحش أو الزنا أو الميسر أو الخمر أو غير ذلك من محرمات الشريعة وكذلك إن امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال والأعراض والأبضاع ونحوها بحكم الكتاب والسنة، وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار إلى أن يسلموا ويؤدُّوا الجزيةَ عن يد وهم صاغرونَ، وكذلك إن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة واتباع سلف الأمة وأئمتها مثل أن يظهروا الإلحاد في أسماء الله وآياتِهِ أو التكذيب بأَسْمَاءِ الله وصفاتِهِ أو التكذيب بقدره وقضائه أو التكذيب بما كان عليه جماعة المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين أو الطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا في طاعتهم التي توجب الخروجَ عن شريعَةِ الإسلَامِ وأمثال هذه الأمور قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣] فإذا كان بعض الدين

---

(١) الفتاوى (٢٨/ ٤٩٦-٤٩٧).

لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كُلُّهُ لله »[١] .

وقال شيخ الإسلام : « .... فأما الذين لا يلتزمون شرائعَ الإسلامِ الظاهرة المتواترة فلا أعلم في وجوب قتالهم خلافاً »[٢].

وقال شيخ الإسلام « .... فَعُلِمَ أن مجرد الاعتصامِ بالإسلام مع عَدَمِ التزام شرائعِهِ ليس بمسقطٍ للقِتَالِ فالقتال واجبٌ حتى يكون الدينُ كله لله وحتى لا تكون فتنة فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب »[٣].

مع العلم أنه لا يلزم من القتال الكفرُ فعليٌّ ﷺ قاتل الخوارج ولم يكفرهم ويقاتل المسلمون مع الإمام البغاة عليه بغير حقٍ وهم مسلمون وكذا في المقابل لا يلزم من ترك القتال الإسلام فلا يجوز قتال الدولة الكافرة التي بيننا وبينهم عَهْدٌ وميثاقٌ لم ننبذه إليهم ولم ينقضوه هُمْ.

ثالثاً: الحكم عليهمْ بالتبديع والتفسيقِ.

والبدعةِ عرفها أبو شامة بقوله: « وهو ما لم يكن في عصر النبيِّ ﷺ مما فعله أو أَقَرَّ عَلَيْهِ أو علم من قواعد الشريعة الإذن فيه وعدم النَّكِيرِ عليه »[٤].

وقال ابن تيمية: « البدعة ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادَاتِ »[٥].

وقال الشاطبيُّ في الاعتصام: « البدعة طريقة في الدين مخترعةٌ تضاهي الشرعية يُقْصَدُ بالسلوك عليها المبالغةُ في التعبد لله سبحانه »[٦].

---

(١) الفتاوى (٢٨/ ٥١١-٥١١).

(٢) الفتاوى (٢٨/ ٤٠٥).

(٣) الفتاوى (٢٨/ ٢٠٥).

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة ص(١٨).

(٥) الفتاوى (١٨/ ٣٠٨).

(٦) الاعتصام (١/ ٣٧).

فكل من خالف الحق الذي جاء به محمد ﷺ فهو مبتدع ضال.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

أمر الله بطاعة رسولِهِ ووضَّحَ وبَيَّنَ أن هذه الطاعةَ لا تكون إلَّا في الاتِّبَاعِ وقال تعالى مُؤَكِّداً على ذَلِكَ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧] وقال تعالى محذراً من مخالفة الرسول ﷺ وأنها تؤدي إلى الفتنة أو العذاب ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

قال ﷺ: « تركت فيكم اثنتين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي »[١].

وقال ﷺ: « اتقوا الله وعليكم بالسمع والطاعة وإنَ عبداً حبشياً وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة »[٢].

وهناك مسائل عملية تتعلق بالمبتدعة من هجرهم وفضح أمرهم لعامة الناس حتى يحذروا مِنْهُمْ وعدم حضور جنازتهم عقوبة لهم وليس هذا المكان مجالاً لبحث هذه المسائل.

القول الثاني: القائلون بأن الحق في أصول العقائد متعدد! أو ما يُسمى بنسبية الحقيقة:

بدأت الدعوة إلى تصحيح المعتقد الباطل واعتبار أن الحق متعدد في أصول العقائد في عهد المشركين لما قالوا للرسول ﷺ اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنةً[٣]. فأنزل الله آيات

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص(٣٧٥)، وصححه الألباني في الصحيحه (٤/ ٣٦١).

(٢) السنة لابن لأبي عاصم ص(٤٦)، وصححه الألباني، ص(٣٦-٤٦)، من كتاب السنة.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي ص(٤٩٦).

حاسمة جازمة تبين بكل وضوح وجزم أن الحق واحد لا مجال لتعدده ولا التنازل عنه لإرضاء جهة ما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:١-٦] فأنهى الله الجدالَ في هذه القضية المحورية بهذا الجزم والوضوح فلا مجال لتصحيح المذهب الباطل أو الاعتراف بِهِ اعترافَ الند للندِّ، بل الواجب الجزم ببطلان ما لدى الغير من باطل وبيان أوجه بطلانِهِ حتى يستيقظ من أصابته السكرة والغفلة ويرجع إلى الحق، أما إذا اعترفنا نحن أصحاب الحق المطلقِ بما لديهم من باطلٍ واحترمنا أقوالهم الباطلة كما يزعم البعض اليومَ فمتى يبين لأصحاب الباطل باطلُهُمْ ونحن أصحاب الحق نؤيدهم على باطلهم بعبارات هي رديفةٌ إلى التصحيحِ أو التشكيكِ؟ أي التصحيح للباطل، والتشكيك فيما لديهم أنه باطل، فالرأي والرأي الآخر، والواقعية في الحوار، وعدم الأنانية، والأحادية في النظرة، كلها مصطلحاتُ نُزوجُ للباطل وتغبش الحق، إن ظهور ما يسمى بالديمقراطيةِ والحريةِ والعدالةِ والمساواةِ وحقوق الإنسانِ والعولمةِ والمجتمعِ المدني وحوار الأديان وغيرها من الأفكار الوافدة علينا الغريبة على مجتمعنا المسلم المخالفة لعقيدتنا راجت وظهرت الدعوة إلى تعدد الحق عن طريقها.

إن الدعوة إلى تعدد الحقيقة في أصول الدين دعوةٌ لا يُنادي بها إلا المهزومون الشاكون فيما لديهم من حقٍّ أو الحاقدون على الدين الحق الساعون في الكيد بأهله أو المتأثرون بأفكار وافدةٍ زُخرفتْ وزُيِّنَتْ ولبست لباس المُنْطِقِ والعقلِ والواقعيةِ وعدم الأنانِيَةِ في طرح الأقوالِ وتقبل قول الآخر.

إن القائلين بنسبية الحقيقة يُعرضون عن طرح القضايا المفصلية المميزة ويُروجُّون لقضايا مشتركةٍ يدعو لها الجميعُ طَمَعاً في قبولِ الآخرِ لَهُ ووصفه بالعقلاني والمنصف، ولكن إن طُرحت خرافة التثليث عند النصارى وعقيدة التوحيد لدى المسلمين فكيف نقول بأن ما لديهم حق وما لدينا حقٌّ؟ العقل قبل الدين يرفض قبولَ هذا التناقض ولكن دعاة التعددِ يقبلون بحجة أن الغاية واحدة وهي الإقرارُ بوجودِ الله فالتثليث والتوحيد يقودان إلى الإقرارِ بوجودِ الله ، فيدَّعون أَنَّ الحقيقةَ المطلقةَ هي في الاعتراف

بالله وأن سائر الأديان هي طرق ووسائل للإقرار بوجود الله وما علموا أن الفطرة البشرية لابد أن تعترف بوجود خالق حكيم مدبر لهذا الكون ولا يمكن أن تكون خاوية من الاعتراف بالله العلي العظيم، فالاعتراف بوجود الله لا يحتاج إلى دليل، والمنكر لله جاحد في الظاهر مستيقن في الباطنِ كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل:١٤] ولكن الحقيقة المطلقةَ الواحدة هي في الطريق الموصل لمعرفة الخالق وصفاته وأسمائه عن طريق رُسُلِهِ الذين أتواْ جميعاً بالإسلام ذي العقيدة الصافية البسيطة المتحررة من قيود البشر وآخر الأنبياء محمد ﷺ الذي لم يأت في جانب التوحيد بجديد وإنما أتى بما جاء به إخوانُهُ قبله من التوحيد النقيِّ الداعي إلى تعظيم الجبار وإفراده بالعبادة إذاً فالحقيقة المطلقةُ التي لن يقبل الله من أحدٍ صرفاً ولا عدلاً هي حقيقة محمدٍ ﷺ التي تؤكد على أُحادية الحق ونبذ الباطل قال ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله »[١] فالنبيُّ الكريم ﷺ يبين أن حرمة الدمِ والمالِ لا تكون فقط بالاعترافِ بوجودِ الله بلَ لابد أن يُضاف إليها الكفرُ بالباطلِ أي بما يُعبد من دون الله وما يترتب على الكفر بالباطل من التخطئة والحكم بالبطلان لمن لا يكفر بما يعبد من دون الله من أصنام وأحجار وإنسانٍ وسائر العقائد الباطلة، والقرآنُ العظيمُ يُؤَكِّدُ على هذا الأمر بحكمه الواضح بالكفر على أهل مكة مع أنهم معترفون بالله العلي العظيم قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [لقمان:٢٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ﴾ [البينة:٦] فالحقيقة المطلقة تكون في الأهداف والغايات وتكون كذلك في الوسائل والطرق الموصلةِ لغاية واحدةٍ فالطريق الوحيد الصحيح المقبول هو طريق محمد ﷺ لا طريق غيرها أبداً للصحة والقبول عند الله ﷻ .

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ص(٢٣) برقم (٣٧) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله من حديث أبي مالك الأشجعي.

وأما القائلون بتعدد الحقائق أو بنسبية الحقيقة فهم [١]:

١-الفلاسفةُ. ٢- غلاة الصوفيةِ. ٣-الباطنيةُ. ٤- العصرانيون.

أولاً: الفلاسفة:

« لفظ فلسفة مشتق من اليونانية وأصله (فيلا- صوفيا) ومعناه محب الحكمة ويطلق على العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو صالح » [٢].

أ- موقف الفلاسفة الإسلاميين من الحق: تبنَّى فكرة الدعوة إلى تعدد الحقيقةِ في الفكرِ الفلسفي العربيِّ المتسبِ للإِسْلَام الفيلسوفُ العربيُّ ابن رشدٍ والفارابيُّ في المدينة الفاضلة « فقد جوز ابن رشد مخالفة الإجماع في النظريات وإن لم يجوزه في العمليات ذلك أنه رأى أن الطريق في الشرع ليس واحداً بل كثير وكل واحد من الناس يطلب الحق بالطريق الذي يلائمه ويليق به وأما ما ينشأ من خلاف بين النظر العقلي وظاهر النص فيمكن رفعه بتأويل النص أي جلاء معناه الباطن والوقوف على دلالته الحقيقية وهذا يعني أولاً فتح المجال أمام تعدد الآراء واختلاف التأويلات في الأصول ما دامت الطرقُ مختلفةً والأبواب متعددة ويعني من جهة ثانية أن الحق قد يوجد عند الغير وإن كان غيرَ مُسْلِمٍ وبذلك انفتح ابن رشد على المغايرة خارج الملة والأمة بل ذهب فعلياً إلى أقصى ما يحتمله مثل هذا الموقف فاعتقد بأن الحق « كَمُلَ » مع الفيلسوف اليوناني أرسطو وإذا كان صاحب « فصل المقال » فد قبل المغايرة بتعدد الطرق الموصلةِ إلى معرفةِ الْحَقِّ، فإن الفارابيَّ كان قد سبق ابنَ رُشْدٍ إلى مثل هذا الموقفِ ولكنه نفذ إلى المغايرة من خلال اختلاف «المثالات » فلقد اعتبر أبو نصر أن الحقيقة واحدةٌ[٣] ولكن مثالاتها مختلفةٌ ورموزها متباينة بين جماعة وأخرى ذلك أن كل أمة وملة أو طائفة تمثل على الأشياء وتتخيل الحقائق بما يحاكي ظروفها وشروطها وبما يناسب لغتها وأعرافها... من هنا

---

(١) والحقيقة التي أقصدها هي ما ذكرته ص(١٦٤).

(٢) المعجم الفلسفي د/ جميل صليبا (٢/ ١٦٠)، والمعجم الفلسفي التابع لمجمع اللغة العربية ص(١٣١)، عالم الكتب بيروت ١٣٩٩هـ.

(٣) الحقيقة التي تصورها في مدينته الفاضلة لا الحقيقة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ.

اعتقد الفارابي بوجود أمم وملل فاضلة كثيرة فالحق لا يقتصر إِذَنْ على أمة واحدةٍ أو ملةٍ بعينها ما دامت كل جماعة لا تدرك الحق متصوراً بَلْ مُتَخَيَّلاً »[١].

« والفارابيُّ يقرر أن الحقيقةَ واحدةٌ وإن اختلفت الطرق المؤدية إليها وهذا الإيمان بوحدة الحقيقة هو الذي حمله على الجمع بين رأيي أفلاطونَ وأرِسْطُو وبين معطيات العقل ومعطيات الوحي، وإذا كان قد بذل مجهوداً عظيماً في إثبات النبوة[٢] إثباتاً عقلياً وعلمياً، فمرد ذلك إلى رغبته في الرد على الذين يحاربون جميع الأديان وينكرون النبوة وكثيراً ما كان يؤول النصوص الدينية تأويلاً موافقاً لنظرياتِهِ الفلسفيةِ »[٣].

وأما الفيلسوف ابن رشد فيقول عَنْهُ فرح أنطوان « كأنه قال بأن جميع الأديان صحيحةٌ في حد ذاتها إذا عمل الناس بفضائلها لأنها كلها لا غرض لها سوى الترغيب في الفضائل لإبلاغ الناس السعادة في الدارين كأنه قال إن الذي يطعن في أحد الأديان ليثني على دين آخر سواء كان ذلك بحق أو من غير حق يكون كمن يطعن على جميع المبادئ الدينية العامة المشتركة بين جميع الملِ »[٤].

ويرى عبده الحلو أن ابن رشد من القائلين بحقيقتين لا بحقيقة واحدة ويتمثل ذلك في مؤلفاته التي تعبر عن الحقيقة الدينية وشروحه التي تنتصر للحقيقة الفلسفية[٥].

« وعلى هذا النحو يمضي عاطف العراقي مؤكداً أن فلاسفة الإسلام بما فيهم ابن رشد قد عجزوا عن التوفيق بين الحكمة والشريعة والبرهنة على أنهما يمثلان حقيقة واحدة وفي الوقت نفسه يرفض العديد من التأويلات السابقة عليه حيال هذه القضية .. وانتهى إلى القولِ بازدواجية الحقيقة عند ابن رُشْدٍ وأن الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية

---

(١) نقد الحقيقة على حرب ص(٣٩-٤٠).

(٢) وذلك على رأي الفلاسفة أن النبوة مكتسبة لا اصطفاء رباني .

(٣) تاريخ الفلسفة العربية جيل صليبا ص(٤٥٧).

(٤) الأبعاد التنويرية للفلسفة الرشدية د/ عصمت نصار ص(٦٧).

(٥) الأبعاد التنويرية للفلسفة الرشدية ص(٧٥).

لا يمكن الجمع بينهما في نسقٍ عقليٍّ واحدٍ »[١].

وعلى النقيض من هذا الرأي يرى عثمان أمين أن الحقيقة عند ابن رشد حقيقة واحدة يمكن أن تعرض على الناس في صور متباينة[٢].

وكذلك يرى محمد عمارة أن الحقيقةَ عند ابنِ رشدٍ حقيقةٌ واحدةٌ « لكن الزعم بأن ابن رشد هو من القائلين بثنائية الحقيقة لا بوحدة الحق هو الادعاء الذي تنقضه وتفندهُ إبداعات فكر هذا الفيلسوف العظيم... فالحق واحد والتعددُ هو من طُرُقِ التصديقِ لهذا الحق الواحد ... »[٣].

ويرى محمد عابد الجابري أنَّ ابن رشد لا يقول بحقيقتين إحداهما للخاصة والأخرى للعامة بل يؤكد على حقيقة واحدة ولكن إدراك العلماءِ لهذه الحقيقةِ الواحدةِ يختلف عن إدراك الجمهور لها[٤].

والذي يتأمل كتابي ابن رشد « فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » وكتاب « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » يرى أن ابن رشد من القائلين بحقيقتين حقيقة شرعية تخص العامة كما وضحها في كتابه « الكشف عن مناهج الأدلة » وحقيقة فلسفية عقلية للخواص لا ينبغي للعوام الإطلاعُ عليها كما وضحها في كتابِهِ « فصل المقال » فمن يقرأ هذين الكتابَيْنِ يصل إلى جملة من الحقائق وهي:

١-أن ابن رشد[٥] من القائلين بتعدد الحقيقة فعندما تكلم على مسألة معاد الأجساد

---

(١) المرجع السابق ص(٥٧).

(٢) المرجع السابق ص(٥٥).

(٣) المسلم المعاصر عدد (٨٦) ١٤١٨هـ مقاله لمحمد عماره بعنوان « ابن رشد بين الغرب والإسلام » ص(١٣).

(٤) ابن رشد سيرة وفكر محمد عابد الجابري ص(١٨٠).

(٥) أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد القرطبي المشهور بابن رشد الحفيد فيلسوف فقيه طبيب مات عام ٥٩٥هـ من أهم مؤلفاته « بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه » . انظر: شذرات الذهب (٤/ ٣٢٠)، ومعجم المؤلفين (٨/ ٣١٣).

جعل أهل البرهان حقهم فيها الاختلاف فقال: «ويشبه أن يكون المخطئ في هذه المسألة من العلماء معذوراً والمصيب مشكوراً ومأجوراً وذلك إذا اعترف بالوجود وتأول فيها نحواً من أنحاء التأويل أعني في صفة المعاد لا في وجودِهِ إذا كان التأويلُ لا يؤدِّي إلى نفي الوجودِ »[١] وأما العوام فالاختلاف في حقهم كفر والواجب عليهم حملها على الظاهر فيقول: « وأما من كان من غير أهل العلم فالواجبُ عليه حملها على ظاهرِهَا وتأويلها في حقه كفرٌ لأنه يؤدي إلى الكُفْر ولذلك ما نرى أن من كان من الناس فرضه الإيمان بالظاهر فالتأويل في حقه كفر لأنَّه يؤدي إلى الكفر فمن أفشاه من أهل التأويل فقد دعاهُ إلى الكفر والداعي إلى الكفر كافر ولهذا يجب أن لا تثبت التأويلات إلا في كتب البراهين لأنها إذا كانت في كتب البراهين لم يصل إليها إلَّا من هو أَهْلُ البرهان»[٢].

فهل بعد طلوع الشمس دليل على وضوح النهار؟ فهنا ابن رشد يؤكد وجود حقيقتين حقيقةٌ للعوام لا يجوز لهم تعديها وإن فعلوا كفروا كما زعم، وحقيقةٌ للخواص يُدركونها بعقولهم ولا يجوز لهم تعليمها للعوامِ وإن فعلوا فهم كُفَّارٌ لأنَّ الدَّاعِيَ إلى الكفر كَافِرٌ فكيف يمكن أن نقول أنها حقيقةٌ واحِدةٌ وهو يحكم على المخالف بالكفر..؟

٢-ينكر ابن رشد إمكانية الإجماعِ في مسائلِ العقيدةِ بحجة أن مسائل الدين والعقيدة لها باطن يعلمه العلماء وظاهر للعوامِّ فيقول: « فكيف يمكن أن يتصور إجماع منقول إلينا عن مسألة من المسائل النظرية ونحن نعلم قطعاً أنه لا يخلو عصر من الأعصار من علماء يرون أن في الشرع أشياءَ لا ينبغي أن يعلم بحقيقتها جميع الناس؟

وذلك بخلاف ما عرض في العمليات : فإن الناس كلهم يرون إفشاءها لجميع الناس على السواء ونكتفي بحصول الإجماع فيه بأن تنتشر المسألةُ فلا ينقل إلينا فيها خلافٌ فإن هذا كافٍ في حصولِ الإجماعِ في العملياتِ بخلاف الأمرِ في العلمياتِ »[٣] فمن ينكر الإجماعَ في مسائل العقيدةِ هل يقول بحقيقةٍ واحدة؟ مع أن ابن رشد صرح

(١) فصل المقال ص(١١٣).

(٢) فصل المقال ص(١١٣).

(٣) فصل المقال ص(١٠٠).

بوجود حقيقة للعلماء وحقيقة للعوام.

٣-يرى ابن رشد أن هناك ظاهراً للعقائد يخص الجمهورَ فيقول « فقد رأيت أن أفحص في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائدِ التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها ونتحرى في ذلك كله مقصد الشارع ﷺ بحسب الجهد والاستطاعة »[١].

يفهم من الكلام السابق أن هناك ظاهراً للعقائد للجمهورِ وباطناً للعقائد لغير الجمهورِ وَهُم العلماء أصحاب البرهان الذين خاطبهم ابن رشد في كتابه فصل المقال فهو يؤكد وجود حقيقتين إحداهما للعامة و الأخرى للخاصة.

٤-يرى ابن رشد أن الشرائع متفقة على إثبات أحوال النفوس بعد الموت واختلافهم في التمثيل وأن شريعة محمد أتمها وأحسنها للجُمْهُور فقال « فالشرائع كلها كما قلنا متفقة على أن للنفوس مِنْ بَعْدِ الموتِ أَحْوَالاً من السَّعَادَة أو الشَّقَاءِ ويختلفون في تَمْثِيل هذه الأحوال وتفهيم وجودها للناس.

ويشبه أن يكون التمثيل الذي في شريعتنا هذه أتم إفهاماً لأكثر الناس وأكثر تحريكاً لنفوسهم إلى ما هنالك والأكثرهم المقصود الأول بالشرائع... »[٢].

ثم ذكر اختلاف الناس هَلْ هُوَ تَمْثِيلٌ روحانيٌّ أو جسمانيٌّ وذكر تفاصيل أُخَرَ[٣].

ثم ذكر رأيه فقال: « والحق في هذه المسألةِ أَنَّ فرض كل إنسان فيها هو ما أدى إليه نظره فيها بعد أن لا يكون نظراً يفضي إلى إبطال الأصل جملة وهو إنكار الوجود جملة فإن هذا النحو من الاعتقاد يوجب تكفير صاحبه لكون العلم بوجود هذه الحال للإنسان معلوماً للناس بالشرائع والعقول فهذا كله ينبني على بقاء النفس »[٤].

من خلال الكلام السابق يتضح أن ابن رشد يرى أن الحقيقة الشرعية في جانب

---

(١) مناهج الأدلة ص(٩٩).

(٢) مناهج الأدلة ص(٢٠٢).

(٣) انظر: مناهج الأدلة ص(٢٠٣).

(٤) مناهج الأدلة ص(٢٠٤).

العقائدِ متعددةٌ فمسألة المعاد من المسائل الشرعية التي لا يُقبل فيها إلا نص القرآن العظيم وهو الحق لا غيره وابن رشد يرى أن الحق فيها متعدد على حسب رأي المجتهد بل إن كلامه السابق يؤخذ منه تصحيح دين اليهود والنصارى وأن شريعة محمد ﷺ ليست ناسخة للشرائع قبلها بل هي فقط « أتم إفهاماً لأكثر الناس » لا كلهم، وابن رشد يخلط ما بين الشريعة والعقيدة فما ذكره من مسألة المعاد هي من مسائل العقيدة والدين التي لم يختلف فيها الأنبياء جميعاً لا من مسائل الشريعة التي حصل فيها الاختلاف بين الأنبياء فكانت شريعة محمد ﷺ ناسخة لما قبلها من الشرائع فلن يقبل الله من أحد شريعة إلا ما جاء به محمد ﷺ .

وخلاصة هذه المسألة أن الفلاسفة قَدَّموا عقولهم على النصوصِ الشرعية فجعلوا هناك حقيقتين حقيقة عقلية فلسفية وحقيقة شرعية فإذا تعارضتا وجب تقديم الحقيقة العقلية اليقينية وتأويل الحقيقة الشرعية بما يناسب البرهان العقلي فتقديم العقل على النقل هُوَ أساسُ القول بتعدد الحقائق في مسائل العقيدة لأن العقول متفاوتة في الفهوم والإدراك فوجب عند الاختلاف قبول عقل الآخر مما ينتج عنه تعدد الحقائق لتعدد العقول.

ب: موقف الفلسفة المعاصرة من الحق:

وأما ما يتعلق بالفلسفة المعاصرة فقد ورد في المعجم الفلسفي في مادة الدين «وللفظ الدين في الفلسفة الحديثة عدة معان:

١-الدين جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله وعبادتها إياه وطاعتها لِأَوامِرِهِ.

٢-والدين أيضاً هو الإيمان بالعلم أو الإيمان بالتقدم أو الإيمان بالجمال أو الإيمان بالإنسانية ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبدالذي يحب خالقه ويعمل بما شرعه لا فضل لأحدهما على الآخرِ إلا بما يتصف به من تجرد وحب وإخلاص وإنكار للذات.

٣-وإذا أطلق لفظ الدين على الملة دل على جماعة معينة من الناس هدفها تمجيد الله

وعبادته كالدين المسيحيِّ فهو ملة ذات نظامٍ خاصٍّ لها قوانينها وتقاليدها وتعاليمُهَا »[١].

ويقول الفيلسوف الفرنسي أميل دوركايم[٢] في الدين « الدين هو مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمالِ المتعلقةِ بالأشياءِ المقدسةِ؛ اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية واحدة تسمى الملة » [٣].

وأما الفيلسوف الألماني « كانط »[٤] فيقول عن الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية » [٥].

وورد في قاموس أكسفور أن الدين هو التسليم أو الاعتراف بوجود قدرة متحكمة فوق بشرية وخصوصاً الإله ذو الطبيعة الواعية وهذه القدرة تدعي الحق في إطاعتها »[٦].

وعرف الأمريكان الدين بأنه الإيمان والشعور بالورع تُجاهَ قُدْرَةٍ فوق الطبيعة يعترف بها بأنها القدرة الخالقة والمتحكمة في هذا الكون » [٧].

كل هذه التعاريف تؤكد على تعدد الأديان وصحتها وبالتالي فهي تعريفات تَتَبَنَّى نظريةَ تعددِ الحقيقة ونسبتها وأن كل الأديان حق وصواب.

« والنسبية مذهب من يقرر أن كل معرفة « أو كل معرفة إنسانية » فهي نسبية » [٨].

---

(١) المعجم الفلسفي جميل صليبا (١/ ٥٧٢).

(٢) أميل دوركايم اليهودي ولد عام ١٨٥٨م ومات عام ١٩١٧م، يعتبر من كبار علماء الاجتماع المادي من أهم كتبه « تقسيم العمل الاجتماعي » . انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة (١/ ٥٨٥).

(٣) الحقيقة المطلقة ص(١٩٢).

(٤) كانط أو كنط « عما نوئيل » فيلسوف ألماني ولد عام ١٧٢٤م، ومات عام ١٨٠٤م، حاول كانط أن يجمع بين النزعة العقلية والتجريبية في الفلسفة من أهم كتبه « نقد العقل النظري » « ونقد العقل العملي » . انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة (٢/ ١١١٥).

(٥) المرجع السابق ص(١٩٣).

(٦) الحقيقة المطلقة ص(١٩٠).

(٧) المرجع السابق ص(١٩١).

(٨) المعجم الفلسفي (٢/ ٤٦٦).

وتعد الفلسفة الشخصانية التي نادى بها الفيلسوف الفرنسي « شارل رينوفييه »[1] أن الحقيقة نسبية أي متعددة « وينطلق دينوفيه في تأكيده لنسبية المعرفة من توحيده للمعرفة والاعتقاد فالمعرفة تتسم بالفردية لكونها صادرةً من الوعي الفردي نفسه ولذا فإن التمييز بين المعرفة والاعتقاد يختفي ويزولُ لأنني لا يمكن أن أميز بين معرفتي للشيء واعتقادي به فكل ما أعتقد به وبصحته فهو حقيقي وكل مالا أعتقد به باطل من وجهة نَظَرِي فَأَنَا من يصدر الأحكام على الأشياء »[2].

ويرى الفيلسوف الوجودي كير كجارد[3] أن الحقيقة تأتي عبر الفعل والممارسة وأن الإيمان اعتقاد شخصي محض ولذا فإنه يرفض أن نتعلم الحقيقة من الآخرين بل يؤكد أنها اكتشاف للفرد ذاته ولذا فإنه يرفض الحقيقة المطلقة والاختيار الوحيد أن هناك حقائق واختيارات بقدر الأفراد والتجارب »[4].

ويرى الفيلسوف الألماني فرديك نيتشه أن الحقيقة نسبية متعددة بتعدد الأفراد والشعوب : « إن الحقيقة ضرورة ونحن الذين نحولها إلى وجود فالمعرفة هي عملية تفسير ولذا يؤكد نيتشه أنه لا توجد حقيقة مطلقة وأن فكرة الحقيقة المطلقة هي اختراع للفلاسفة غير المقتنعين بعالم الضرورة ويبحثون عن عالم ثابت من الوجود »[5].

ويؤكد الباحث د/ حسن الكحلاني أن الشخصانية تمثل النزعة الليبرالية والديمقراطية المعاصرة[6] وهذا الكلام السابق مما يبين أن الفكر الليبرالي يرى تعدد

---

(١) شارل بير تارد رينوفييه فيلسوف فرنسي اقتنع بالفلسفة الشخصانية ولد عام ١٨١٥م ومات عام (١٩٠٣م) من أهم كتبه « الشخصانية » وهو آخر كتبه. انظر: موسوعة الفلسفة (١/ ٦٨٠).

(٢) الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر د/ حسن الكحلاني ص(٢١٨).

(٣) كير كجارد « سورين » أبو الفلسفة الوجودية دانمركي ولد عام ١٨١٣م، ومات عام ١٨٥٥م وأهم كتبه « إما أو » و « الخوف والرعدة » . انظر: موسوعة الفلسفة (٢/ ١١٤٣).

(٤) الفردانية د/ الكحلاني ص(٥٧).

(٥) الفردانية ص(٨٤).

(٦) الفردانية ص(٣٧٦).

الحقائق وتنوعها في المجتمع الواحد ويصحح فكر ومعتقد الآخَرِ ويرى نسبية الحقيقة بمعنى أن الحق والصواب لا يكون في معتقدٍ واحد بل في حقائق متعددة.

يقول المفكر الفرنسي « روجيه جارودي » في الملتقى الإبراهيمي الذي دُعي إليه في قرطبة عام ١٩٨٧): « إن رسالة القرآن عالمية وتحويل هذه الرسالة إلى التقاليد الخاصة بحقبة من الزمن أو بشعب ما يعتبر دفاعاً عن فلكلور وليس عن عقيدة .. استرجاع رسالة إبراهيم التي هي موحدة وذلك للإجابة والرد على التحديات في عصرنا هذا بعيداً عن تناقضاتنا »[١] فيدعو إلى تصحيح الأديان الباطلة من اليهودية والنصرانية بدعوى الإبراهيمية ويقول أيضاً: « إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية في فكر ورأي النبي ﷺ كانت إقامة ما تسميه اليوم : « وحدة فيدرالية » للطوائف الدينية.. أي على الإيمان بمعناه الأرحب والأوسع مع الملحدين لأنه ممكن أن يكون لديهم إيمان بالإنسان » .

ويقول أيضاً: « وليكن كلٌ منا ما يكون مسلماً أو مسيحياً فإن ذلك لا يفصله عمن لا يشاركه دينه.. وسنلتقي جنباً إلى جنب مع كل أعضاء البشرية التي تحطم قيود الجزئي قيود الفردية والقومية التي تَفُتُّ العالم »[٢].

ويعتبر المفكر الفرنسي « روجيه جارودي » من دعاة وحدة الأديان وبالتالي من دعاة تصحيح المعتقدات الأُخْرَى غير الإسلام كما هو واضح من كلامه السابق ويكفي أن يرد عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥] وقوله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار »[٣].

وأما الفلسفة البراجماتية فيمكن أن نوجز نظرتهم للحقيقة فيما يلي:

---

(١) دعوة التقريب بين الأديان (١/ ٣٤١).

(٢) المرجع السابق ص(٣٤٢).

(٣) سبق تخريجه.

١-إن نظرية الحقيقة « أو الصدق » البراجماتية تقر بأن الحق أمر يحدث للفكرة أكثر من أن يكون خاصية ثابتة للفكرة التي نحاول الكشف عنها فقبل أن يكتشف المرء ما إذا كان أي اعتقاد أو فكرة أو نظرية من شأنه أن يعمل فلا يكون صحيحاً ولا خاطئاً ومن خلال عملية اختيار الاعتقاد على أساس نتائجه واتفاقه مع غيره من الاعتقاد يصبح المعتقد صحيحاً أو خاطئاً أو أكثر صحة أو أقل صحةً.

٢-إن الحقيقة أو « الصدق » ليس أمراً جامداً وغير قابلٍ للتغير بل هو ينمو ويتطور مع الزمن ففي الأزمنة المتعددة من التاريخ الإنساني ربما تكون هناك نظريات وأفكار مرضية بالنسبة للمشكلات التي كانت سائدة آنذاك وقد لا تصلح لأزمنة أخرى فنكون بحاجة إلى نظريات جديدة أو أفكار جديدة تواجه هذه المشكلاتِ الجديدة ومعنى ذلك أن الأفكار إنما تخضع لتطورات مختلفة تبعاً للمشكلات التي تواجه الجنس البشري ولما كانت هذه الأفكارُ تتعاملُ مع هذه المشكلات فهي تكون صادقة ما دامت مفيدة ولا تكون كذلك إذا لم يكن لها عمل تؤديه وعلى ذلك فالفكرة قد تؤدي عملاً لفترة وبالتالي تصبح صادقة ولكنها قد تفشل بعد ذلك في أداء هذا العمل ولا تترتب عليها نتائج مرضية أو لم تعد متحققة بالتجارب اللاحقة فتصبح عندئذ فكرة كاذبة، وبذلك يكون الصدق والكذب والحق والباطل والصواب والخطأ كلها مفاهيم نسبية وليست مطلقةً[١] إن هذا الكلام أشبه ما يكون بكلام الثمل الذي لا يعي ما يقول فكيف تجعل الفصل في صدق أو حقيقة فكرةٍ ما بقدر ما تُقدم نفعاً لصاحبها إذ أن فكرة إبادةِ الشعوبِ لتحقيق نفع لجماعةٍ ما، لا يمكن أن يُقال أن هذه الفكرة صادقة وجيدة لأنها تحقق لصاحبها نفعاً؟ أما في جانب العقيدة « فإننا لو قلنا لشخصٍ ما إنني أعتبر أن عقيدتك خرافة ولكن إذا كانت مفيدة لك فهي عقيدة حقيقية بالنسبة لك أليس في ذلك سخرية به »[٢].

---

(١) الفلسفة المعاصرة د/ محمد مهران ص(٦٨)، ونظرية الفلسفة بين القرآن والسنة د/ راجح الكردي (١١١/٢).

(٢) مقدمة الفلسفة المعاصرة ص(٧٩).

ولو أن المذهب البراجماتي جعل من شرط الدين الحق تحقيقه المنفعة لصاحبه في الدنيا والآخرة لكانت نظرية صادقةً على الدين الحق دين الأنبياء جميعاً الإسلام الذي يحقق لمعتنقيه المنفعة الروحية والمادية في الدنيا والآخرةِ دون أن يهمل أحدهما على حساب الآخر.

وبالجملة فالفلسفة المعاصرة لا ترى أن الدين مصدره اللهُ بل مصدره البشر وبالتالي لا يوجد دينٌ واحدٌ معه الحقيقةُ المطلقةُ بل أديان متعددةٌ « إذ التعددية لدى وليم جيمس تعني أن مسئولية تطوير الكون تقع على عاتق الإنسان، إنطلاقاً من أن الكون غير كامل وهو في سبيلِهِ إلى الكمالِ ولا يتم ذلك لدى جيمس بمعزل عن الإنسان ويتعارض ذلك الموقفُ بالطبع مع موقف فلاسفة المطلق « يقصد بفلاسفة المطلق الذي يقرون بوجود الله فقط مع جواز تعدد الأديان » وما يذهبون إليه من حيث أن الكمال يُسَيطرُ على الكونِ لديهم وما يترتب على ذلك من تعطيل لإرادة الإنسان وتنشيط لهمه كما يرى جيمس »[١].

وإن مما نتج عن المذاهب الفلسفية المعاصرة المذاهب الفكريـة المختلفـة في عرضـها المتفقة في مضمونها كالعلمانية والديمقراطية والعولمة والإنسانية والليبرالية التي تدعو إلى قبول الآخر والاعتراف بِهِ وبحقوقه حتى ولو كانت إلحاداً وفسوقاً ،وبذلك يـصححون جميع الأديانِ وينكرون على من ينكرها بحجة أن تعدد الأديان والأفكار والمذاهب هدفه الأساسي هو إسعاد الإنسان ولا يتم ذلك إلا بتعدد الحقيقة الدينية المتمثل في نسبية الحق عند الجميع وأن احتكار الحقيقة وأحاديتها ينافي الحريـة المقدسـة وينـافي كـذلك إسـعاد الإنسان.

فالعلمانيةُ تعنِي عزلَ الدِّينِ عن الدولة والحياة عموماً وبالتالي يتكون لدى الفرد حقيقة دينية حبيسة القلب محصورة في الشعائر التعبدية وحقيقة حياتية دنيوية لا تعارض الحقيقة الدينية لأنها قائمة على مقولة أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » كما نقول حق محمد أن يملك أرضاً وحق أحمد أن يملك بيتاً ولا تعارض بين الحقين لتعدد الحقوق.

وأما الديمقراطية والعولمة والإنسانية والليبرالية فهي تدعو إلى نبذ الأُحادية في

---

(١) الفلسفة والاعتقاد والدين د/ محمد عبدالحفيظ ص(٩٩).

الحقِّ وتتبنى التعدد ونسبية الحقيقة لأن هدفهم الاعتراف بالآخر وبأحقيتهِ في حرية معتقده إذا كان هذا المعتقد يحقق له السعادة ولو كان في الإلحاد فيمنع ذم معتقدِ المخالفِ لك بل يُطلب منك تصحيح مذهبه أو على الأقل عدم تخطئته فيجب أن يسود العالم الدين العالمي المبني على احترام عقائد الآخرين ونبذ الفرقة والاختلاف العقدي والتوحد حول هذا الدين الجديد الذي يصحح جميع الأديان والمذاهب والآراء أو ينهى عن القدح فيها أو ذمها.

ثانياً: غلاة الصوفية:

التصوف حركة دينية انتشرت في العالم الإسلاميِّ في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة تعبيراً عن فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل المشروعة ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية الهندية والفارسية واليونانية المختلفة[1] فظهر ما يعرف في الصوفية بالغلاة القائلين بوحدة الوجود وبالحلول والاتحاد الذين لا يرون فرقاً بين المسلم واليهودي والمشرك وأن الحقيقة الدينية متعددة لدى الجميع يقول شيخ الإسلام: « وهؤلاء المتفلسفة ومتصوفوهم كابن سبعين وأتباعه يجوزون أن يكون الرجل يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً يعبدالأوثَانَ فليس الإسلام عندهم واجباً ولا التهود والتنصر والشرك محرماً لكن قد يرجحون شريعة الإسلام على غيرها وإذا جاء المريد إلى شيخ من شيوخهم وقال أريد أن أسلك على يديك يقول له: على دين المسلمين أو اليهود أو النصارى؟ فإذا قال له المريد اليهود والنصارى أما هم كفار؟ يقول لا ولكن المسلمون خير منهم »[2] ويقول برهان الدين البقاعي[3] « وعلى هذا الأصل المخبث الخبيث. وهو

---

(١) الموسوعة الميسرة (١/ ٢٤٩).

(٢) الرد على المنطقيين ص(٢٨٢).

(٣) برهان الدين البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن مفسر ومحدث ولد عام (٨٠٩هـ) ومات عام (٨٨٥هـ) =

الاتحاد بين جميع الكائنات وأنه لا غير ولا غيرية في شيء من الوجود، فرع صحة كل دين لأن الفاعل عنده إنما هو الله »[١].

ويقول المستشرق الإنجليزي وينولد ألين ينكسون « ومن لوازم مذهبهم في وحدة الوجود أيضاً قولهم بصحة جميع العقائدِ الدينيةِ أياً كانت »[٢].

« والحق فإن النظرة الصوفية إلى المختلف هي أكثر رحابة وأصالة.. فالحق أي الوجود بذاته ليس واحداً عند أرباب الطريقة وبخاصة عند ابن عربي بل كثير ومتعدد .. فينفتح بذلك على جميع الآراء والاعتقادات.. ويتوحد مع كل الأديان ويتعرف إلى الله في كُلِّ معتقد[٣].

يقول ابن عربي[٤]: « فإياك أن تتقيد بعقد مخصوص وَتكفُرَ بما سواه فيفوتك خير كثير بل يفوتك العلم بالأمر على ما هو عَلَيْهِ فكن في نفسك هيولى لصور المعتقدات كلها فإن الله تعالى أوسعُ وأعظمُ من أن يحصره عقد دون عقد... فالكل مصيب وكل مصيب مأجور وكل مأجورسعيد وكل سعيد مرضيٌّ عنه »[٥].

وقال عبدالكريم الجيلي:

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى ... ومالِيَ عن حكم الحبيب تَنَازُعُ

فطوراً تراني في المساجـــــــد رَاكِعـاً ... وَإنِّي طَوْراً في الكَنَائِس رَاتِـعُ

من أهم كتبه « تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي » . انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٥٦).

(١) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي ص(٢٤٠).

(٢) دعوة التقريب بين الأديان (١/ ٣٨٥).

(٣) نقد الحقيقة على حرب ص(٤٠-٤١-٤٢).

(٤) محي الدين أبو بكر بن علي الطائي ابن عربي الصوفي صاحب وحدة الوجود مات عام ٦٣٨هـ من كتبه « الفصوص » انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨).

(٥) فصوص الحكم ص(١٩١).

إذا كنت في حكم الشريعة عاصيـــاً فَإِنِّي في عِلْمِ الْحَقِيقَةِ طَائِــعُ[(١)].

وما زال متصوفة العصر الحاضر يقولون بقول أجدادهم حيث يقول أحدهم « جوهر أديان السماء كلها وما جاءت به من شرائع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وبوذا وغيرهم من الأنبياء والحكماء ما هو إلا نقل الإنسان وتطويره من السيء إلى الحسنِ ثم إلى الأحسنِ ومن الجهلِ إلى العلمِ ومن الشقاءِ إلى السعادةِ ومن الظلمِ إلى العدالةِ والتراحمِ والمحبةِ » أما الاختلاف بين الإسلام وسائر الأديان فـ « مثله مثل الزهور المتنوعة الألوان التي إذا اجتمعت في باقة متناسقة بهرت العيون وهزت الشعور »[(٢)].

وهكذا تمضي الصوفية في تصحيح المعتقدات الباطلة والدعوة إلى تعدد الحقائق في أُصُولِ العقيدة والانفتاح الكامل على غير المسلمين ممن يؤمن بوجودِ قوةٍ تحكم العالم بغض النظر عن هذه القوة ما هي؟ وكيف هي؟ وما صفاتها؟

ومن أجل ذلك دعم المستعمر الصوفية لأنهم أقرب الناس إليه تسليماً واتباعاً.

ثالثاً: الباطنية:

قال أبو حامد الغزالي[(٣)]: « إن الباطنيةَ إنما لقبوا بها لِدَعْوَاهُمْ أن لظواهر القرآن والأخبارِ بواطنَ تجري في الظواهر مجرى اللب من القِشْرِ وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة »[(٤)] وقال عبدالقاهر البغدادي: « الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دُهْرِيَّةٌ زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسلَ والشرائع كلَّها لميلها إلى استباحة كل ما يميل

---

(١) دعوة التقريب بين الأديان (١/ ٣٨٨).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٤٠).

(٣) أبو حامد: محمد بن محمد الطوسي الغزالي من أذكياء العالم ولد عام ٤٥٠هـ، ومات عام ٥٠٥هـ، الشافعي العالم المتفنن، من أهم كتبه: « إحياء علوم الدين » وكتاب « المستصفى ». انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٠١).

(٤) فضائح الباطنية ص(١١).

إِلَيْهِ الطبع »[١].

وهؤلاء الباطنية يقولون بتعدد الحقائقِ في مجال العقيدة فيقرون ويصححون جميع الأديان بحجة أنها طرق ووسائل لتقديس الله يقولون: « أن الدياناتِ والآراءَ والمذاهبَ إنما هي طرق ومسالك ومحاريبُ ووسائلُ والمقصود واحدٌ من أي الجهات توجهنا فثمَّ وَجْهُ الله »[٢] ويرون أن المثل الأعلى للرجل الكامل الخلق هو أن يكون فَارسيَّ النسب عربي الدِين عراقي الآداب عبراني المخبر مسيحي المنهج شامي النسك يونانيَّ العِلْمِ هندي البصيرة صوفي السيرةِ فلكيَّ الأخلاق رباني الرأيِ إلهيَّ المعارف»[٣].

وقد نقلت النصين السابقين من رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء لأن هذه الرسائل قبلة الباطنية ودستورهم يقول المستشرق دي بور: « إن آراء إخوان الصفاء ظهرت في جملتها من جديد عند فرق كثيرة في العالم الإسلامي:

كالباطنية والإسماعيلية والحشاشين والدروز وقد أفلحت الحكمة اليونانية في أن تستوطن الشرق وذلك عن طريق إخوان الصفاء »[٤].

رابعاً: العصرانيون:

إن ما يدعى بالفكر المستنير[٥] الذي يتبناه العصرانيون فكر دخيلٌ على الإسلام قد قلدوا فيه الفكر اليهودي التجديدي والفكر النصراني الإصلاحي[٦] فزعم هؤلاء أن الإسلام يحتاج إلى تجديد وإصلاح كما احتاجت اليهوديةُ والنصرانيةُ ، وما علم هؤلاء أو تجاهلوا أن اليهودية والنصرانية حرفتا عن الدين الحق الذي جاء به موسى وعيسى

---

(١) الفرق بين الفرق ص(٢٩٤).

(٢) رسائل إخوان الصفا (٢/ ٢٨٢).

(٣) رسائل إخوان الصفا (٣/ ٣١٦).

(٤) دعوة التقريب بين الأديان (١/ ٣٩٣).

(٥) انظر: العصرانيون ص(١٨٦).

(٦) مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد دار الدعوة، الكويت ١٤٠٥هـ ص(١١٠).

عليهما السلام وأنَّ محمداً ﷺ أرسله الله لإرجاع البشرية إلى الدين الحق الذي جاء به الأنبياء قبله فلا يحتاج إلى تجديد وإصلاح لأنه الدين الكامل كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] ولأنه الدين المحفوظ من التغيير والتبديل كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝﴾ [الحجر:٩] ولكن هؤلاء القوم قد فضحهم الله في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [آل عمران:٧٨].

وأما أفكار القوم فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

١-تطويع الإسلام لمسايرة المدنية الغربية فكراً وتطبيقاً.

٢-إنكار السنة إنكاراً كلياً أو شبه كلي.

٣-الدعوة إلى وحدة الأديان والفِرَقِ والمذاهبِ وأن الحق نسبيٌّ لا يملكه دين أو فرقة أو طائفة واحدة[1].

٤-الإفراط في تقديس العقل واعتباره الحاكم على نصوص القرآن والسنة.

٥-تجديد العلوم المعيارية « أصول الفقه -أصول التفسير- أصول الحديث » بما يتفق مع المعطيات المعاصرة:

٦-تتبع الآراء الشاذة والأقوال الضعيفة والرخص وعرضها في سياق الاختلاف المعتبر وذلك لأنها تتفق مع ما يدعون إليه.

٧-إنكار عقيدة الحاكمية لله، وإرجاعها إلى رأي الأمة المتمثل في الإمام وإنكار حَقِّ التشريع وإعطاءه لمجالسِ الأمةِ أو البرلمانات أو الشعب.

٨-تتبع الآيات المتشابهة وتأويلها تأويلاً عقلياً، والإعراض عن الآيات

---

(١) يرجع إلى ١-العصرانيون محمد حامد الناصر ٢-غزو من الداخل، جمال سلطان ٣- تجديد الفكر الإسلامي، جمال سلطان ٤- ثقافة الضرار، جمال سلطان.

المحكمة[1].

هذا مجمل أفكار القوم الخطيرة وسوف أتكلم عن قضية الدعوة إلى وحدة الأديان وتصحيح الأديان الباطلة.

فيرى العصرانيونَ أن الحق في أصول الدين متعددٌ وذلك بدعوتهم إلى وحدة الأديان التي يلزم منها تصحيحُ دين المخالف ، وإذا صحح العصرانيون دين المخالف فمعناه أن الحق معهم ومعناه أننا نحن المسلمين لا نملك الحقيقة الواحدة بل يملكها غيرنا معنا كما صرح بذلك بعضهم بقوله بنسبية الحقيقةِ[2] وقد حاولت أن أجمع أقوال القوم حول هذه المسألة المهمة ليتضح للمسلم مدى خطورة الدعوة إلى وحدة الأديان وتصحيح المعتقدات الباطلة:

١-يقول محمود حمود زقزوق « والعائق الأساسيُّ الأول أمام هذا الحوار الديني يتمثل في كيفية الجمع بين الاستئثار المطلق بالدين الحق وبين التسامح الضروريِّ حِيَالَ الدين الآخر فهذا الاستئثار من شأنه أن يؤدي إلى طرح الأسئلة التالية:

أليس ديني أنا، هو وحده الدينُ الصحيح؟.

أليست الأديانَ السماويَّةُ الأخرى كلها زائفةٌ؟!

ألسنا نحن وحدنا أصفياءُ الله المختارين؟!

... ومن المؤسف أن الميل قد ازداد في عصرنا الحاضر وبخاصة منذ نشأة الأصولية إلى اتِّخَاذِ مثل هذا الاستئثار الدينيِّ المطلق عباءة تسويغ لتطلعاتٍ إلى السلطة لا يُواريها إلا سِتارٌ واهٍ والمعروف أن نيقولاوسي كوزانوس كتب منذ أكثر من خمسمائة عام رأيه القائل بأن الأديان الإبراهيمية الثلاثة « اليهودية والمسيحية والإسلام » تشترك في الحقيقة المطلقة للدين الواحد، والقرآن يعلمنا أن الأديان كُلَّها متحدة في الدين الواحد الذي هو دين الله منذ خلق الإنسانِ.. ويحض الإسلامُ المسلمين بصريح العبارة على التسامح

---

(١) الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر العقل.

(٢) مفهوم تجديد الدين بسطامي محمد سعيد ص(١١٠).

الديني أي على أن يحترموا رسالات الله كلّها وأنبياءه كلّهم وعلى أن يعترفوا بالأديان السماوية الأخرى »[١].

إن ما ذكره الكاتب من عائق للحوار هو عائق وهمي إذا حدد المسلمون الهدف من الحوار هل هو دعوة المخالف للدخول في الإسلام؟ أم دعوته للقدر المشترك بيننا وبينه؟ وإذا كان الحوار هدفه الدعوة إلى الله فلا عائق لأن المسلمين من ثوابتهم أن ما لدى غيرنا باطلٌ جملةً[٢] وتَفْصِيلاً وما لدينا هو الحق.

فنحن المسلمين نحاورهم للدخول في الإسلام بالحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن أما إذا كان هدف الحوار التقاربَ معهم في القدر المشترك فهذا عائق حقيقي على رأي الكاتب، فلا يمكن أن ندعي أن ما لديهم حق وصواب وما لدينا حق وصواب فلا يمكن أن نقول إن اعترافهم بوجود الله مثل اعترافنا نحن المسلمين بوجوده سبحانه إذ اعترافهم بوجوده ﷻ يشوبه الشرك واعترافنا به ﷻ اعترافٌ بالله الواحدِ القهارِ الفرد الصمدِ الذي لم يلد ولم يولد فكيف يقال إن هذا قدر مشترك معهم؟ فهذا عائق كبير جداً.

٢-يقول الكاتب علي حرب في سياق حديثه عن الاختلاف من منظور قرآني « من هنا يتماهى الوحي مع كل الرسل والأنبياء والصالحين ويتحدث باسمهم ويروي أخبارهم ويعرض مقالاتهم ويصفهم بأحسنِ ما يكون الوصفُ ويخلع عليهم أفضل الشمائل إنه مقال المسلم ولكنه في وجه من وجوهه وبُعد من أبعادِهِ مقال للمسيحي واليهودي والبوذي » ويقول في موضع آخر « وأخيراً لا آخراً ليست الحقيقة أحادية بل هي هذا الشيء الذي لا يكُفُّ عن التعدد والتنوع .. ولهذا ليست الحقيقةُ سوى الاعتراف بحق الآخر » ويقول في موطن آخرَ « وهكذا ينبغي لكل أن يكتبوا ببيان الاختلاف معترفين ببعضهم البعض مقرين بأن الواحد هو شطر الآخر وبأن العقائد والمذاهب هي وجوه لحقيقة واحدةٍ والاعتراف بحق الغير بأن له حقيقةً وقسطه من الوجود يتطلب

---

(١) الإسلام والغرب ص(١٠٧-١١١).

(٢) أقصد في جانب العقيدة لا في جانب الأخبار.

ذِهْناً مفتوحاً وعقلاً نيراً كما يتطلب شجاعةً وزهداً.. ولا شك أن ذلك هو الذي يسهم في تخفيف حدة النزاعات ولأم الشروخ ونبذ العصبيات لبناء وحدة تجمع بين شعوب وقبائل وملل وطوائف وأحزاب وطبقات »[١].

لاشك أن الدعوة إلى وحدة الحقيقة على رأي الكاتب مسخٌ مشوهٌ لا يقبله عاقل وانسلاخ من الدين الذي جاء به محمد ﷺ إذ كيف لعاقل أن يقول إن اليهوديَّ والنصرانيَّ والبوذي وعابد البقر والمسلم يتفقون في حقيقةٍ واحدةٍ؟.

٣-يُعد محمد إقبال أبرز منظري حركة الإصلاح في القارة الهندية وله نظرته في الحقيقة الدينية « فهي تنهل من تراث حركة الوحدة الدينية بشكل واضح وجلي فقد تأثر بأفكار دارا شيكوه صاحب مجمع البحرين »[٢] وهذا السلطان المغولي تأثر في فكرة الوحدة الدينية بجده السلطان المغولي جلال الدين محمد أكبر الذي وضع ديناً جديداً سماه « الدين الإلهي الأكبري » وهو محاولة للجمع بين مختلف الأديان في الهند في دين واحد جامع شامل وحفيده المذكور ألف كما سبق ذكره كتابه مجمع البحرين الذي يؤمن فيه أن الحقيقة واحدة ولكنها تظهر بأشكال مختلفة مرتبطة بخصوصيات كُلّ ديانة »[٣] وكان من نتاج حركة الوحدة الدينية ظهور السِّيخ عام ٨٧٤هـ- ١٤٦٩م وظهورَ حركة الإصلاح في شبه القارة الهندية في العصور الحديثة التي كان من أبرز منظريها محمد إقبال[٤] كما ذكرت سابقاً ويؤكد د/ عصمت نصار أن محمد إقبال متفِقٌ مع جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في نظرتها لوحدة الأديانِ[٥]. وقد كشف محمد إقبال في مقدمة ديوانه أسرار خودي عن أن الإسلام والهندوسية هما رافدا هذه الفلسفة[٦].

---

(١) نقد الحقيقة ص(٢-٤٣-٥٤).

(٢) الدين والأيديولوجية ص(١٣٩) لمؤلفه محمد الرحموني.

(٣) الدين والإيدلوجيا محمد الرحموني ص(١١٨-١٢٤).

(٤) المرجع السابق ص(١٣٠).

(٥) الصراع الثقافي والحوار الحضاري في فلسفة محمد إقبال د/ عصمت نصار، دار الهداية ص(٢٥).

(٦) محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره لعبدالوهاب عزام ص(٥٠).

٤-يقول الكاتب محمد محفوظ « والاعتراف بالآخر وُجُوداً وَرَأْياً يَعْنِي:

نسبية الحقيقةِ وأنه لا يوجد طرف من الأطراف يمتلك الحقيقة المطلقةَ وإنما عبر الجدل والحوار والتواصل تتضح معالم الحقيقة لذلك فإن الاعتراف بالآخر يعني فيما يعني احتمال وجود جزءٍ من الحقيقةِ التي نبحث عَنْهَا عند هَذَا الآخر »[١].

وقد صرح الكاتب بما لم يصرح به إخوانه في الفكر من أن الاعتراف بالآخر معناه الاعتراف بأنه يملك جزءاً من الحقيقة وهذا مخالف لأصول وقواعد الإسلام.

٥-وممن يرى تعدد الحقيقة طه عبدالرحمن في كتابه « الحق الإسلاميٌّ في الاختلاف الفكري » فيقول إن خصوصية مفهوم الفكر الأحدي.. أنه هو الفكر الصحيح وغيره فكر غير صحيح وعلى هذا فإن الخاصيةَ الجامعة للفكر الأحدي هي أنه لا اعتبار معه لفكر مخالف في الفضاء العام[٢].

٦-يقول الكاتب محمد عمارة « ولذلك كانت الرؤيةُ الإسلاميةُ للمستقبل -وحتى يرث الله الأرض ومنْ عليها- على أنه مستقبل تتعدد فيه الملل والشرائع والديانات وظهور الإسلام على الدين كله هو ظهور « حلول » وليس وراثة الإسلام لسائر الشرائع والديانات »[٣].

ويقول « والفروق بين المسلمينَ وأهلِ الكِتَابِ ليست من الخطر بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتديُّنِ بالدِّينِ الإِلهِّي »[٤].

ويقول أيضاً: « الفوز بأجر الله سبحانه وثوابه والنجاة من العذاب الذي تحدث عنه القرآنُ في وعيدِهِ الذي توعد به العصاة والسعادة الإلهية التي تنفي الحزن كل ذلك حق وعد به الله سبحانه لا المسلمين المؤمنين بالشريعة المحمدية فقط وإنما مطلق المتدينين

---

(١) الإصلاح السياسي والوحدة الوطنية ص(٤٧) المركز اليقافي العربي ط١، ٢٠٠٤.

(٢) الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري ص(١٤٥-١٨٥).

(٣) الإسلام والآخر ص(١٩).

(٤) تجديد الفكر الإسلامي لمحمد عمارة ص(٨٢).

بالدِّين الإلهيِّ الذينَ جمعوا إلى إيمانهم بالألوهية الإيمان بالجزاء والحساب وعملوا لذلك عملاً صالحاً.. جميع هؤلاء قد صدق الله لهم الوعدَ بالنجاة والسعادة والأمن سواءٌ منهم الذين آمَنُوا بشريعة محمد أو مُوسَى أو عِيسَى... ولقد يحسب البعض -وتلك قضية هامة- أن هؤلاء المبشرين بالنجاة من أتباع الشرائع السماوية غير المحمدية هم من عاشوا وماتوا قَبْلَ البعثة المحمديةِ أما من أدرك هذه البعثة أو جاءَ بَعْدَهَا فلن يُنْجِيَهُ الإِيمانُ بالله والآخرةِ والعملُ الصالح إلا إذا هو آمَنَ بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام قد يحسب البعض هذا ولكننا نجد في القرآن ما يقطع بأن اختلاف الشرائع السماوية حتى بعد البعثة المحمدية لن يحول بين فرقائها الذين توزعهم وبين النجاة »[1].

٧-ويقول الكاتب فهمي هويدي: « .. ثمة آيات قرآنية أخرى من رب الناس تطل على كل الناس من منظور أكثر اتساعاً وشمولاً وتعطي قيمة العدل عند الله سبحانه أبعاداً وآفاقاً بغير حدود والآيات الثلاث هي:

١-قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢].

٢-قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [المائدة:٦٩].

٣-وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج:١٧].

والآيتان الأوليان تسويان بينهم يَوْمَ القيامة أَمَام الله سبحانه وتشترطان فقط الإيمانَ باللهَ والعملَ الصالح ليثاب الخيِّرون عما فعلوا وليطمئن الجميع إلى عدالة الله «ولموازين القسط » يوم القيامة.. وفي الآية الثالثة إضافة للمجوس والمشركين وتذكير

---

(١) الإسلام والوحدة العربية محمد عمارة ص(١٤١-١٤٢-١٤٣-١٥٠) وهو رأي عبدالمتعال الصعيدي في كتابه « حرية الفكر الإسلامي » ص(١٨).

بأن حسابهم على الله يوم القيامة وليس على أحدٍ من الناس في هذه الدنيا »[١].

يقول الله تعالى في سياق الرد: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة:١٧].

ويقول ﷺ: « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار »[٢].

فهل من العلم ورجاحة العقل أن نلغي النص المحكمَ ونأخذ بالمتشابِهِ؟ أم أن نحيل فهم النص المتشابه على المحكم حتى نفهم معناه ولا نضربَ نصوص الشرع بعضها ببعض؟

لقد أجمع أهل العلم أن النصوص المتشابهة يجب ردها إلى المحكم حتى يتضح المعنى الصحيح.

٨-يقول الكاتب د/ عبدالحميد عثمان مستشار رئيس وزراء مَالِيزيَا « إن الإسلام لم يأت ليحل محل جميع الأَدْيَان ويلغيَهَا فالتعدديَّة الدينية والثقافية قد رسخها النبي ﷺ في دستور المدينة كما أكدها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة:٦٢][٣].

يقول سيد قطب رحمه الله: « إن التسامح يكون في المعاملاتِ الشخصيةِ لا في التصورِ الاعتقاديِّ ولا في النِّظام الاجتماعي، أما هؤلاء فيحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم الذي يقرر أن الله لا يقبل ديناً إلا الإسلام »[٤].

---

(١) مجلة العربي الكويت عدد ٢٥٩ في رجب ١٤٠٠هـ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) بحث في المؤتمر العام السادس عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وكان المؤتمر بعنوان التسامح في الحضارة الإسلامية وذلك عام ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م ص(٣٢٨).

(٤) ظلال القرآن (٢/ ٩٠٩).

رحم الله سيداً لقد أصاب كبد الحقيقة فسماحة الإسلام مع المخالف في العقيدة هي سَمَاحَةُ التعامل لِكَسْبِهِ إلى حديقة الإسلام الزاهية أما ما يدعيه هؤلاء من سماحة واعترافٍ يَمَسُّ جانب العقيدة إنما هو تراجع ونكوص عن أصول الدين الإسلامي وتقارب ومسارعة للغير المخالف والنتيجة واضحة لا غيرهم قبل ورضي وهم خسروا دينهم وعقيدتهم قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠].

٩-ويقول شيخهم جمال الدين الأفغاني « إن الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية إذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية... وعلى هذا لاح لي بارق أَمَلٍ كبيرٍ أن يتحد أهل الأديان الثلاثة»[١].

١٠-يقول الكاتب حسن حنفي: « لا يوجد دينٌ في ذاته بل يوجد تراث لجماعة معينة ظهر في لحظة تاريخية محددة ويمكن تطويرُهَا للحظة تاريخية قَادِمةٍ »[٢].

المنهج الذي سلكه هؤلاء:

وبعد هذا العرض الموجز لبعض أقوال القوم يجد الباحث أنهم يشتركون هم وغيرهم ممن لم يتسع المجال لنقل كلامهم في أفكار باطلة وشبه نقلية اتخذوها منهجاً لهم يرددها الجميع بعبارات مختلفة وهي:

١-تقديس العقل وتسليطه على نصوص الشرع بالتحريف بما يناسب القواعد العامة التي قد يسميها البعض مقاصد شرعية والمقاصد الشرعية لا تكون مقاصد إلا إذا أقرها الشرعُ لا العقلُ المجرد عن نصوصِ الشرعِ المطهر.

٢-عدم الاكتفاء بنصوص الشرع والبحث عن الحقيقة في كتب الفلاسفة والأديان

---

(١) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني محمد عمارة ص(٦٩).

(٢) التراث والتجديد ص(٢٢).

الباطلة الأخرى.

٣-دعواهم أن من أقر بوجود الله أنه يشمله الإسلامُ العامُّ وأن الحقيقة المطلقة الواحدةَ هي في الاعْتِرَافِ بوُجُودِ الله فقط دون النظرِ للمسائِلِ الأُخْرَى التي يعتبرونها سَهْلَةً ومحلاً للنقاش والحِوَارِ وأن المخَالف فيها لا يذم بل بعضهم جعله ناجيا من النار يوم القيامة يقول شيخ الإسلام: « وقول القائل: المعبود واحد وإن كانت الطرق مختلفة ونحو ذلك من الأقوال والأفعال التي تتضمن إما كون الشريعة النصرانية أو اليهودية المبدلين المنسوخَيْنِ موصلة إلى الله وإما استحسان بعض ما فيها مما يخالف دين الله أو التدين بذلك أو غير ذلك مما هو كفر بالله ورسوله والقرآن وبالإسلام بلا خلاف بين الأمة وأصل ذلك المشابهةُ والمشاركةُ »[١].

٤-الاستدلال ببعض الآيات المتشابهة وترك الآيات المحكمة وذلك مثل آية ٦٢ من سورة البقرة وآية ٦٩ من سورة المائدة وآية ١٧ من سورة الحج وآية ١ من سورة البينة . وفي المقابل يتركون أو يحرفون الآياتِ المحكمةَ التي تنص على كفر اليهود والنصارى والحكم عليهم بالتخليد في النار والآيات التي توضح أن الله لن يقبل من أحد ديناً غير الإسلام والآيات التي تَنُصُّ على أن الله لن يقبل من أحدٍ عَمَلاً إِلَّا إذا آمن برسالة محمد ﷺ وشريعته.

٥-اتخاذُهُمْ أسلوباً جديداً في تفسير القرآن العظيم يقوم على المنهج الهر مينطيقي [٢] الذي استخدمه علماء النصارى من أجل التثبت من صحة وأصالة الأناجيل وهو منهج قائم على التعمق في فهم النص مع المحافظة على المعنى وروح النص ويقوم على ثلاثة جوانب ١-السياق والموقف اللذان يحيطان بكتابة النص. ٢-بنية النص وأساليب التغيير فيه. ٣-الروح والمعاني التي يتضمنها النصُّ ويدعي من يزعم اتخاذ هذا المنهج في فهم القرآن الكريم أنه المنهج الذي يوفق بين روح القرآن والزمن للوصول إلى الارتقاء بالحضارة الإسلامية.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٢٣).

(٢) المعجم الفلسفي مراد وهبة ص(٧١٦) .

« يرى عبدالأعلى أن ظاهرة العنف التي تورط فيها بعض المسلمين إنما تأتي نتيجة للفهم المنغلق على النص الديني كما أن مثل هذا الفهم للقرآن يدفع صاحبه إلى الادعاء بالحقيقة المطلقة له والغير مخطئون ضالون ومثل هذا التفسير للقرآن، لن يبرز صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان فلا بد من إعادة القراءة للقرآن بصورة ناقدة ومبدعة سياقية والمراد بالمبدعة السياقية محاولاتُ توفيق الشريعة بحياة الإنسان المتغيرة والمتطورة »[1].

ولكي يتضح كيف عالج القوم هذا الجانب نورد هذا المثال « فيرى عبدالمقسط غزالي أن القرآن في الأساسِ يميلُ إلى التعدديةِ ويعتبر الأديانَ كُلَّهَا من عند الله وبينها نقطةُ الاتِّفَاقِ إذ أن الأديانَ جميعَهَا تَدْعُو إلى تَوْحِيدِ الله والتحلِّي بالأخلاقِ الفاضلة إلا أن في القرآن آيات ظاهرها يعارض التعددية وينفي التعايش السلمي بين معتنقي الأديان المختلفةِ فهنا لابد من البحث عن الحل المنهجي للتغلب على هذا التناقض قسم عبدالمقسط غزالي الآياتِ القرآنيةَ إلى صنفين:

١-الآيات الصالحة لكل زمان ومكان وهي الأصول والغاياتُ تتجاوز حدودَ التاريخِ والايديولوجيا والعرف والدين فمثل هذه الآيات توضح المبادئ الأساسية في تعاليم الإسلام ألا وهي الدعوة إلى المصلحة والعدالة والمساواة والتعددية وإقامة حقوق الإنسان وغيرها من القيم التي لا يحددها الزمن ولا المكانُ.

٢-الآيات الجزئيةُ وهي الفصول والوسائلُ تتكلم في معظم الأحيان عن الأمور العملية التقنية فهي بذلك مرتبطة بالسياق الزمني والمكاني معاً ومن الآيات التي تدخل في هذه الفصول آيات الميراث والأمر بقتال المشركين والآيات التي تدعو إلى التفرقة بين المسلم والكافر في التعامل وغيرها من الآيات التي في ظاهرها تدعو إلى الانغلاق والطائفية والآياتُ الفصولُ لابد أن تكون خاضعة للآياتِ الأُصُول أي معالجة الآيات الفصول في ضوء الآيات الأصول فالآيات الفصول التي تخالف الآياتِ الأصولِ ظاهرياً

---

(١) بحث أندي هاديانتو بعنوان الهرمنطيقي وقضية تأثر الإسلاميين بدراسة المستشرقين للقرآن وذلك في المؤتمر الدولي بعنوان « المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية » المنعقد في القاهرة (٤-٦ صفر ١٤٢٧هـ/٦ مارس ٢٠٠٦م) ص(١٣٦).

لابد من تأويلها حتى تتمشى مع الآياتِ الأُصُولِ »[١].

ويكفي في الرد على هذا المنهج المستوردِ ١- أَن نَّعْلَمَ أنه مستورَدٌ من لدنِ اليهودِ والنصارى الذِينَ أمرنا رسولنا الكريمُ ﷺ بمخالفتهم وحذرنا من التشبه بِهِمْ فقال ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم »[٢].

٢- أن نعلم أنه مخالف لمنهج السلف الصالح في التعاملِ مع نصوص القرآنِ العظيمِ من حملهم المتشابه على المحكم وتأكيدهم أنَّ نصوص الشرع لا تعارض بينها أبداً وإنما يقع التعارضُ من سوء فهم القارئ.

الأساليب التي استخدموها للترويج لفكرة تعدد الحقيقة في أصول الدين:

١-الاهتمام بالقضايا المشتركة بين الإسلام والأديان الباطلةِ وإغفال أو تغافل الجوانب المفصلية التي تميز الإسلام عن غيره مثل الدعوة إلى حقوق الإنسان والعدل والمساواة وإغفال جانب العقيدة والشريعة.

٢-التلاعب بالمصطلحات وإيرادها في سياق إقرار المخالف وغفلة أصحاب الحق عن المراد منها وقد نهى الله المؤمنين عن قول « راعنا » لأنها كلمة تحتمل معنىً باطلا مع احتمالها للمعنى الحق وأمرهم سبحانه أن يقولوا: « انظرنا » لأنها كلمة لا تحتمل إلا معنىً واحداً وهو الحق لأن اليهود كانوا يستخدمون الكلمة المحتملة للنيل من النبي ﷺ وهؤلاء يستخدمون الكلمة المحتملة للنيل من الدين الحق ومن هذه المصطلحات:

١-دعوتهم إلى احترام عقائد الآخرين.

هل من عبدالبقرة يحترم؟ هل من عبدالبشر يحترم؟ هل من عبدالفلك يحترم؟ هل من عبدالصنم يحترم؟.

٢-دعوتهم إلى التسامح مع الآخرين في جانب العقيدة. وذلك يؤدي إلى التسامح

---

(١) المرجع السابق من بحث الهرمينطيقي ص(١٣٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس ، باب في لبس الشهرة (٤/ ٤٤)، برقم (٤٠٣)، وصححه الألباني في غاية المرام ص(٨٦) برقم (١٠٩).

مع الآخر في الاعتراف بدينه وعقيدته وتصحيحها.

٣-دعوتهم إلى نسبية الحقيقة وهذه أصرح المصطلحات.

٤-دعوتهم إلى الاعتراف بالآخر مما يلزم منه تصحيح معتقده.

٥-دعوتهم إلى التعددية الدينية والثقافية.

٦-دعوتهم إلى حرية العقيدة ولأهمية هذا المصطلح لأن فيه لبساً كبيراً وهو من أكثر المصطلحات تداولاً أفردت له باباً مستقلاً.

٧-الحديث عن اليهود والنصارى بشيء من الاحترام والتبجيل والتهوينِ مما هم فيه من شرك.

الآثار الناتجة عن الدعوة إلى تعدد الحقيقة:

١-تصحيح دين المخالف مما يترتب عليه نقض ومخالفة القرآن العظيم.

٢-المساهمة في تقديم يد العون للأفكار والمذاهب الخطيرة مثل الليبرالية والعولمة والإنسانية.

٣-تقويض دور العلماء والاستهانة بهم كروادٍ لنهضة المجتمع في جانبِ نقدهم في قولهم بامتلاك الحقيقة المطلقة.

٤-خداع غير المسلمين بالإعتراف أن ما لديهم حَقٌّ مما يؤدِّي إلى منعهم من الدخول في الإسلام.

٥-إلغاء الدعوة إلى دخول غير المسلمين في الإسلام لأنهم يملكون ما نملك من الحقيقة وهذا فيه تعطيلٌ كبيرٌ لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥] فإذا كانوا يملكون ما نملك من الحقيقة فلماذا الدعوة إذاً؟

٦-تشويه صورة الإسلام لَدَى اليهود والنصارى إذ يرون أَنَّ الإسلام صورة مشوهة أو معدلة عن اليهودية والنصرانية طالما أن الإسلام بعدهما وجوداً أو ظُهوراً على

حسب فهم القوم وهذا غاية في القبح وإلغاء للإسلام بالكلية[1].

٧-تشكيك المسلم في دينه إذ يعتقد أن هناك من يملك الحق الذي تملكه فأي الحقين أولى؟ ما أنا عليه أم ما عليه الآخر؟ وهذه مخالفة صريحة للقرآن العظيم.

٨-قدحٌ ونقدٌ للحركة الجهادية في عهدِ النبيِّ ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين إذ ما الداعي للقتال ما دام أن المخالفَ معه الحق؟

٩-إنكار سورة الكافرينَ لأن الرسولَ ﷺ لم يقبل من المشركين العرض أن يعبدوا إلهُهُ عاماً ويعبد هو آلهتهم عاماً ونزل عليه القرآن بِرفضِ هذا العرض جملة وتفصيلاً فلو كان معهم حقٌ لماذا يرفض النبي ﷺ هذا العرض؟ .

١٠-تسفيه وتحقير علماء المسلمين الذين بذلوا جهوداً جبارة في نقد عقائد اليهود والنصارى وسائر الأديان الباطلة والفرق الضالة إذ لو كان الحق متعدداً لماذا إذاً هذه الجهود غير المبَّررة للرد على المخالف ما دام أن معه الحق؟ هذا جهد غير مشكور وعمل غير مبرور وسفه في القول وإضاعة للوقت وهذا ما لم يقله مسلم ولن يقوله مسلم.

١١-إلغاء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ من أعظم المعروف المأمور به الإسلام وأعظم المنكر المنهيُّ عنه الكفر والشركُ والبدعُ فإذا كانت الحقيقة متعددة فلا داعيَ لهذه الشعيرة والركن الأساسي في الدين ومن قال بذلك كفر.

وهذه الآثار غير مقبولة ومنكرة في الشريعة وهي بمثابة الرد على هؤلاء.

وأخيراً يكفي تصور هذا القول لرده.

* * * * * *

(١) انظر: الإسلام والغرب د/ محمد الحسين إسماعيل ص(١٠٢)، وحوار الحضارات ومواهلات الإسلام د/ عمار جبريل ص(١٣٣).



مفهوم الإكراه في الإسلام

وفيه تمهيد وخمسة مباحث: -

- المبحث الأول: تعريف الإكراه لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني: دراسة الآيات القرآنية التي نصت على لفظة الإكراه.
- المبحث الثالث: عدم الإكراه على الدين في نصوص السنة وسيرة النبي ﷺ.
- المبحث الرابع: التاريخ الإسلامي يشهد بأن لا إكراه في الدين.
- المبحث الخامس: المفهوم الصحيح للإكراه في الدين.

* *　　* *　　* *

تمهيـــــد

قامت الدعوة الإسلامية منذ بدايتها على يد المصطفى ﷺ على الإقناع والدعوةِ بالحكمةِ والموعظة الحسنة فالإسلامُ دين يقوم على براهين يقينية على صحته لا مجال لإنكارها أبداً لمن أراد الحق، أما الحاقدون الذين طمس الحقد والحسد بصائرهم فلا مجالَ ولا قدرة لإقناعهم ولو أتيت لهم بالشمس في رائعة النهار لقالوا نحن في ليل دامس.

خاطب الله في القرآن العظيم العقول قبل القلوب على إثبات تفرده بالخلق والرزق والتصريفِ والتدبير لهذا الكون وما فيه من مخلوقاتٍ ممَّا لا مَجَالَ لِعَدَمِ تَصْدِيقِهِ فَقَالَ ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور:٣٥-٣٦] وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١]، وخاطب الله الفطر الكامنة في النفوس التي تعرضت عند أغلب الناس إلى الانحراف خاطبها خطاب الموقظ لها من غفلتها فقال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [إبراهيم:١٠].

قال ابن القيم: « وخاطبهم مخاطبة من لا ينبغي أن يخطر له شَكٌّ في وجود الله سبحانه ونصب من الأدلة على وجوده ووحدانيته وصفات كماله الأدلة على اختلاف أنواعها ولا يطيق حصرها إلا الله ثم ركز ذلك في الفطرة ووضعه في العقل جملة ثم بعث الرسل مذكرين به »[1] فالدعوة إلى الإسْلَامِ تَقُومُ عَلَى المجادَلَة والمحاجة والبيان والموعظة والمُنَاظَرةِ والأَمْرِ بالمعْرُوفِ والنَّهْي عن المنكر كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل:١٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت:٤٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٢٤٨).

فالرسول ﷺ رحمةٌ مُهْدَاةٌ إلى الإنْسَانِيَّة جاءَهُمْ من لدن الرحمن الرحيم ليخرجهم من ذل العبودية لغيرِ الله إلى عبادة الله الكريمِ التواب، وأمره ربه بالمجادلة التي توصل إلى الحق في أعلى درجاتها بالتي هي أحسن ولم يقل سبحانه حسن بل أحسن حتى يقتنع المجادل بالإسلام ويدخل فيه عن قناعةٍ ورضىً كاملٍ بما في الإسْلَامِ نَفْسِهِ من أدلة وبراهين لا تحتاج إلا لإنسانٍ منصفٍ يبحث عن الحقيقة فسرعان ما يدخل في الإسلام عن اختيارٍ كامل إذ لا إكراه في الدين.

المبحث الأول: تعريف الإكراه لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الإكراه لُغَةً: ورد في مختار الصِّحَاحِ « يقال: قَامَ على كُرهٍ أَيْ عَلَى مَشَقَّةٍ وأَقَامَهُ فُلَانُ عَلَى كَرْهٍ أَيْ أَكْرَهَهُ على الْقِيَامِ وقَالَ الْكِسَائِيُّ(١): هما لغتان بمعنى واحدٍ وأكرهه على كذا حمله عليه كَرها وكرهت إليه الشيء تكريهاً ضد حببته إليه » (٢).

ورد في القاموس المحيط « الكرْهُ... بالضم: ما أكرهت نفسك عليه، وبالفتح: ما أكرهك غيرك عليه... واستكرهت فلانة : غصبت نفسها » (٣).

قال في لسان العرب « وأكرهته: حملته على أمر هو له كاره وجمع المكروه مكاره»(٤).

ويقول ابن فارس: « الكاف والراء والهاء أصل صحيح واحد يدل على خلاف الرضا والمحبة » (٥).

الإكراه في الاصطلاح: هو « الإلزام والإجبار على ما يكره الإنسان طبعاً أو شرعاً فيقدم على عدم الرضاء ليرفع ما هو أضر » (٦).

و هو الإلزام والإجبار بحمل الغير على ما يكرهه طَبْعاً أو شَرْعاً بالْوَعِيدِ(٧).

وقال ابن حزم في تعريفه: « الإكراه هو كل ما سمّي في اللغة إِكْراهاً وعرف بِالحِسِّ

---

(١) علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي مولاهم الكوفي الكسائي شيخ القرّاء والعربية توفي عام ١٨٩هـ. انظر: الجرح والتعديل (٦/ ١٨٢)، وسير اعلام النبلاء (٩/ ١٣١).

(٢) مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي ص(٢٣٧) مكتبة لبنان.

(٣) القاموس المحيط لفيروز آبادي (٤/ ٣٠٦) دار الكتب العلمية بيروت ط١.

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٥٨)، دار صادر ط٤، وانظر: أساس البلاغة للزمخشري ص(٣٩١).

(٥) معجم المقاييس في اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ص(٩٢٣) دار الفكر ط١.

(٦) « التعريفات للجرجاني ص(٩١)، وانظر: طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، نجم الدين بن حفص النسفي ص(٣٢٦) دار القلم ».

(٧) معجم مصطلح الأصول د/ محمد النونجي دار الجيل طـ١ ص(٤٢) .

أنه إكراهٌ كالوعيدِ بالقَتْلِ ممن لا يؤمن مِنْهُ إنفاذُ ما تَوَعَّدَ بِهِ »[(١)].

وعرفه ابن حجر بقوله « هو إلزام الغير بما لا يُرِيُدُه »[(٢)]. وقال ابن عقيل: « وحد الإكراه على التقريب هو البعث على اكتساب ما لو لم يبعث عليه لم يكتسبه »[(٣)].

فالإكراه هو إجبار على فعل أمر بدون رضاه عنه لمصلحة المجْبَر أو لعدم مصلحته وأقصد أن الإِكْرَاهَ إذا كان بحق فهو لمصلحة المكْرَهِ، وإن كان لغير الحق فهو نقيض المصلحة.

وقد تكلم الأصوليون على أن الإكراه ينقسم إلى إكراهِ بِحَقٍّ فَهُوَ جَائِزٌ ويترتبُ عَلَيْهِ آثَارُهُ ونتائِجُهُ،وإكراه بغير الحق فَهُوَ لَغْوٌ لا اعتداد به[(٤)].

وأقصد بالإكراه الإكراه الواقع من العبد على العبد أما الخالق سبحانه وتعالى فلا يكره أحداً من خلقِهِ لأنه أجلُّ وأعلى من ذلك قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ « وأما الإكراه بغير حق: فمثل إكراه الإنسان على الكفر والمعاصي وهذا الإجبار الذي هو الإكراه يفعله العباد بعضهم مع بعض لأنهم لا يقدرون على إحداث الإرادة والاختيارِ في قُلُوبِهِمْ وعلى جعلهم فاعلين لأفعالهم والله تعالى قَادِرٌ على إحداثِ إرادة للعبد ولاختياره وجعله فاعلاً بقدرتِهِ ومشيئتِهِ فهو أعلى وأقدر من أن يجبر غيره ويكرهه على أمر شاءه منه بل إذا شاء جَعَلَهُ فاعلاً له بمشيئة كما أنه قادر على أن يجعله فاعلاً للشيء مع كراهته له فيكون مُرِيداً له حتى يفعله مع بغضه له كما قد يشرب المريضُ الدَّواءَ مع كراهَتِهِ لَهُ قَالَ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥] وقال تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:٨٣] فكل ما يقع من العباد بإرادتهم ومشيئتهم فهو الذي جعلهم فاعلين له بمشيئتهم سواءٌ كانوا

---

(١) المحلى لابن حزم (١/ ٣٣).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣١١).

(٣) الواضح (١/ ٨١).

(٤) انظر: المغني في أصول الفقه لأبي محمد الخبازي ص(٤٠٤).

مع ذلك فعلوه طوعاً أو كانوا كارهين له فعلوه كرها وهو سبحانه لا يكرههم على مالا يريدونه كما يكره المخلوقُ المخلوقَ حيث يكرهه على أمر وإن لم يرده وليس هو قادراً أن يجعله مريداً له فاعلاً له لا مع الكراهة ولا مع عدمها فلهذا يقال للعبد: إنه جبر غيره على الفعل والله أعلى وأجل وأقدر من أن يقال بأنه جبر بهذا المعنى »[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٣-٤٦٤).

المبحث الثاني: دراسة الآيات القرآنية التي نصت على لفظة الإكراه

آية سورة البقرة: ٢٥٦: قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة:٢٥٦].

ونظراً لأهمية هذه الآية في كونها الأساس فسوف أدرسها من خلال النقاط التالية:

أولاً:-سبب نزول الآية: ذكر الواحديُّ في أسباب النزولِ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت المرأةُ من نساءِ الأنصارِ تكون مِقْلاةً فتجعلُ على نفسها إن عاشَ لها ولدٌ أن تهوِده فلما أجليت النضيرُ كان فيهم من أبناء الأنصارِ فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾[1].

وهذه الرواية هي الصحيحةُ وقد وردت عدةُ رِوَايَاتٍ في سبب نزولِ الآيةِ وكلها متفقة على عَدَمِ إِكْرَاهِ غَيْرِ المسلمِينَ على الدخول في الإسلامِ ابتداءً والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ثانياً: أسلوب النفي في هذه الآية هو في معنى النهي والمراد نَفْيُ أسباب الإِكْرَاه في حكم الإسلام أي لا تكرهوا أحداً على اتباع الإسلام قهراً[2].

وذهب آخرون إلى انه خبر محض أي أنه تعالى ما بَنَى أمر الإيمان على الإجبار

---

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي ص(٨٥)، وأخرجه ابن جرير بسنده إلى ابن عباس (٤/ ٥٤٧)، وأخرجه أبو داود في الجهاد في باب في الأسير يكره على الإسلام (٣/ ٥٨)،وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١/ ٣٥٢-١٤٠) من الإحسان وقال محقق الإحسان: إسناده صحيح على شرطهما، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٢٣٣٣)، وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في كتابه « الصحيح المسند من أسباب النزول » الحديث رجاله رجال الصحيح ص(٤٧)، وقال أبو داود في سننه والمقلات: التي لا يعيش لها ولد (٣/ ٥٩).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري الكشاف ص(١٤٦)، دار المعرفة بيروت، بعناية خليل مأمون شيحا، وانظر: تفسير الطاهر بن عاشور « التحرير والتنوير » (٢/ ٢٦) دار سحنون للنشر والتوزيع.

والقسر وإنها بناه على التمكن والاختيار ويدل على هذا المعنى أنه لما بين دلائلَ التوحيد بياناً شافِياً قال بعد ذَلِكَ: لم يبق عُذْرٌ في الكُفْرِ إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه وهذا ما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء ويؤكد هذا قوله بعد: « قد تبين الرشد من الغي » يعني: ظهرت الدلائل ووضحت البينات ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والقهر والإلجاء وليس بجائز لأنه ينافي التكليف وهذا الذي قاله أبو مسلم والقفال لائق بأصول المعتزلة[1] ولذلك قال الزمخشري: لم يُجْرِ الله أمر الإيمان على الإِجْبَارِ والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس:٩٩] أي: لو شاء لقسرهم على الإيمان ولكنه لم يفعل وبنى الأمر على الاختيار »[2].

وكلام الزمخشري لائق بمقولة المعتزلة أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله ﷻ وإنما العباد هم الخالقونَ لَهَا واعتبروا ذلك عَدْلاً يَقُولُ عبدالجبار الهمذاني[3] « اتفق كل أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم وأن الله جل وعز أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها ولا محدث سواهم وأن من قال إن الله سبحانه خَالِقُها فَقَدْ عَظُمَ خَطَؤُهُ »[4] فهم ينكرون الدرجة الثانية من درجات القدر والتي تشمل مرتبتي الإرادة والخلق، فينفونها عن الله تعالى ويثبتونها للإنسان فهو « يقدر على المراد من أفعال الجوارح والقلوب كما يقدر على الإرادة والفكر.. ويفعلهما كما يفعلهما »[5] وبالتالي

---

(١) البحر المحيط (٢/ ٤٥٢-٤٥٣)، ومحاسن التأويل للقاسمي (١/ ٦٠٢).

(٢) الزمخشري ص(١٤٦) في تفسيره.

(٣) عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمذاني أبو الحسن قاضي القضاة ومنظر المذهب الاعتزالي الشافعي المذهب مات عام ٤١٥هـ من أهم كتبه « المغني في ابواب التوحيد والعدل » . انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/ ١١٣).

(٤) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢/ ٣٤٠) ت/ توفيق الطويل.

(٥) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٩/ ١٥).

أمر الإيمان كما قال الزمخشري لا يجري على الإجبار والقسر لأن الإنسان خالقٌ فعلَهُ فكيف يجبر نفسه بنفسه؟ على أصول المعتزلة.

ثالثاً: دلالة الآية من ناحية الإحكام أو النسخ.

اختلف أهل العلم في دلالة الآية على أقوال:

١-النسخ، والناسخ لها آيات القتال وممن قال بهذا القول ابن زيد وابن مسعود وسليمان بن موسى وزيد بن أسلم ومجاهد[١].

وقالوا لأن النبي ﷺ قد أكره العرب على دين الإسلام ولم يرض منهم إلا الإسلام[٢]. وقال زيد بن أسلم: كان رسول الله ﷺ بمكة عشر سنين لا يُكره أحداً في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوهم فاستأذن الله في قتالهم فَأَذِنَ لَهُ[٣].

٢-أن الآية محكمة وليست منسوخة ولكنها في أهل الكتاب خاصة إذا أدوا الجزية قال القرطبي «ليست بمنسوخة وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة وأنهم لا يُكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية والذين يُكرهون أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام فهم الذين نزلت فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [التحريم:٩] هذا قول الشعبيِّ وقتَادَة والحسن والضحاك والحجة لهذا القول ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية أسلمي أيتها العجوزُ تَسْلَمِي إن الله بعث محمداً بالحق قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إِلَيَّ قرِيبٌ فقال عمر: اللهم اشهد وتلا قوله ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾»[٤].

وقال الطبري: «وأولَى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٤٩-٥٥٣)، وانظر: كتاب الناسخ والمنسوخ في القرآن لأبي جعفر النحاس ص(٧٦).

(٢) الناسخ والمنسوخ ص(٧٦) لأبي جعفر النحاس.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٥٥٣). وكذا تفسير القرطبي (٢/ ٢٧٨).

(٤) القرطبي (٢/ ٢٧٨).

خاصٌّ من الناس وقال: عنى بقوله تعالى ذكرُه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ أهل الكتابين والمجوس وكل من جاز إقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه وأنكر أن يكون منها شيء منسوخاً.. وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام وحكم بقتالهم إن امتنعوا منه وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب وكالمرتدين عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم وأنهُ ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل وذلك كأهل الكتابين والمجوس ومن أشبههم »[(١)] وممن يؤيد هذا القول أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ[(٢)].

٣-أن الآية محكمة وعامة وليست خاصة بأهل الكتاب قال شيخ الإسلام « وهذا نصٌّ عامٌّ أنا لا نكره أحداً على الدين، فلو كان الكافر يقتل حتى يُسلم لكان هذا أعظم الإكراه على الدين.. وجمهور السلف والخلف على أنها ليست مخصوصة ولا منسوخة بل يقولون: إنا لا نُكره أحداً على الإسلام وإنما نقاتل من حاربنا فإن أسلم عُصِم دمه وماله ولو لم يكن من فعل القتال لم نقتله ولم نكرهه على الإسلام »[(٣)].

وقال ابن القيم: « والصحيح: أن الآية على عمومها في حق كل كافر »[(٤)].

والصحيح أن الآية محكمة وأنها عامة مخصوصة في كل من جاز له دفع الجزية وقبلت منه قال الطبري « لا إكراه في الدين لأحدٍ ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام »[(٥)].

وسبب ترجيح هذا القول أمران:

---

(١) تفسير الطبري (٤/ ٥٥٤).

(٢) كتاب الناسخ والمنسوخ ص(٧٦).

(٣) قاعدة مختصرة في قتال الكفار ومهادنتهم وتحريم قتلهم لمجرد كفرهم لشيخ الإسلام ت، د/ عبدالعزيز بن عبدالله آل حمد ص(١٢١-١٢٣).

(٤) هداية الحيارى (١/ ١٢)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٣٧-١٣٧٢).

(٥) تفسير الطبري (٤/ ٥٥٤).

أولاً: أن دعوى النسخ منقوضةٌ لأمرين:

أ-أن المراد بالنسخ في اصطلاح المتقدمين البيان فيشمل تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين المجملِ ورفع الحكمِ بجملته وهو ما يعرف عند المتأخرين بالنسخِ[١] وعلى هذا المعنى لا يكون هناك اختلاف بين المفسرين.

ب-أن من شروط النسخ وجود تعارض بين دلالة النص الناسخ ودلالة النص المنسوخ وهذا في مسألتنا منتف إذ الأمر بالقتال لا يلزم منه إكراه الناس على الدخول في الإسلامِ يقول الطاهر بن عاشور « على أن الآيات النازلة قبلها أو بعدها أنواع ثلاثة:

١-أحدها آيات أمرت بقتال الدفاع كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦] وقوله: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤] وهذا قتال ليس للإكراه على الإسلام بل هو لدفع غائلة المشركين.

٢-آيات أمرت بقتال المشركين والكفار ولم تغي بغاية فيجوز أن يكون إطلاقها مقيداً بغاية آية ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ وحينئذ فلا تعارضه آيتنا هذه ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾.

٣-ما غُيِّي بغاية كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣] فيتعين أن يكون منسوخاً بهذه الآية وآية ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ »[٢].

ثانياً: أن دعوى التخصيص بأهل الكتاب والمجوس منقوض بفعل النبي ﷺ لما أسر ثمامة بن أثال وهو مشرك فمن عليه النبي ﷺ ولم يكره على الإسلام حتى أسلم من تلقاء نفسه[٣] وكذلك منَّ على بعض أَسْرَى بَدْرٍ وهم عربٌ مشركون من قريش[٤].

قال شيخ الإسلام « وقد كان النبي ﷺ والمؤمنون معه يأسرون الرجال والنساء من

---

(١) انظر: الاستقامة (١/ ٢٣)، ومجموع الفتاوى (١٣/ ٢٩-٢٧٢)، وإعلام الموقعين (١/ ٣٥) (٢/ ٣١٦).

(٢) تفسير الطاهر بن عاشور (٢/ ٢٦-٢٧).

(٣) قصة ثمامة أوردها البخاري رقم (٤١١٢)، ومسلم برقم (١٧٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٤) انظر: صحيح مسلم رقم (١٧٦٢).

المشركين ولا يكرهونهم على الإسلام »[١].

فدلت هذه الوقائع وغيرها مثل فتح مكة فإنه ﷺ لم يجبر ولم يُكرهْ أحداً من أهل مكة على الدُّخُولِ في الإسْلَامِ بل منَّ عليهم فسموا الطلقاء فدلت هذه الوقائع على أنه من دفع الجزية ورضي بحكم الإسلام أنه لا يُكره على الدخولِ في الإسلام سواءً أكان كتابيا أم غيره من المشركين وأصحاب الأوْثَانِ[٢].

رابعاً: معنى الآية العام من خلال أقوال المفسرين:

١-يقول الإمام الطبري في تفسيره « فتأويل الكلام إذن: قد وضح الحق من الباطل واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه فتميَّز من الضلالَةِ والغواية فلا تكرهوا أحداً من أهل الكتابين ومن أبحت لكم أخذ الجزية منه على دينكم دين الحق فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانته له فإلى رَبِّه أمره وهو وليُّ عقوبته في معاده »[٣].

٢-وقال ابن كثير: « وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال وإنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام فإن أبى أحدٌ منهم الدخول فيه ولم ينقد له أو يبذل الجزية قوتل حتى يقتل وهذا معنى الإكراه »[٤].

وقال ابن كثير أيضاً: « أي لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحدٌ على الدخول فيه بل من هداه الله إلى الإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الإسلام مكرهاً مقسوراً » .

٣-وقال القرطبي: « وقيل: معناها لا تقولوا لمن أسلم تحت السيف مجبراً

---

(١) رسالة القتال ص(١٣٠).

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم فإنه استدل على جواز أخذ الجزية من المشركين ص(١٤) وما بعده.

(٣) تفسير الطبري (٤/ ٥٥٥).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٤٦٤-٤٦٥).

مكرهاً»[١].

٤-وقال ابن العربي[٢] في أحكام القرآن : « عموم في نفي إكراه الباطل، فأما الإكراه بالحق فإنه من الدين، وهل يقتل الكافر إلا على الدين قال ﷺ : « أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله »[٣] وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ ﴾[٤].

٥-قال الطاهر بن عاشور: « إن المراد بنفي الإكراه نفي تأثيره في إسلام من أسلم كرهاً فراراً من السيف على معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ [النساء:٩٤] وهذا القول تأويل في معنى الإكراه وحمل للنفي على الإخبار دون الأمر»[٥].

٦-وقيل في معنى الآية: « وهذا يقتضي أن أهل الكتاب لا يكرهون على الإسلام إذا اختاروا البقاء على دينهم وأدوا الجزية، وأما أهل الحرب فالآيةُ وإن كانت تعمهم لأن النكرة في سياق النفي وتعريف الدين يفيدان ذلك والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لكن قد خصص هذا العموم بما وَرَدَ فِي الآيَاتِ مِنْ إِكْرَاهِ أَهْلِ الْحَرْبِ من الكفار عَلَى الإِسْلَامِ »[٦].

٧-وقيل في معنى الآية: « هي جملة مستأنفة جيء بها إثر بيان دلائل التوحيد للإيذان بأنه لا يتصور الإكراه في الدين لأنه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً

---

(١) تفسير القرطبي (٢/ ٢٧٩).

(٢) ابن العربي: القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد الأندلسي المالكي ولد عام ٤٦٨هـ ومات عام ٥٤٣هـ من أهم كتبه أحكام القرآن . انظر: الأعلام للزكلي (٦/ ٢٣٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أحكام القرآن لابن عربي (١/ ٣١٠).

(٥) تفسير الطاهر بن عاشور (٢/ ٢٨).

(٦) تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني (١/ ٢٧٥)،وتفسير فتح البيان في مقاصد القرآن الصديق حسن الفتوحي (٢/ ٩٨).

يحمله عليه والدين خيرٌ كله والجملة على هذا خبر باعتبار الحقيقة ونفس الأمر وأما ما يظهر بخلافة فليس إكراهاً حقيقياً ، وجوز أن تكون إخباراً في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين وتجبروا عليه »[١] .

٨-قال الإمام الخطابي: وأما قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ فإن حكم الآية مقصور على ما نزلت فيه من قصة اليهود وأما إكراه الكافر على دين الحقِّ فواجب وبهذا قاتلناهم على أن يسلموا أو يؤدوا الجزية ويرضوا بحكم الدين عليهم »[٢].

وهذه الآية خاصة بالكافر الأصلي ولا تشمل المرتد عن الإسلام كما أشار إلى ذلك ابن جرير الطبري في النص السابق وقال ابن حزم: « لم يختلف أحدٌ من الأمة كلها على أن هذه الآية ليست على ظاهرها لأن الأمة مجمعة على إكراه المرتد عن دينه »[٣] وقال الطاهر بن عاشور عن المرتد وإكراهه على البقاء في الإسلام « وليس هذا من الإكراه في الدين المنفي بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ على القول أنها غير منسوخة لأن الإكراه في الدين هو إكراه الناسِ على الخروج من أديانهم والدخول في الإسلام وأما هذا فهو من الإكراه على البقاء في الإسلام »[٤].

خامساً: الآيات القرآنية المتفق معناها مع هذه الآية:

١-قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس:٩٩].

قال ابن كثير: « قال تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ أي تلزمهم وتلجئهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ أي ليس ذلك عليك ولا إليك بل الله ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ »[٥].

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للعلامة محمود الألوسي (٣/ ٢٠).

(٢) نقلاً عن عون المعبود (٤/ ٢٤٧).

(٣) المحل (١١/ ١٩٥).

(٤) تفسير الطاهر بن عاشور (٢/ ٣٣٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٦٧١).

وقال القرطبي: « قال ابن عباس: كان النبي ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس فأخبره الله تعالى أنه لا يؤمن إلا من سبقت له السعادةُ في الذكر الأَوَّلِ ولا يضل إلا من سَبَقَتْ له الشَّقَاوَةُ في الذِّكْرِ الأَوَّلِ وقيل المراد بالناس هنا أبو طالب وَهُوَ عَنِ ابن عباس أيضاً »(١).

٢-قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد:١٥].

قال ابن كثير: « يخبر تعالى عن عظمته وسلطانه الذي قهر كل شيء ودان كل شيء ولهذا يسجد له كل شيء طوعاً من المؤمنين وكرهاً من الكافرين »(٢).

قال القرطبيُّ: « قال الحسنُ وقتادةُ وغيرهما: المؤمنُ يسجد طَوْعاً والكافر يسجد كرهاً بالسيف وقد ذكر القرطبي أن في تفسير الآية مسلكين: أحدهما: أنها عامة والمراد بها التخصيصُ فالمؤمن يسجد طوعاً وبعض الكفار يسجدون إكراهاً وخوفاً كالمنافقين... والمسلك الثاني: وهو الصحيح : إجراء الآية على التعميم وعلى هذا طريقان: أحدهما أن المؤمن يسجد طوعاً وأما الكافر فمأمور بالسجود مؤاخذ به والثاني: وهو الحق أن المؤمن يسجد ببدنه طوعاً، وكل مخلوق من المؤمن والكافر يسجد من حيث إنه مخلوق يسجد دلالة وحاجة إلى الصانع »(٣).

٣-قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف:٢٩].

قال ابن كثير: « يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: وقل يا محمد للناس هذا الذي جئتكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾

---

(١) تفسير القرطبي (٤-٨/ ٣٥٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٨٥).

(٣) تفسير القرطبي (٥-١٠/ ٣١٠).

هذا من باب التهديد والوعيد الشديد ولهذا قال ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا ﴾ أي أرصدنا ﴿ لِلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ ﴾ أي سورها »[(١)].

قال القرطبي: « ... ولَسْتُ بطارد المؤمنين لهواكُم فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا وليس هذا بترخيص وتخيير بين الإيمان والكفر وإنما هو وعيد وتهديد أي إن كفرتم فقد أعد لكم النار وإن آمنتم فلكم الجنة »[(٢)].

٤-قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩].

هذه الآية فيها تخصيص لعموم قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ إذ لا يُكره من أدى الجزية على دخول الإسلام أما من رفض أداء الجزية أو الدخول في الإسلام فحكمه القتل.

قال ابن كثير: « ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ ﴾ أي إن لم يسلموا ﴿ عَن يَدٖ ﴾ أي عن قهرٍ لَهُمْ وغلبةٍ ﴿ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أي ذليلون حقيرون مهانون »[(٣)].

وقال القرطبي: « قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ ﴾ فبين الغاية التي تمتد إليها العقوبة وعين البدل الذي ترتفع به »[(٤)].

قال ابْنُ العَرَبِيِّ: « إذا بَذَل الجزية فحقن دمه بمالٍ يسير مع إقراره على الكفر بالله هل هذا إلا كالرضا به ؟

فالجواب أنا نقول: في ذلك وجهان من الحكمة:

أحدهما: أن في أخذها معونةً للمسلمين وتقويةً لهم، ورزق حلالٍ ساقه الله إليهم.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٣٣).

(٢) تفسير القرطبي (٥-١٠/ ٤٠٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٤٣).

(٤) تفسير القرطبي (٤-٨/ ١٠٥).

الثاني: أنه لو قتل الكافر ليئس من الفلاح ووجب عليه الهلكة فإذا أُعْطِي الجزية وأمهل لعله أن يتدبر الحق ويرجع إلى الصواب لاسيما بمراقبة أهل الدين والتدرب بسماع ما عند المسلمين ألا ترى أن عظيم كفرهم لم يمنع من إدرار رزقه سبحانه عليهم»[١].

٥-قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝﴾ [الكافرون:١-٦]. الآية تشمل كل كافر على وجه الأرض فهي آية مفصلية فيها الأمر بالتبرء من الكفر والكافرين بالكلية ولكن فيها جواز إقرار الكافر على دينه بدون الرضا به[٢] وهي مخصوصة بآية الجزية فلا يقرُّ الكافر على دينِهِ إلا بعد أن يدفع الجزية وآية الجزية متأخرة في النزولِ عن سورة الكافرين. إذ آية الجزْيَةِ نزلت في العهد المدني وسورة الكافرون في العهد المكي،وقال بعض المفسرين نسختها آية السيف[٣]. والصحيح أن المراد بالنسخ هنا تخصيص العموم المفهوم من الآية في جواز إبقاءِ الكافر على دينه دون شرط فجاءت آية الجزية وشرطت دفع الجزية لجواز بقاءِ الكافرِ على دينه.

٦-قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ۝٢٨﴾ [هود:٢٨]. هذا حال نوح مع قومه أنه لا يكرههم على قبول الحق الذي جاء به وإنما دعوتهم إلى الله[٤].

---

(١) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (٢/ ٤٨٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٩٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٠-٢٠/ ٢٢٦).

(٤) تفسير القاسمي ص(٤/ ٣٠٠).

المبحث الثالث: عدم الإكراه على الدين في نصوص السنة وسيرة النبي ﷺ

١-لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة امتنع اليهود عن الدخول في الإسلام حسداً وحقداً فما كان من النبي ﷺ إلا أن أقرهم على دينهم ووادعهم وكتب بينه وبينهم كتاباً وفيه « وإن يهود بني عوف مع المؤمنين أمة لليهود دينهم وللمسلمين دينهم... »[1].

وكتب رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر فقال لهم « وإني أنشدكم الله بما أنزل عليكم وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله إلا أخبرتموني هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ فَأَدْعُوكُمْ إلى الله ونبيه »[2].

٢-لما أَسَرَ النبيُّ ﷺ من أَسَرَ في غزوة بدر الكبرى[3] لم يجبرهم على الدخول في الإسلام بل عرض عليهم الإسلامَ أو الفدية.

٣-لما قدم وفد نجرانَ من النصارى لم يجبرهم ﷺ على الإسلام بل أقرهم على البقاء على دينهم وصالحهم على أموال قال ابْن قيم الجوزية بعد سرد قصة وفد نجران من ضمن الفوائد المستخرجة من القصة « ومنها: جواز صلح أهل الكتاب على ما يريد الإمام من أموالٍ ومن الثياب وغيرها ويجري ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم فلا يحتاج إلى أن يفرد كل واحد منهم بجزية »[4].

٤-لما فتح النبي ﷺ مكة لم يُجبر أهل مكة على الدخول في الإسلامِ بل أمنهم وأطلق سراحهم فمنهم من أَسْلَمَ ومنهم من بَقِيَ على كُفْرِهِ.

٥-لما نزلت على رسول الله ﷺ آية الجزية في السنة التاسعة من الهجرة لم يكن رسول

---

(١) سيرة ابن هشام (٨/ ٨٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) سنن أبي داود رقم (٢٦٩٢-٢٦٩١) في كتاب الجهاد.

(٤) زاد المعاد (٣/ ٦٤٢) ت/ شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط٨، ١٤٠٥هـ.

الله ﷺ يقبل من الكفار إلا أَحَداً من أمرين إما الإسلام أو الجزية ثم يكون آخر الأمرين القتال ولذلك كان ﷺ يوصي أُمَرَاء الجُيُوش الإسلاميَّة بقوله: « .. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم »[١] .

وكانت هذه سيرة من أتى بعد المصطفى ﷺ من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا لا إِكْرَاهَ في الدِّين بل من يدخل في الإسلام اليوم وهم كثير في هذا العالم الواسع إنما يدخلون عن قناعة وتصديق كامل بأنه الدين الحق.

وأما حديث أبي هريرة ﷺ قال قال ﷺ: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسَّلاسِلِ»[٢].

فقال ابن الجوزي[٣] « معناه أنهم أُسروا وقُيدوا فلما عرفوا صحة الإسلام دخلوا طوعاً فدخلوا الجنة فكان الإكراه على الأسر والتقييد هو السبب الأول وكأنه أطلق على الإكراه التسلسل، ولما كان هو السبب في دخول الجنة أقام المسبب مقام السبب »[٤].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الجهاد (١٢/ ٣٧)، وأبو داود وكتاب الجهاد (٢/ ٣٥).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في موضعين في كتاب الجهاد في باب الأُسارى في السلاسل (٦/ ١٦٨) برقم (٣٠١٠)، وفي كتاب التفسير برقم (٤٥٥٧)، وأخرجه أبو داود بلفظ « يقادون إلى الجنة بالسلاسل » في كتاب الجهاد باب في الأسير يوثق (٤/ ٢٤٢) برقم (٢٦٧٤)، وأخرجه البغوي في شرح السنة بلفظ البخاري (١١/ ٧٦) برقم (٢٧١١)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه بلفظ أبو داود (١/ ٢٧٢) برقم (١٣٤)، وأخرجه الدولابي في الكنى والأسماء بلفظ « رأيت ناساً من أمتي يساقون إلى الجنة في السلاسل كرها. قلت: يا رسول الله من هم؟ قال: قوم من العجم يسبيهم المهاجرون فيدخلونهم في الإسلام مكرهين » (٢/ ١٠٢)، وقد ذكره ابن حجر في الفتح ولم يضعفه (٦/ ١٦٩).

(٣) أبو الفرج : عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي الحنبلي البغدادي علامة عصره في التاريخ والحديث ولد عام ٥٠٨هـ ومات عام ٥٩٧هـ من أهم كتبه « زاد المسير في علم التفسير » . انظر: الأعلام (٣/ ٣١٦).

(٤) فتح الباري (٦/ ١٦٩).

وقال إبراهيم الحربي[١]: المعنى يقادون إلى الإسلام مكرهين فيكون ذلك سبب دخولهم الجنة[٢].

وقال ابن حبان[٣] في صحيحه: « والقصد في هذا الخبر السَّبْيُ الذي يسبيهم المسلمون من دار الشرك مكتفين في السلاسل يقادون بها إلى دور الإسلام حتى يُسلموا فيدخلوا الجنة[٤].

وقال القاري: والمعنى أنهم يؤخذون أسارى قهراً وكرهاً في السلاسل والقيود فيدخلون في دار الإسلام ثم يرزقهم الله الإيمانَ فيدخلون بِهِ الجنة فأحل الدخول في الإسلام محل الجنة لإفضائه إليه[٥].

وما ذكره أهل العلم يتفق مع معنى الآية الكريمة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ وإنما يقع الإكراه على الأسر والخضوع لدار الإسلام.

وأما الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »[٦].

فقد قال ابن حجر: « فإن قيل: مقتضى الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد فكيف ترك قتال مؤدي الجزية والمعاهد؟ فالجواب من أوجه:

١-أَحَدُهَا: دعوى النسخ بأن يكون الإذن بأخذ الجزية والمعاهدة متأخراً عن هذه

---

(١) إبراهيم بن إسحاق الحربي كان عارفاً بالفقه حافظاً للحديث مات عام ٢٨٥هـ من اهم مؤلفاته غريب الحديث. انظر: تاريخ بغداد للخطيب (٦/ ٢٨)، والسير (٣/ ٣٥٦).

(٢) المرجع السابق.

(٣) محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم البستي محدث مؤرخ مات عام ٣٥٤هـ من أهم مؤلفاته « المسند الصحيح » في الحديث انظر: الأعلام (٦/ ٧٨) وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٢٥).

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/ ١٧٣)، مؤسسة الكتب الثقافية ط١، ١٤٠٧هـ.

(٥) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٤/ ٢٤٢).

(٦) سبق تخريجه ص(١٦٩).

الأحاديث، بدليل أنه متأخِّرٌ عن قوله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

٢-أن يكون من العامِّ الذي خُصَّ منه البعض لأن المقصود من الأمر حصول المطلوب فإذا تخلف البعض لدليل لم يقدح في العموم.

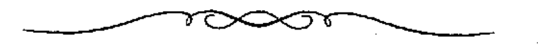
٣-أن يكون من العام الذي أريد به الخاص فيكون المراد بالناس في قوله:« أقاتل الناس » أي المشركِينَ من غير أهل الكتاب ويدل عليه رواية النسائي بلفظ « أمرت أن أقاتل المشركين » فإن قيل: إذا تم هذا في أهل الجزية لم يتم في المعاهدين ولا فيمن منع الجزية، أجيب بأن الممتنع في ترك المقاتلة رفعها لا تأخيرها مدة كما في الهدنة، ومقاتلة من امتنع من أداء الجزية بدليل الآية.

٤-أن يكون المراد بما ذكر من الشهادة وغيرها التعبير عن إعلاء كلمة الله وإذْ عَانِ المخالفين فيحصل في بعضٍ بالقتل وفي بعضٍ بالجزية وفي بعض بالمعاهدة.

٥-أن يكون المراد بالقتال هو أو ما يقوم مقامه من جزية أو غيرها.

٦-أن يقال الغرض من ضرب الجزية اضطرارهم إلى الإسلام وسبب السبب سبب فكأنه قال: حتى يسلموا أو يلتزموا ما يؤديهم إلى الإسلام وهذا أحسن ويأتي فيه ما في الثالث وهو آخر الأجوبة »[1].

وأحسن الأجوبة وأفضلها الجواب الرابع فإنه يتفق مع الآية الكريم ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ إذ الإسلام لا يكره على الدخول فيه ولكن يقع الإكراه بحقٍّ على الإذعانِ والخضوع لسلطان المسلمين ثم يترك الناس واختيارهم فمن بقي على دينه دفع الجزية ومن أسلم عن قناعة ورضي فهو أخٌ لنا في الإسلام له مالنا وعليه ما علينا وأما من يرفض الجزية والإسلامَ فمصيرُهُ القتل كما قال ﷺ في الحديث السابق ودليل ذلك أن النبي ﷺ أتى بلفظ أقاتل ولم يذكر لفظ القتل فدل على أن قتال الكفار واجب حتى يدخلوا تحت حكم الإسلام فإذا أبى الفرد منهم الإسلام ولم يدفع الجزية حل قتله.



(١) فتح الباري (١/ ٩٧).

المبحث الرابع: التاريخ الإسلامي يشهد بأن لا إكراه في الدين

يقول الدكتور وليم سليمان فلادة في كتابه المسيحية والإسلام على أرض مصر « لقد حفظ الكتاب الذي يضم يومياً أخبار القديسيين ويقرأ أثناء الصلوات في الكنيسة - حفظ ذكراً طيباً لعمرو- يقصد عمرو بن العاص فاتح مصر ﷺ ففي اليوم التاسع من شهر طوبة ١٧ يناير من كل عام تحتفل الكنيسة بذكرى البابابنيامين وجاء فيها وقرب عمرو رؤساء الأقباط منه وأحسن معاملتهم.. »[(١)].

وكذلك لما فتح المسلمون الشام كتب عمر بن الخطاب ﷺ لهم كتاباً جاء فيه « لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها.. ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم »[(٢)].

وأما في العصر الأموي فقد ورد في كتاب قصة الحضارة لول ديورانت مايؤكد سماحة الإسلام إذ يقول: « لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشيتون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائرهم واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداءِ زيٍّ ذي لون خاص وأداء ضريبةٍ على كل شخص تختلف باختلاف دخله »[(٣)].

وأما في العصر العباسيِّ فقد « اشتهر من بين أهل الذمة في العصر العباسي كثير من العُظَمَاءِ مثل جرجيس بن بختيشوع طبيب الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور وقد وثق الخليفة فيه وأكرمه ، ومن هؤلاء جبرائيل بن بختيشوع طبيب هارون الرشيد الذي قال الرشيد عنه: كل من كانت له حاجة إليَّ فليخاطب بها جبرائيل لأني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني »[(٤)].

---

(١) عن كتاب جريدة العقيدة د/ أحمد طاحون ص(١٩٢).

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ١٠٥).

(٣) قصة الحضارة لول ديورات (١٣/ ١٣٠).

(٤) الإسلام وأهل الذمة د/ الخربوطلي ص(١٧٠).

ويؤكد د/ قاسم عبده قاسم في كتابه « أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حَتَّى نهايةِ المماليكِ دراسة وثائقية » على تمتع أهل الذمة بجميع حقوقهم وحرياتهم »[(١)].

يقول سيرتوماس أرنولد في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » : « .. لم نسمع عن أَيَّةِ محاولة مدبرة لارغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدِّين المسيحيِّ »[(٢)].

ويقول ادوار بروي: « .. مما لابد من التنويه به عالياً أن هؤلاء السلاطين « العثمانيين » لم يظهروا أي تحرج أو تعصب تجاه المسيحيين في وقت وزمان كان فيه ديوان التفتيش يبطش بالناس بطشاً ويُنزل بهم الهلع.. وفي عهد كان اليهود والمسلمون يطردون دونما رحمةٍ أو شفقةٍ من إسبانيا.. بالرغم من إسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية في البلقان واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام فلم يأت العثمانيون شيئاً مهماً ليمنعوا السوادَ الأكبرَ من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم »[(٣)].

ويقول جورج حنا: « .. أن المسلمين العرب لم يعرف عنهم القسوة والجور في معاملتهم للمسيحيين بل كانوا يتركون لأهل الكتاب حرية العبادة وممارسة طقوسهم الدينية مكتفين بأخذ الجزية منهم »[(٤)].

ويقول أحمد سوسة وهو يهوديٌّ عراقيٌّ أَسْلَمَ: « .. وجد اليهود تَحْتَ رايةِ الإسْلَامِ أمناً وعَدْلاً اتَّقَوْا به شر الاضطهاد والاعتداء وقد مضت عليهم قرون عديدة وهم في خَيْرٍ وثَرَاءٍ »[(٥)].

---

(١) أهل الذمة في مصر (١٨٥).

(٢) قالوا عن الإسلام ص(٢٦٦).

(٣) قالوا عن الإسلام ص(٢٧٣).

(٤) قالوا عن الإسلام ص(٢٨٠).

(٥) قالوا عن الإسلام ص(٢٩٤).

المبحث الخامس: المفهوم الصحيح للإكراه في الدين

قسم أهل العلمِ الإكراهَ إلى قسمين:

١-إكراه بحق. ٢- وإكراه بغير حق.

فأجاز أهل العلم الإكراه على الحق لأنه فيه مصلحة كبرى للمكره إما في الدنيا أو في الآخرة، ومنعوا الإكراه بغير حق لأنه عديم المصلحة.

وحقيقة الإكراه بحق في الإسلام يتمثل في الأمور التالية:

١-إكراه الكافر الأصلي على قبول أحد أمرين إمَّا الإسلامِ أو الجزيةِ فالإكراه واقع على الأمرين جميعاً فأيهما اختار سَقَطَ عَنْهُ الآخَرُ.

٢-إكراه المرتدِّ على البقاءِ في الإسلام.

٣-إكراه المسلم على الالتزام بأحكام الإسلامِ جميعاً بقدر استطاعته فلا إكراه مع العجز.

وأما الإكراه بغير حق فهو كإكراه الكافر الذمي ومَنْ لهُ عهد وأمان على الدخول في الإسلام كما قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال الإمام الخطابي: « وأما إكراه الكافر على دين الحق فواجبٌ ولهذا قاتلناهم على أن يسلموا أو يؤدوا الجزية أو يرضوا بحكم الدين عليهم »[(١)].

وقال القاضي أبو بكر العربي في معرض تفسير آية البقرة: « عُمُومٌ في نفي إكراه الباطل فأما الإكراه بالحق فإنه من الدين وهل يقتل الكافر إلا على الدين قال ﷺ: «أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله »[(٢)] وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة:١٩٣] »[(٣)].

---

(١) نقلاً عن عون المعبود (٤/ ٢٤٧).

(٢) برقم (٣٧٧).

(٣) أحكام القرآن (١/ ٣١٠).

وقال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي: « وأما الإكراه بحق فهو غير مانع من لُزوم ما أكره عليه، فلو أكره الحربيُّ على الإسلام فأسلم صح إسلامه » [١].

وقال الإمام الشافعيُّ: « تصرفات المكره قولاً تكون لغواً إذا كان الإكراهُ بغير حق لأن صحة القول بالقصد والاختيار ليكون ترجمةً عما في الضمير فيبطل عند عدمه.

وكذا فعلاً لأنه في الشريعة جُعل عذراً فكان مبطلاً للحكم على المكره أصلاً وإن كان بحق يصح فلهذا قال: يصح إسلام الحربيِّ المكرهِ على ذلك دون الذميِّ المكره عليهِ» [٢].

وقال ابن تيمية: « والإكراه قد يكون إِكْراهاً بحق وقد يكون إِكْراهاً بباطلٍ.

فالأول: كإكراه من امتنع من الواجبات على فعلها، مثل إكراه الكافر الحربي.

على الإسلام أو أداء الجزية عن يد وهم صاغرون،وإكراه المرتد على العود إلى الإسلام، وإكراه من أسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، وعلى قضاء الديون التي يقدر على قضائها، وعلى أداء الأمانة التي يقدر على أدائها، وإعطاء النفقة الواجبة عليه التي يقدر على إعطائها.

وأَمَّا الإِكْرَاهُ بغير حَقٍّ: فمثل إكراه الإنسان على الكفر والمعاصي » [٣].

وأما في آخر الزمن فقد ورد عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة قوله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية.. » [٤].

قال ابن كثير: « من دلائل النبوة الظاهرة حيث قيض الله بناء هذه المنارة البيضاء من أموال النصارى حتى ينزل عيسى ابن مريم عليها فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ولا

---

(١) جامع العلوم والحكم ت/ شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باحسن ص(٤٤٩).

(٢) المغني في أصول الفقه لأبي محمد الخبازي ص(٤٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٦٣).

(٤) متفق عليه أخرجه البخاري (٤/ ٢٢٢٢)،ومسلم (١/ ٢٤٢).

يقبل منهم جزية ولكن من أسلم قبل إسلامه وإلا قتل وكذلك حكم سائر كفار أهل الأرض يومئذ وهذا من باب الإخبار عن المسيح بذلك والتشريع له بذلك فإنه إنما يحكم بمقتضى هذه الشريعة المطهرة »[١].

ومما يؤكد ما ذكرته أن الله عز وجل قال في سورة البقرة « لا إكراه في الدين » ولم يقل سبحانه لا إكراه على الإسلام ولذلك دلائل ولطائف وهي:

أن المقصود بالدين هو التوحيد والعقيدة، والإيمان لا يتأتى عليه إكراه لأن الإنسان لا يستطيع أن يكرهه أحدٌ على ما في قلبه، وأما لفظة الإسلام فتشمل العقيدة والشريعة ومما يؤكد هذا الأمر أن لفظة الدين وردت في القرآن بمعنى التوحيد والشهادة[٢]، وكذلك وردت في لغة العرب بمعنى الطاعة « والدين أيضاً الطاعة تقول دان له يدين ديناً أي أطاعه »[٣] والطاعة لا تكون إلا عن قناعة ورضى بالقلب عن الشيء المأمور به، وإذا لم يكن هناك رضى فيسمى قسر وإكراه قال الفيروز إبادي في كتابه بصائر ذوي التمييز « وقوله تعالى (لا إكراه في الدين) قيل يعني الطاعة فإن ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه »[٤]ومن أجل ذلك جاءت لفظة الدين ولم تأت لفظة الإسلام، لأن الإسلام عبارة عن عقيدة وتوحيد سابق جاء به جميع الرسل وشريعة جديده جاء بها محمد ﷺ ناسخة لجميع الشرائع قبله لا بد من الخضوع لها بالسلم أو بالحرب ولكن الإيمان لا إكراه عليه ولأجل ذلك لم يُعرف عن النبي ﷺ أنه أكره أحداً من الأفراد على الدخول في الإسلام وإنما ثبت عنه ﷺ إكراه الدول والقبائل للخضوع لسلطان وشريعة الإسلام.

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم، للحافظ ابن كثير (١/ ١٢٩).

(٢) انظر كتاب الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز/ لأبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني (١/ ٣٢٩)، وكتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ محب الدين الفيروزبادي (٢/ ٦١٧)

(٣) مختار الصحاح لأبي بكر الرازي ص(٩١).

(٤) (٢/ ١٦٦).



الدعوة إلى حرية الاعتقاد

<u>وفيه فصلان</u> : -

۞ الفصل الأول: موقف الناس من حرية الاعتقاد.

۞ الفصل الثاني: الردة وحرية الاعتقاد.



موقف الناس من حرية الاعتقاد

وفيه ستة مباحث: -

- المبحث الأول: تعريف الحرية لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني: موقف الإسلام من مفهوم الحرية.
- المبحث الثالث: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً.
- المبحث الرابع: نشأة مصطلح حرية الاعتقاد.
- المبحث الخامس: تعريف مصطلح حرية الاعتقاد وحجة الرافضين له.
- المبحث السادس: الداعون لمصطلح حرية الاعتقاد.

* * * * * *

المبحث الأول: تعريف الحرية لغة واصطلاحاً

تعريف الحرية في اللغة العربية: تحمل كلمة الحرية في المعاجم اللغوية عدة معاني منها:

١-الحرضد العبد جاء في لسان العرب « الحر بالضم نقيض العبد والجمع أحرار والحرة نقيض الأمة وحرره أعتقه »[١].

وقال في القاموس المحيط « والحر بالضم خلاف العبد »[٢].

٢-والحرية بمعنى من اتصف بمكارم الأخلاق قال الأزهري[٣] في تهذيب اللغة «والحر من الناس: خيارهم وأفاضلهم، والحر من كل شيء أعتقُهُ »[٤].

وقال ابن منظور في لسان العرب « والحر من كل شيء أعتقه وفرس حر عتيق وحر الفاكهة خيارها، والحر كل شيء فاخرٌ منْ شعر وغيره، وحر كل أرض وسطها وأطيبها والحرة والحر الطين الطيب، وحر الرمل وحر الدار وسطها وخيرها، والحديث ما رأيت أشبه برسول الله ﷺ من الحسن إلا أن النبي ﷺ كان أحَرَّ حسنا منه يعني أرق منه رقة حسن »[٥] ومنه قولهم « الحرة الكريمة من النساء »[٦] ومنه قولهم « وهو من حرِّية قومه أي من أشرافهم »[٧].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٣٢٩).

(٢) القاموس المحيط لمجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي (٢/ ٧)،وانظر: مختار الصحاح لأبي بكر الرازي ص(٥٥)، وتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري (٣/ ٤٣١)، وأساس البلاغة للزمخشري ص(٧٩).

(٣) هو محمد بن أحمد ابو منصور الأزهري اللغوي الشافعي مات سنة ٣٧١هـ قال الذهبي عنه « كان رأساً في اللغة والفقه » من أهم كتبه « تهذيب اللغة » . انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥).

(٤) (٣/ ٤٣٢).

(٥) (٢/ ٨٣٠).

(٦) تهذيب اللغة (٣/ ٤٣٢).

(٧) أساس البلاغة للزمخشري ص(٧٩).

وهذا المعنى للحرية يلتقي مع المعنى الأول في التحرر من أمر ما ففي المعنى الأول تحرر العبد من رق العبودية، وفي المعنى الثاني تحرر العبد من رق الأخلاق الرذيلة إلى الأخلاق الكريمة وينجر هذا المعنى جزماً على تحرر العبد من عبودية غير الله إلى عبوديته لله العبودية الكاملة التامة يقول د/ محمد علي محجوب: إن الحرية في المفهوم اللغوي تأتي بمعنى: تحرر الإنسان من جميع العبوديات وعدم خضوعه لأي كائن.. وخضوعه واستسلامه فقط لخالق الكائنات رب العالمين[١].

ولفظ « حر » قد عُرف من قبل في الجاهلية ليس فقط مصطلحاً لغوياً يطلق على ضد العبد بل مصطلحاً أخلاقياً يدل على أولئك النبلاء في خلقهم وسلوكهم »[٢].

تعريف الحرية في المصطلح:

عرف الجرجاني[٣] الحرية بقوله: « إقامة حقوق العبودية لله تعالى فهو حر عن سوى الله »[٤].

وقال التهانوي: « خلوص حكمي يظهر في الآدمي لانقطاع حق الغير عنه »[٥].

يتضح من خلال هذين التعريفين أن الحرية هي حرية العبد من تسلط العبد الآخر عليه وحرية عبوديته لخالقه المنعم عليه.

فالحرية بهذا المفهوم المتميز تخرج لنا رجالاً أحراراً تحرروا من رق العبودية لغير الله

---

(١) نقلاً من كتاب حرية العقيدة د/ أحمد رشاد طاحون إتراك للنشر والتوزيع ص(٤٤)، ط١، ١٩٩٨م.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، إعداد إبراهيم زكي خورشيد، وأحمد الشنتاوي وعبدالحميد يونس (١٤/ ٧٥) طبع دار الشعبي ١٩٧٦، نقلاً عن كتاب حرية العقيدة في ظل الإسلام د/ تيسير خميس العمر دار الفكر ط١، ١٤١٩هـ، ص(٣٢).

(٣) هو علي بن محمد بن علي أبو الحسن ويعرف بالسيد الشريف ولد عام ٧٤٠هـ ومات عام ٨١٦هـ العالم العلامة المتفنن في التأليف، من أهم كتبه « التعريفات ». انظر: الأعلام (٥/ ٧)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (١/ ٤٨٨).

(٤) التعريفات: للإمام الجرجاني ص(١٥٠)، دار النفائس، ط١، ١٤٢٤ت د/ محمد عبدالرحمن المرعشلي.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للعلامة محمد علي التهانوي ص(٦٤١) مكتبة لبنان، ناشرون ط١.

إلى عبوديتهم الكاملة لخالقهم فلا الدنيا تأسرهم ولا الجاه والسلطة يستشرفهم ولا المال يعبدونه فقد حرروا أنفسهم وأصبحوا في الدنيا رجالاً سادوا على غيرهم لحريتهم كما قال ربعي بن عامر لقائد الفرس رستم لما سأله: ما جاء بكم؟ فقال ربعي بن عامر الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام....[1].

فالحرية بهذا المفهوم الصحيح هي تحرر العبد من ثلاثة أمور:

١-تحرره من الدنيا.

٢-تحرره من النفس وشهواتها ورغباتها.

٣-تحرره من الشيطان وإغوائه.

وأما المفهوم الخاطئ للحرية فهو تحرر العبد من أحكام الدين ومن عبوديته للخالق الديان كما قال العلامة التهانوي « ثم اعلم بأن بعض الملاحدة يقولون: متى وصل العبد إلى مقام الحرية تزول عنه صفة العبودية وهذا كفر، لأن العبودية لم تزل عن مولانا رسول الله ﷺ صاحب الرسالة »[2] ومن ذلك ما قاله ابن عربي الصوفي في خصوصه « الحرية من ظلمات أهل الغيب المكتنفين خلف الحجب الظلماتية لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح:٢٨] أي هلاكاً في الحق فلا يعرفون نفوسَهُمْ لشهودهم وجه الحق دونهم »[3].

والحرية بمعناها العام الخاطئ هي تحرير العبد أو المجتمع من العبودية لله ﷻ بالكلية أوْ في جزء من أجزاء حياته مثل سياسته أو اقتصاده أو ثقافته فهو حرٌ يفعل ما يشاء ولا علاقة للدين في أفعاله وأقواله ولا قيمه وأخلاقه وهذا هو المفهوم الغربي الفلسفي للحرية[4] فقد عرفت الموسوعة العربية العالمية الحرية بأنها: « الحالة التي

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٤٠) مكتبة ابن تيمية.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ص(٦٤١).

(٣) فصوح الحكم ص(٧١).

(٤) انظر: المعجم الفلسفي جميل صليبا (١/ ٤٦١)، الشركة العالمية للكتاب والمعجم الفلسفي مراد وهبة دار =

يستطيع فيها الأفراد أن يختاروا ويقرروا ويفعلوا بوحي من إرادتهم دونما أية ضغوط من أي نوع عليهم »[١].

قباء للطباعة والنشر ص(٢٨٧)، والموسوعة الميسرة في الأديان المذهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب إشراف د/ مانع بن حماد الجهني ﷺ (٢/ ١٠٤).

(١) حرية الاعتقاد في القرآن الكريم دراسة في إشكالية الردة والجهاد والجزية عبدالرحمن حللي المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠١، ص(١٩).

المبحث الثاني: موقف الإسلام من مفهوم الحرية

إن مفهوم الحرية في نصوص القرآن والسنة لا تخرج عن معناها في اللغة العربية فالحر ضد العبد كما قال تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾ [البقرة:١٧٨].

والحر هو من تحرر من عبودية الشهوة والذل للدنيا كما قال ﷺ: (تعس عبدالدرهم تعس عبدالدينار) [١] وقد ذكر الراغب الأصفهاني في مفرداته أن كلمة الحرية وردت في القرآن عدة مرات وهي لا تخرج عن معنيين

١-من لم يجر عليه حكم الشيء نحو « الحر بالحر ».

٢-من لم تتملكه الصفات الذميمة من الحرص والشَّرَه على المقتنيات الدنيوية وإلى العبودية التي تضاد ذلك[٢]. وقال ابن الأثير في غريب الحديث عن الحرية « من فعل كذا وكذا فله عدل محرِّر أي أجر معتق. المحرَّر: الذي جعل العبد حراً فأعتق يقال حرَّ العبد يحرُّ حراراً بالفتح أي صار حراً. ومنه حديث أبي هريرة: « فأنا أبو هريرة المحرَّر »أي المعتق والحر أحد الأحرار والأنثى حرة » [٣].

إذاً الحرية في نصوص القرآن والسنة لا تخرج عَنِ المعنى اللغوي المحتوي على أمرين:

الأول:الحر ضد العبد، والحرية ضد العبودية.

الثاني: الحر بمعنى أخلاقي وهو تحرر العبد من شهواته ورغباته وأوامر نفسه الأمارة بالسوء وتحرره من أشكال العبودية لغير الله. فمن أحدث معنى آخر للحرية خلاف هذين المعنين فقد خالف منهج القرآن والسنة في هذا المصطلح وتوسع فيما لا يجوز له التوسع فيه لأن التزام المصطلحات الشرعية بمعناه المبين في نصوص القرآن

---

(١) صحيح البخاري (٨/ ١١٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني بتصرف ص(١١١).

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ت/ طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي (١/ ٣٦٢)، المكتبة العلمية.

والسنة أمر حتمي لا يجوز العدول عنه إلى ما تراهُ العقول القاصرة من معاني وتفسيرات وتأويلات أقرب ما تكون من التحريف والتبديل منها إلى التفسير والتوضيح وكلمة الحرية هي من أعظم الكلمات تلاعباً في الفكر الإسلامي إذ أدخلوا كل رذيلة من أخلاق وكل سقيم من فكر من باب الحرية فقالوا الإسلام يدعو إلى حرية المعتقد والإسلام يدعو إلى حرية الفرد والحرية في الأعراض والحرية في الأموال والحرية في الدماء وحرية الرأي وحرية الاختلاف وحرية المجادلة وحرية الاجتهاد[١] وتوسعوا كثيراً في هذا المصطلح حتى تلقفه من في قلبه مرضٌ فأخذ يمرر من خلاله ما يراه عقله وجعل الحرية هي المقصد الأعظم في الإسلام الذي يجب أن تؤول النصوص الشرعية التي تخالف في ظاهرها هذا المقصدَ العظيمَ كقتل المرتدِ وحق التعبير وغير ذلك.

ومن أجل ذلك لا بد من مناقشة جادة لهذا المصطلح يتضح من خلالها مدى مشروعيته وهل هو مصطلحٌ شرعي نقبله ؟ أم هو مصطلح يجب رفضه مطلقاً؟

ولكي أصل إلى نتيجة سليمة لابد من البحث من خلال هذه النقاط:

١-لفظ الحرية في اللغة العربية يحملُ معنى الخلوص أي تخلص العبد من رق العبودية للبشر وللنفس الجامحة فالحرية إذن نقيض العبودية قال الإمام التهانوي « الحر بالفتح والتشديد لغة الخلوص »[٢]. لم تطلق الحرية في اللغة العربية بمعنى تحرر الإنسان العربي من قيود المجتمع أو العاداتِ والأعراف القبلية السائدة قبل الإسلام بل الحرية ضد العبودية أو هي قيمة أخلاقية عظيمة لدى العرب تحثهم على مكارم الأخلاق وفضائلها.

٢-أما في الآيات القرآنية فلم ترد لفظة الحرية أبداً وإنما وردت لفظة تحريرُ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣﴾ [المجادلة:٣] وهذه الآية وأمثالها « كما في سورة البقرة

---

(١) انظر: كتاب الحرية في الإسلام محمد الخضر حسين وكتاب الحرية في الإسلام نشأت جعفر.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٢٩١).

(١٧٧)، وسورة النساء (٩٢)، وسورة المائدة (٨٩) » واقفت المعنى اللغوي وهو تحرير العبد من رق العبودية للبشر فالحر ضد العبد.

ووردت لفظه الحر ضد العبد كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ [البقرة:١٧٨] وهذا المعنى يوافق معناه في اللغة وأيضاً وردت كلمة « محرراً » عن مريم عليها السلام لما نذرت حملها لله في قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا﴾ [آل عمران:٣٥].

فلفظ الحرية عند التحقيق يتضح أنه يطلق على إطلاقين:

١-يطلق لفظ الحرية بين العبد وأخيه العبدِ الآخر أي الحر ضد العبد.

٢-يطلق لفظ الحرية بين العبد ونفسه.

وأما إطلاق لفظ الحرية على أحكام وتشريعات الإسلام العظام فلا يقبل أبداً لأن العلاقة بين الخالق والمخلوق هي علاقة العبودية الكاملة لله ﷻ ووجوب التسليم والانقياد لكل ما يقوله الخالق ﷻ فما أمر الله به فهو فرض واجب التزامه وما نهى الله عنه فهو فرض واجب تركه فلا حرية في هذا المجال أبداً وإنما تسليم وانقياد كامل لله الواحد القهار.

ومن أجل ذلك فهذا المصطلح يجب رفضه بمفهومه السائد اليوم وهو أن الله منح العبد حريته في عقيدته وعرضه وماله ودمه واختلافه مع الآخر وفكره ورأيه وهذا الرفض مبني على الأدلة التالية:

١-إن الحرية بهذا المفهوم تخالف مفهوم هذه الكلمة في اللغة العربية والقرآن الكريم والسنة المطهرة وهذا كافٍ لردها.

٢-إن ما منحه الله للعباد من حق اختيار في بعض الأحكام لايسمى حرية مطلقة وإنما هو حق اختيار في أمور محددة يتحمل العبد بعد ذلك تبعة هذا الاختيار بما منحه الله

من عقل يدرك ويفهم به الضار والنافع .

٣-إن هذه الكلمة حُمّلت معاني باطلة يستغلها أعداء الإسلام لتمرير ما يريدون من أفكار ومذاهب باطلة فالواجب ردها حتى يتم إغلاق هذا الباب كما أمر الله تعالى المؤمنين بعدم مخاطبة النبي ﷺ بلفظ راعنا لأنه يحمل معنى باطلاً في حق النبي ﷺ استخدمه اليهود لوصف النبي ﷺ بالرعونة والجنون، وأمرهم بلفظ انظرنا الذي لا يحمل معنى باطلاً قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾ [البقرة:١٠٤].

٤-قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] .

يُبَيّن الله أن الغاية والهدف من خلق الإنس والجن هي العبادة أي أنهم عبيد لله وهو سبحانه سيدهم فكيف يقال أنهم أحرار وأن لهم الحرية في علاقتهم مع الله؟ والله يخبرنا أننا عبيد له ﷻ فعلاقة الخالق بالمخلوق علاقة مبنية على العبودية الكاملة لله ﷻ. والحر نقيض العبد والحرية نقيض العبودية فكيف يجتمع النقيضان؟ وهل يجوز أن يرتفع عن المخلوق وصف العبودية أو الحرية؟ الجواب واضح جداً ولأجل ذلك يجب رد هذا المصطلح.

٥-إن إبراز هذه الكلمة « الحرية » وإعطاءها هذا الزخم الكبير إنما جاء رَدَّةَ فعلٍ للفكر الغربي يقول د/ أحمد البغدادي: « إن جميع المؤلفات الخاصة بالحريات على اختلاف أنواعها في الفكر الإسلامي إنما جاءت كرد فعل للتوجه العالمي نحو حقوق الإنسان، والسعي الغربي المتزايد لفرض البنود الواردة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حيث سعى المفكرون المسلمون إلى محاولة إثبات وجود هذه الحقوق في الدين الإسلامي »[1].

وكلام هذا المفكر الليبرالي جاء به في سياق اتهام الإسلام بنبذه الحريات وأن الفكر الإسلامي والنص الديني قد انعدم فيهما مفهوم الحرية وإنما الموجود هو واجبات ومحرمات وحقوق الله وحقوق العباد وما ذكره الكاتب صحيح في شقه الثاني وأما

(١) أحاديث الدين والدنيا ص(٣٠١)، وانظر: ص(٣٠٨).

إدعاؤه أن الإسلام كله إكراه وقسر فلا شك أن النص الديني « لا إكراه في الدين » يكذبه وواقع غير المسلمين في البلاد الإسلامية يكذبه كذلك.

وأخيراً فإن هذه الكلمة وهي « الحرية » لها قيمتها الإسلامية الكبيرة ولكن بالمفهوم الصحيح وهو تحرر العبد من رق العبودية لغير الله ﷻ وعبوديته الكاملة للعلي العظيم ولأجل ذلك فكلمة الحرية تساوي الحق فما فرضه الحق على الخلق ففيه الحرية الكاملة بمفهومها الواسع الشامل الصحيح. لأن الحق أعلم بما يصلح شأن الخلق كما أن الأم الحنون أعلم بما يصلح شأن ولدها العاجز عن إدراك ما يصلحه وما يضره ولله المثل الأعلى.



المبحث الثالث: تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً

العقيدة لغة:

أصل اشتقاق كلمة « العقيدة » في اللغة العربية من « عقد » بمعنى الشد والتوثيق قال الرازي في مختار الصحاح « عقد الحبل والبيع والعهد فانعقد.. واعتقد كذا بقلبه وليس له معقود أي عقد رأي »[(١)].

وقال الزمخشري في أساس البلاغة « ... وقد عَقِدَ عقداً وبينهم موادٌّ ومعاقدُ أي موداتُ وعهود، واعتقد فلان عقدةً إذا اشترى ضيعة أو اتخذ مالاً من عقار وغيره واعتقد أخاً في الله، ومسح كاتبٌ قلمه بكمّه فقيل له: فقال إنما اعتقدنا هذا بهذا، واعتقد النوى: صلب ومنه: اعتقد بينهما الإخاء إذا هدف وثبت ،وناقة معقودة القَرى وثيقة « الظهر »[(٢)].

وقال الزبيدي: « والذي صرح به أئمة الاشتقاق : أن أصل العقد: نقيض الحل.. ثم استعمل في أنواع العقود من البيوعات وغيرها، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم »[(٣)] ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾ [النساء:٣٣].

والاعتقاد في الاصطلاح هو: العلم الجازم القابل للتغير، وهو صحيح إنْ طابق الواقع كاعتقاد المقلد سنية الضحى، وإلا ففاسد كاعتقاد الفلسفي قَدمَ العالم »[(٤)].

فالعقيدة مبناها على الجزم واليقين وهي بهذا المعنى تتفق مع المعنى اللغوي.

فالعقيدة في الإسلام هي: « التصور الصحيح لعوالم الغيب الواردة في الخبر اليقين والاطمئنان القلبي الجازم، والتصديق العقلي المطلق المطابق للواقع الناشئ عن دليل

---

(١) مختار الصحاح للرازي ص(١٨٦).

(٢) أساس البلاغة ص(٣٠٩).

(٣) تاج العروس (٢/ ٤٢٦).

(٤) التعريفات للشريف الجرجاني ص(٨٧)، وانظر: الكليات لأبي البقاء الكفوي، مؤسسة الرسالة ، ط٢، ص(١٥١)، وكشاف اصطلاح الفنون للتهانوي (١/ ٢٣٠)، مكتبة لبنان ناشرون.

المقترن بالعمل الموافق لأوامر الله »[١] .

فالعقيدة بهذا التعريف تشمل مع الاعتقاد الجازم في القلب العملَ بالجوارح والنطق بما يعتقده فهي بهذا التعريف ترتبط ارتباطاً كُلياً بالمصطلح القرآني الإيمان، فالعقيدة والإيمان في نظر الإسلام مصطلحان مترادفان لشيءٍ واحدٍ.

فالمؤمن هو الذي يعتقد المعتقد الصحيح الذي لا يحتمل الشك فالعقيدة عند المسلمين لها تعريف يرادف معنى الإيمانِ في مصطلح القرآن والسنة،وأما العقيدة عند غير المسلمين فهي عبارة عن مصطلح تجريدي يختص بالقلب والعاطفة والانفعالات[٢].

---

(١) حرية الاعتقاد في ظل الإسلام د/ تيسير خميس العمر ص(٦٤).

(٢) انظر: المعجم الفلسفي مراد وهبة، دار قباء للطباعة والنشر ، ص(٧٩)، والمعجم الفلسفي د/ جميل صليبا (١/ ١٠٤).

المبحث الرابع: نشأة مصطلح حرية الاعتقاد

إن الدراسة التاريخية لكل مصطلح لها أهميتها القصوى في معرفة الأسباب التي أدت إلى ظهور هذا المصطلح مما يساعد على تحليله وتعريفه بربطه بالأسباب الزمانية والمكانية وتطوره عبر الزمان والمكان وما يترتب عليه من آثار إيجابية أو سلبية وذلك يحقق الهدف في الحكم عليه بالقبول أو الرفض، ومن ذلك نشأة مصطلح حرية الاعتقاد والحريات عموماً وهذا ما أتناوله في هذا المبحث ضمن مطالب ثلاثة وهي كالتالي:

۞ المطلب الأول: في الأديان القديمة المصرية واليونانية والرومانية:

كان الفكر المصري يقوم على أساس تأليه الفرعون وبالتالي فما يقوله أو يفعله فرعون وهو الإله عندهم هو الواجب اتباعه وقد أشار الله ﷻ إلى ذلك في القرآن العظيم فقال سبحانه عن فرعون ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤] وقوله ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨] وقوله ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر:٢٩]، وما قصةُ الله عن فرعون لما أراد قتل موسى ومن معه لما خرجوا عن سلطانه الإلهي المزعوم وعبدوا الواحد القهار سبحانه قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٣٨-٤٠] أكبر دليل على التسلط والإكراه.

فهل بعد هذا الاضطهادِ والإكراهِ من حرية؟ لا يمكن أن يقول عاقل أن فرعون أسس مبدأ الحرية العقدية بل هو مؤسس مبدأ التسلط والاضطهاد والكبر في تاريخ البشرية.

وأما العصر اليونانيُّ فيكفي في ذلك أن نعلم أن الفَيلسوف اليوناني سقراط حكم عليه بالإعدام عام (٣٣٩ ق.م) ونُفذ الحكم فيه بتهمة أنه لا يجل آلهة المدينة ويدعو إلى

آلهة جديدة ويفسد الشباب بتعليمه[١] فأي حُريَّةٍ بعد ذلك. ومما يؤكد ذلك أن أرسطو أُكرِهَ على مغادرة أثينا قرابة سبعين عاماً من موت سُقرَاط[٢].

وذلك لأن سلطة الدولة على الأفراد كانت مطلقة فيتعين على الفرد اعتناق دين الدولة دون قناعة أو اختيار والرافض لذلك مصيره الموت أو الطرد والإبعاد[٣].

وأما العصر الروماني فقد حصل فيه نوع تسامح مع النصرانية بعد ظهورها لما أصدر قسطنطين الأكبر مرسوم التسامح سنة (٣١١م وسنة ٣١٣م) وذلك قبل أن يعتنق النصرانية فلما اعتنقها بدأ عهد الاضطهاد والإكراه ضد كل من لا يعتنق دين الملك وهذا ما أتحدث عنه في المطلب الثاني.

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اميل برهيه، الفلسفة اليونانية ص(١١٩)، دار الطليعة بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ترجمة جورج طرابيش.

(٢) المرجع السابق ص(٢٢٢).

(٣) انظر: حرية العقيدة في الشريعة الإسلامية د/ أحمد رشاد طاعون ص(٦٣) ط١، ١٩٩٨م، إتراك للنشر والتوزيع.

۞ المطلب الثاني: في الديانة اليهودية والنصرانية:

أما في الديانة اليهودية فيكفي أن نعلم أن اليهودية عقيدة مبنية على العنصرية فهم شعب الله المختار وإله اليهود إله خاص بهم وجميع المخلوقات إنما خلقهم الله ليكونوا عبيداً لليهود ومن أجل ذلك لا يستحق غير اليهودي أن يعتنقَ الديانة اليهودية[1].

ويكفي أن نعلم أنهم قابلوا المسيح عليه السلام بالعداء والكيد فأرادوا قتله ولكن الله رفعه إليه واستمر العداء مع حواريي عيسى عليه السلام بعده فطاردوهم وقتلوهم بل وقتلوا قبلهم أنبياء كما قال الله عنهم: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران:١٨١] فهم سفاكون للدماء يسارعون في الاثم والعدوان، ويسعون في الأرض فسادا، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس هكذا حكى القرآن عنهم، ومما يدل على تدينهم بسفك الدماء أنَّ« لليهود عيدين مقدسين لا تتم الفرحة فيها إلا بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية »[2] وما يفعله اليهود اليوم في فلسطين الغالية أكبر دليل على الوحشية والعنف والإرهاب وانعدام الحرية بالكلية.

وأما النصرانية فلم تعرف في تاريخها بعد وقوع التحريف عن الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام مصطلح الحرية الدينية ولكنه الإكراه والقسر والاضطهاد فيما بين النصارى أنفسهم ومع غيرهم من الأديان الأخرى وأعظم مثالٍ على ذلك ما فعله هرقل بأهل مصر النصارى الأقباط لما انتصر على الفرس وحاول توحيد المذاهب النصرانية كلها وعقد لهذا مجمع خلقدونية فعذب وقتل هرقلُ كل من رفض الإيمان بالعقيدة النصرانية الجديده[3] من النصارى الأقباط. وأما مع غيرهم فإن محاكم التفتيش تصرخ

---

(١) انظر: كتاب الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه د/ حسن ظاظا، دار القلم ط٤، ١٤٢٠هـ.

(٢) التسامح والتعصب بين اليهودية والمسيحية والإسلام، د/ عمر عبدالعزيز أبو المجد، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر عام (١٤١١هـ) ص(٥٤).

(٣) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية والإسلام د/ توفيق الطويل ص(٧٤)، الزهراء للإعلام العربي، ط١، ١٤١٢هـ.

بأعلى صوتٍ يقطر دماً وقتلاً وتعذيباً بما فلعه القساوسة النصارى الكاثوليك بالمسلمين في أسبانيا وغيرها[1].

واستمر هذا الاضطهاد والقسر والإكراه حتى عصر النهضة في أوروبا وهو ما نتحدث عنه في المطلب القادم.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص(٧٨-٩٠).

۞ المطلب الثالث: أوروبا الحديثة وبداية الحريات:

إن أعظم العوامل مساهمة في تقرير مبدأ الحريات في الفكر الأوروبي هو تسلط الكنيسة الكاثوليكية على الفكر العلمي الأوروبي مما نتج عنه فصل العلم عن الكنيسة بعد حرب ضروس بين العلماء المفكرين والقساوسة المتعصبين فالثورة العلمية لهؤلاء العلماء تتضح من خلال هذا السرد التاريخي للنظريات العلمية المخالفة لما عليه الكنيسة:

« ١-نظرية كوبرنيق عن الأجرام السماوية ١٥٤٠م.

٢-تطوير النظرية على يد تيكوبراهي ١٥٧٥م.

٣-نظرية جاليليو في الحركة وصنع المرقب ١٥٩٧م.

٤-قوانين كبلر الثلاثة ١٦٢٠م.

٥-نظرية الجاذبية وقوانين الحركة لنيوتن ١٦٨٧م.

٦-أول نظرية كونية وضعها لابلاس ١٧٨٠م.

وصاحب هذه النظريات العلميةَ نظرياتٌ سياسية واقتصادية واجتماعية.

١-المكيافيللية في السياسة ١٥١٣م.

٢-ظهور الفلسفة الحديثة على يد ديكارت ١٦٥٠م.

٣-النظرية الطبيعية للدولة والمجتمع « التنين » هوبز ١٦٧٩م.

٤-سبنوزا يؤسس مدرسة النقد التاريخي للكتب النصرانية المقدسة يجاهر بنبذ النصرانية في السياسة والأخلاق والاعتقاد بوحدة الوجود ١٦٧٧م.

٥-تطوير نظرية هوبز وفلسفة ديكارت على يد لوك ١٧٠٤م.

٦-فيكو ينادي بإحلال الوضع الإنساني محل الوحي الإلهي ١٧٤٤م.

٧-آراء جديدة في المنطق: باركلي ١٧٥٣م.

٨-رفض النصرانية والإيمان بالشك المطلق: هيوم ١٧٧٦م.

٩-ولادة النظرية الرأسمالية في كتاب « ثروة الأمم » : آدم سمت ١٧٧٦م.

١٠-نظرية العقد الاجتماعي وتقديس العاطفة لا العقل: رسو ١٧٧٨م.

١١-فولتير يجاهر بالكفر بالأديان ويطالب بمجتمع علماني ١٧٨٤م.

١٢-ديدرو « ١٧٨٤م » والموسوعيون الفرنسيون يضعون دائرة المعارف لتكون بديلاً عن الكتاب المقدس « كتب بين عامي ١٧٥١-١٧٧٧م »(١).

وكانت هذه النظريات عموماً مقدمة لحدوث الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م التي كان لها الدور الكبير في عزل الكنيسة عن الحياة عموماً وتقريراً لمبدأ الحرية الدينية في أوروبا ومن أبرز نتائج الثورة وثيقة إعلان حقوق الإنسان والمواطن في ٢٦ أغسطس آب عام ١٧٨٩م ومن بنودها:

١-الحرية تنحصر في إمكان عمل كل مالا يضر بالغير.

٢-حرية الجهر بالآراءِ والأفكارِ من حقوق الإنسان المقدسة.

٣-لا يؤذى الإنسان بسبب آرائه ولو كانت دينية ما دام التصريح بها لا يضر بالنظام العام الذي يقرره القانون(٢).

ثم بعد هذا الإعلان الفرنسي صدر إعلان آخر سنة ١٩٧٣ يؤكد هذه الحقوق.

وإعلان الحقوق السوفيتي سنة ١٩١٨م ثم برنامج الرئيس الأمريكي وزفلت عن الحريات الأربع « حرية الفكر والقول- والحرية الدينية - والحرية من العوز- والحرية من الخوف » بتاريخ ٦ يناير ١٩٤١م.

---

(١) مقالة في تطور الفكر الغربي والحداثة د/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي، مجلة: البيان رقم العدد (١٩٨)، شهر صفر، ١٤٢٥هـ، وانظر: كذلك تطور الفكر الديني الغربي د/ حسن حنفي، دار الهادي ط١، ١٤٢٥هـ.

(٢) تاريخ الثورة الفرنسية ، البيرسول بول ترجمة: جورج كوي ص(١٣٦)، عويدات بيروت، عام ١٩٧٠م، نقلاً عن كتاب الليبرالية وموقف الإسلام منها د/ عبد الرحيم السلمي رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ص(١٠٦).

ثم إعلان الحرية في ميثاق الأطلنطي في ١٤ آب سنة ١٩٤١م.

ثم إعلان الأمم المتحدة في أول كانون الثاني سنة ١٩٤٢م لمحاربة دول المحور من أجل الدفاع عن الحياة والحرية والاستقلال والحرية الدينية والحقوق الإنسانية والعدالة ثم ميثاق الأمم المتحدة بين خمسين دولة في مدينة سان فرانسيسكو في ١٩٤٥م، ثم الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة في ١٩٤٨م، ونص فيه على المساواة والحرية وعدم التمييز واحترام الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ثم اتفاقيتاً حقوق الإنسان في ١٩٦٦م والبروتوكول الملحق بها والذي وافقت عليهما الجمعية العامة للأمم المتحدة[1].

وهكذا بعد أنهارٍ من الدماء عرفت النصرانية المحرفة الحرية الدينية فكان ثمن هذه الحرية باهظاً وغالياً دفع ثمنه المحرومون من الدين الحق فاستيقظت أوروبا الوثنية على حرية عمياء بعد ممارسة الاضطهاد والحقد على الغير، فانتقلت من غلوٍ إلى غلو من أنهار الدم الحاقدة إلى طوفان الحرية المنفلتة من كل قيد أو شرط فأنكروا الخالق باسم الحرية، وعمت الفوضى الجنسية باسم الحرية، وأنشبت الرأسمالية مخالبها فيما بقي من أجساد الفقراء المتهالكة باسم الحرية وقُتل آلاف البشر باسم الحرية فأيَّ حرية زعموا؟ إنها انتكاسة إلى الاضطهاد ولكن باسم الحرية إنه البعد عن الدينِ الحق والتمسك بالباطل والباطل لجلج.

وفي ختام هذا المبحث أود أن أسجل حقيقةً عظيمةً وهي أن الإسلام هو أول من أقر مبدأ الحرية في الاعتقاد -على رأي من يقبل هذا المصطلح- في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٦] وذلك قبل ١٤٢٨عاماً، ولكنَّ هذا الإقرار لم يكن ثمنه الدماء وإنما ثمنه الأمن، ولم يقره الإسلام بدون قيد أو شرط بل أقر الحرية في المعتقد ولكن ضمن ضوابط وشروط سيتم الحديثُ عنها.



(١) انظر: حق الحرية في العالم، وهبة الزحيلي ص(٦٠).

المبحث الخامس: تعريف مصطلح حرية الاعتقاد وحجة الرافضين له

لقد دأبَ المفكرون الإسلاميُّونَ على استخدام مصطلح « حرية الاعتقاد » في كتبهم ومقالاتهم ويستدلون به على سماحة الإسلام وأنه دين يقوم على الحريات وأعظمها حرية المعتقد فجعلوا هذا المصطلح الدخيل دليلاً يدافعون به ضد من يصم الإسلام بأنه دين إكراه وقَسْر وتباينت مواقف القوم تجاه مفهوم هذا المصطلح بين من وافق أهل الكفر في تعريفه وبين من حاول أن يجَدْلَهُ تعريفاً في الإسلام بعيداً عن الآيات والأحاديث وكلا الموقفين خطأ.

فالمفهوم الغربي لحرية المعتقد يقوم على أساس فصل الكنيسة عن الدولة فيعرفون حرية الاعتقاد بأنها « حق الأفراد في أن يعتنقوا ما يطيب لهم من المبادئ والعقائد دون تدخل من الدولة »[١].

وقد تقررت حرية العقيدة بصفة تامة في فرنسا بصدور القانون الذي قَنَّنَ مبدأ علمنة الدولة وهو قانون ٩ ديسمبر ١٩٠٥م وكان الهدف من صدوره تأكيد طابع حرية الأديان أي عدم تركيزها على دين معين أو تمسكها بدين معين يكون دينها الرسمي وقد فصل هذا القانون بين الكنيسة والدولة ونص في مادته الأولى على أن « تضمن الجمهورية الفرنسية حرية الاعتقاد وحرية ممارسة الشعائر الدينية في حدود ضوابط النظام العام[٢].

وجاء ذلك أيضاً في أكبر الدول الغربية كالولايات المتحدة في التعديل الأول لدستورها وجمهورية ألمانيا الفدرالية في المادتين الرابعة والسابعة في قانونها الأساسي[٣] ثم جاء بعد ذلك إعلان الرئيس الأمريكي « روزفلت » في ٦ يناير ١٩٤١ في رسالة «الكونجرس » أنه يجب أن تسود العالم حريات أربع: حرية التعبير وحرية العبادة

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة (١/ ٧١٢).

(٢) حرية العقيدة في الشريعة الإسلامية د/ أحمد طاحون ص(٨٠).

(٣) الوسيط في القانون الدستوري العام (٢/ ٢٣٤).

والتحرر من الحاجة والتحرر من الخوف وقد جمعت في ميثاق الأطلنطي[(١)] بل أصبحت حرية العقيدة جزء من الإعلام العالمي لحقوق الإنسان فقد عبرت المادة ١٨ منه عن ذلك بما يلي: « لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته وحرية الإعراب عنها بالتعاليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سراً أم مع جماعة »[(٢)].

وأما من حاول من الإسلاميين إيجاد تعريف لهذا المصطلح فقد أبعد في ذلك ولم يوفق في المضمون وهذه جملة من التعريفات مع نقدها:

أولاً: عرف بعضهم حرية الاعتقاد بأنها: « حق كل إنسان في اعتناق التصور الذي يراه تجاه الإنسان والكون والحياة والإعلان عن هذا التصور »[(٣)].

يؤخذ على هذا التعريف أمران:

أ-أنه تعريف عام أي غير مانع لا يخص الإسلام بل هو كل من يتصور ويعتقد في الكون والإنسان والحياة وحديثنا عن تعريف حرية الاعتقاد في الإسلام.

ب-قوله « حق كل إنسان » الحق هو الأمر اللازم الواجب فمن الذي أوجب على آحاد الناس هذا التصور؟ هل هو الله ﷻ ؟ أم عقل كل إنسان؟ فإن كان الله ﷻ عن طريق رسله فهذا حق وتصور جميع الناس واحد، وإن كان العقل هو الذي فرض هذا التصور فيلزم منه إنكار الخالق وهذا مالا يلتزمه الكاتب فدل على بطلان هذا التعريف.

ثانياً: وعرفه بعضهم بقوله: « حق الإنسان في أن يعتنق الدين أو المذهب أو المبدأ الذي يشاء وحريته في أن يمارس شعائر هذا الدين في علانية أو خفاء كما تعني أيضاً حرية الإنسان في ألا يعتنق أي دين »[(٤)].

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة (١/ ٧١١).

(٢) الوسيط في القانون الدستوري (٢/ ٢٤٠).

(٣) حرية الاعتقاد في القرآن الكريم، عبدالرحمن حللي ص(٢٨)، المركز الثقافي العربي، ط١.

(٤) حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي، د/ عاصم أحمد عجيلة ص(٦٦) نهضة، مصر للطباعة والنشر ط٣، ١٤١٢هـ.

يؤخذ على هذا التعريف عدة أمور: أ-بأنه يسمح للمسلم بالخروج من دينه والإرتداد وهذا أمر في الإسلام مرفوض.

ب-يشرع هذا التعريف للإلحاد وإنكار الخالق سبحانه وهذا مرفوض رفضاً قاطعاً.

ج-أن هذا التعريف يتفق في مضمونه مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته ١٨ الخاصة بحرية العقيدة لأنه يخالف الإسلام.

د-الإسلام لم يعط الإنسان الحق في أن يعتنق الدين أو المذهب الذي يريده وإنما أقر كل صاحب ديانة على دينه مع وجوب خضوعه لسلطة المسلمين ودفعه الجزية في مقابل حمايته .

ثالثاً: وعرفه بعضهم بقوله « حرية الاعتقاد هي: أن يتمتع الإنسان بحق اختيار ما يوصله إليه تفكيره وتطمئن إليه نفسه من عقيدة أو رأي دون إكراه مع الأخذ بعين الاعتبار احترامَ سلامة النظام العام وأمن الأمة »(١).

يؤخذ على هذا التعريف عدة أمور:

أ-يلزم على هذا التعريف تشريع حق الرجوع عن الإسلام إلى أي دين آخر إذا أوصله تفكيره إلى النصرانية أو اليهودية وعدم تجريم المرتد.

ب-هذا التعريف غير مانع فهو عام لكل حرية اعتقاد سواءً أكانت في الإسلام أو غيرها.

جـ-يشرع هذا التعريف للإلحاد وإنكار الخالق.

رابعاً: وقال بعضهم: « وأرى أن حرية الاعتقاد: تعني حق الإنسان في اختيار ما يؤمن به ابتداء وفقاً لما استقر عليه قلبه وضميره ووجدانه من غير ضغط ولا قسر ولا إكراه خارجي »(٢).

---

(١) حرية لاعتقاد في ظل الإسلام د/ تيسير خميس عمر دار الفكر ، ط١، ١٤١٩، ص(٤٩).

(٢) حرية العقيدة في الشريعة الإسلامية د/ أحمد رشاد طاحون، إتراك للنشر والتوزيع ص(٦٣) ط، ١٩٩٨م.

يؤخذ على هذا التعريف أمران:

أ-لا يقال « حق الإنسان » حتى لا يشمل المسلم فالمسلم ليس له حرية أو اختيار في مقابل دين آخر لأن حكم المرتد القتل.

ب-الاختيار الذي وقع على عير المسلم هو في حقيقة الأمر إقرارٌ وإبقاء له على دينه الذي هو عليه فلا يسمح له بالخروج منه إلى دين آخر باطل.

خامساً: وعرفه بعضهم: « أما ما يعرف حديثاً بحرية الاعتقاد فمعناه أن شريعة الله في قرآنه تكفل لكل إنسان أن يختار أَيَّ دين شاء وأن يقيم شعائر دينه بحرية تامة » [1].

يؤخذ على هذا التعريف أمران:

أ-الله في القرآن، لم يتكفل لكل إنسان أن يختار أي دين شاء وإنما تكفل لمعتنق الدين الباطل ألاّ يُكره على الدين الحق دون أن ينشرح صدره له.

ب-عبارة (تكفل لكل الإنسان) يرد عليها ما ورد على العبارات السابقة.

وأما التعريف الصحيح لحرية الاعتقاد على رأي الباحث فهو « عدم إكراه الكافر الأصلي (الذي لم يسبق له الإسلام) المعتنق لدين ما على الدخول في الإسلام ويبقى على دينه الذي يعتقدهُ ضمن ضوابط شرعية لابد من قبولها » وسوف أتحدث عنها في المبحث القادم.

وأما أدلة الرافضين لهذا المصطلح فهي كالتالي:

١-أن كل دليلٍ تم الاستدلال به على رد مصطلح « الحرية في الإسلام » يصلح لرد هذا المصطلح بل هو من باب أولى.

٢-أن الاعتقاد قائمُ على اليقين واليقينُ يجب التسليم له والانقياد، وهذا ينافي مصطلح الحرية القائم على حرية الشخص في اعتناق أيّ دين أو عقيدة يراها هو مناسبة له [2].

---

(١) حق الحرية في العالم د/ وهبة الزحيلي ص(١٣٩)، دار الفكر ط١، ١٤٢١هـ.

(٢) انظر: كتاب د/ محمد سعيد البوطي « حوار حول مشكلات حضارية » ص(١١٦-١١٩).

٣-أن مصطلح حرية الاعتقاد دخيل على الأمة الإسلامية لم يعرف في تاريخ الأمة إلا بعد ظهوره في بلاد أوروبا حيث دعت الثورةُ الفرنسيةُ عام ١٢٨٩م إلى الحريات عموماً ويحتفل الفرنسيون بيوم الحرية وهو يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩م، إلى يومنا هذا[1] وقد تقررت حرية الاعتقاد بصفة تامة في فرنسا عام ١٩٠٥م كما مر معنا فهو مصطلح جَاءَ من خارج جسم الأمة الإسلامية فلابد من رفضه ونبذه.

٤-أن هذا المصطلح قائم في الأساس على قاعدة الفصل بين الدولة والدين وهذا ما يرفضه الإسلام مطلقاً.

٥-ما يلزم على هذا المصطلح من لوازم باطلةٍ شرعاً عند من يقول به وهذه اللوازم الباطلة هي:

أ-السماح للتنصير في بلاد المسلمين مما يلزم عنه الرضى بالكفر .

ب-الدعوة إلى تقارب الأديان، وهذه الدعوة مخالفَةٌ صريحةٌ للقرآن والسنة [2].

جـ-الدعوة إلى عدم تجريم المرتد عن الإسلام بحجة حرية العقيدة دخولاً وخروجاً.

د-إن في الدعوة إلى إقرار حرية الاعتقاد ترويجاً مبطناً لمذاهب فكرية باطلة كالديمقراطية والعولمة والمجتمع المدني وغيرها ممن يتخذ من حرية الاعتقاد قاعدة له في عرضه لمسألة تدين الأفراد دخولاً في دين ما أو خروجاً منه . ووجه الترويج أنها وافقت الإسلام في أهم مسألة وهي مسألة الاعتقاد . فالإسلام يدعو إلى حرية العقيدة وهي كذلك تدعو إلى حرية العقيدة فلا فرق بينها وبين الإسلام في أعظم مسألة وهي مسالة الإيمان.

---

(١) التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، د/ عبدالعزيز نوار ود عبدالمجيد ، دار النهضة العربية ص(٣٢).

(٢) انظر: كتاب دعوة التقريب بين الأديان د. أحمد القاضي دار ابن الجوزي.

هـ-أن القول بحرية الاعتقاد يخالف منهج الرسول ﷺ في الجهاد إذ ورد عنه ﷺ من حديث بريدة قال: كان النبي ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أمره بتقوى الله وبمن معه من المسلمين وقال « إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم فإن هُمْ أَبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم » (١).

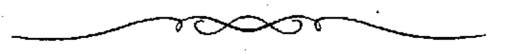
وأما وجه المخالفة فيمكن توضيحها من خلال أمرين:

١-أن الرسولَ ﷺ أمر قادة الإسلام بأن يدعو إلى إحدى ثلاث خصال على جهة الترتيب لا التخيير.

٢-أن الرسول ﷺ لم يعط لمن لا يريد الإسلام الحرية المطلقة بل ألزمه بدفع الجزية والأمر بدفعها إنما وقع بعد رفض الإسلام ، ودفع الجزية علامة على الخضوع لسلطة الإسلام وأما الإكراه على الدخول في الإسلام فقد جزم فيه القرآن بقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] فأي حرية اعتقاد منحها الرسول ﷺ لمن خالف الدين الحق؟.

ومن المفارقات العجيبة أن المفكر اللبرالي أحمد البغدادي قد توصل إلى هذه النتيجة حيث قال: « ويحلو للبعض تجاوز الحديث النبوي بالإحالة إلى النص القرآني للدلالة على حرية الاعتقاد ،وقد فعلت ذلك شخصياً في أكثر من مقال لكني أجد نفسي الآن وقد أعدت النظر في هذه النصوص القرآنية أن ذلك وهم ما بعده وهم، أعني الرأي بأن النص القرآني قد اعترف بهذه الحرية بسبب أسباب النزول.. ومن ثم يمكن القول أن لا وجود لحق حرية العقيدة في النص الديني » (٢).

أي بالمفهوم الليبرالي لحرية الاعتقاد وهذا حق.



(١) سبق تخريجه.

(٢) أحاديث الدين والدنيا، أحمد البغدادي ص(٦٥-٦٧٩، مؤسسة الانتشار العربي ط١، (٢٠٠٥).

المبحث السادس: الداعون لمصطلح حرية الاعتقاد

لا تكاد تقرأ لمفكر إسلامي يتحدث عن الحرية إلا ويقرر حرية الاعتقاد ولكن يختلفون في تقريرهم بين رجل يستدل لهذا المصطلح بالقرآن والسنة وبين آخر يقرره كقضية إنسانية لها قيمتها الكبرى وثالث يطلق الحرية في الاعتقاد دون ضوابط شرعية ويجعل له ضوابط وقيوداً قانونية ورابع يجعل له ضوابط شرعية يستمدها من القرآن والسنة.

إن الداعين لهذا المصطلح وإن اتفقوا في قبوله إلا أنهم اختلفوا في تحديد الضوابط والقيود له إلى نظرتين:

النظرة الأولى: التي قبلت هذا المصطلح وجعلت له ضوابط قانونية وأهملت الضوابط الشرعية ويمثل هذه النظرة الفكر الليبرالي(١) والفكر العصري المنهزم الذي يمثله جمال البناو من (٢) سلك مسلكه، فيقول أصحاب هذه النظرة عن حرية الاعتقاد وأنها حرية مكفولة للجميع ولكن بشرط ألا يكون هناك إضرار بالأمن العام ولا بحريات الآخرين ولا يكون تغيير المعتقد بسبب إغراءات مالية أو خديعة ولكن له كامل الحرية أن يغير معتقده إذا اقتنع بذلك فهذه الحرية التي يدعو إليها الإسلام(٣) كما زعموا.

النظرة الثانية: وهم الذين قبلوا هذا المصطلح ولكن وفق النظرة الشرعية فجعلوا له ضوابط مستمدة من أحكام الإسلام.

فهذا د/ وهبة الزحيلي يجعل لحرية الاعتقاد ضابطين:

١ -« ألا تتصادم هذه الحرية مع النظام العام في الشريعة.

---

(١) انظر: كتاب « أحاديث الدين والدنيا » أحمد البغدادي ص(١١٣).

(٢) انظر: كتابه « الإسلام وحرية الفكر » ص(١٥)، وانظر: كذلك حرية الاعتقاد من القرآن الكريم عبدالرحمن حللي، وانظر: كتاب الحرية الفكرية وترشيد العقل الإسلام د/ عاصم عجيلة.

(٣) انظر: حرية التفكير والاعتقاد في المجتمع المسلم مجلة « إسلامية المعرفة » العدد (٣١-٣٢) ص(٣٨-٤٩).

٢-ألا تؤدي إلى الكفر والضلال الذي يتصف بصفة تحدي المشاعر الإسلامية »[١].

ويقول د/ عبدالعظيم المطعني « لكن حرية الاعتقاد لها ضابط ينبغي أن نفهمه فهي:

أولاً: مقصورة على الناس بعضهم بعضا فليس لأحد كما قلنا سلطة إجبار غيره على اعتناق عقيدة معينة ولو كانت عقيدة الإسلام وإنما عليهم فيما بينهم النصح والإرشاد.

وثانياً: يجب أن نستحضر دائماً أنها حرية ليست مستوية الطرفين أمام الله لا في الدنيا ولا في الآخرة فليس من كفر كمن آمن[٢].

إن ما ذكره الشيخان الفاضلان لا يفي بالغرض في تحديد مفهوم حرية الاعتقاد في الإسلام ضمن الضوابط الشرعية المذكورة في القرآن والسنة ومن أجل ذلك سوف أذكر الضوابط والقيود الشرعية . لهذا المصطلح حتى يمكن قبوله والتعامل معه على ضوء هذه الضوابط وبالتالي يمكن تحديد المفهوم الصحيح لهذا المصطلح وهي:

١-أن يكون كفره أصلياً أي لم يسبق له الإسلام فلا حرية في الخروج من الإسلام بعد الدخول فيه ودليل ذلك قوله ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه) [٣] وسوف أتحدث عن الردة في الفصل الثاني.

٢-أن يدفع الجزية ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩].

ومن السنة حديث بريدة وفيه: « ....فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك

---

(١) « حق الحرية في العالم » ص(١٤٥).

(٢) « عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين » ص(٨٩)، مكتبة وهبة ط١، ١٤١٤هـ.

(٣) سيأتي تخريجه مفصلاً في موضعه ص(٢٧٠).

فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » (١).

٣-عدم المساواة بين المؤمن والكافر أمام الله سواءً في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١].

٤-عدم السماح لغير المسلمين بالدعوة إلى دينهم الباطل في بلاد المسلمين لأن الإسلام يعد من يخرج منه مرتداً حكمه القتل فكيف يحكم عليه بالقتل ويسمح لغير المسلمين بالدعوة إلى الردة؟ هذا تناقض.

٥-عدم السماح لغير المسلمين بالقدح في الإسلام والتشكيك فيه وهذا حق حتى القوانين الوضعية تكفله لأنه يتعارض مع المبادئ العامة التي يدعون إليها من الحرية والحب ونبذ الكراهية بسبب الدين.

٦-السماح لغير المسلمين في ظل الدولة الإسلامية بممارسة شعائرهم الدينية في معابدهم دون الجهر بها كما جاء في معاهدة عمر رضي الله عنه لأهل فلسطين: « هذا ما أعطى عمرُ أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم.. لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم » (٢).

٧-لا تشمل الحرية في الاعتقاد من ينكر الله والرسل والأديان السماوية وهم الملحدون والشيوعيون وأصحاب الفلسفات المادية المنكرة للخالق لأن هذه التوجهات خلاف الفطرة فهي ليست عقيدة بل هي اضطراب نفسي وتخبط عقلي فهؤلاء إما أن يدخلوا في الإسلام أو القتل.

٨-عدم شمول حرية الاعتقاد لمن يسكن في الجزيرة العربية لأنها مأرز الإيمان وحصنه الحصين ودليل ذلك قوله ﷺ (لأُخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٢٣).

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ١٠٥).

حتى لا أدع إلا مسلماً)[١].

يقول بكر أبو زيد: « وليس للكافر إحداث كنيسة فيها ولا بيعة ولا صومعة ولا بيت نار ولا نصب صنم تطهيراً لها عن الدين الباطل ولعموم الأحاديث وعليه فليس للإمام الإذن بشيء منها ولا الإبقاء عليه محدثاً كان أو قديماً وقال كذلك ولأنه لا يجوز إقرار ساكن وهو على الكفر فإن وجد بها كفار فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف. وعليه فلا تثبت الجزية في رقابهم مع الإقامة بها »[٢].

٩-الاعتقاد الجازم بأن ما لدي غير المسلمين باطل لأن الحق واحد لا يتعدد فلا يجوز تصحيح المعتقداتِ الباطلةِ بحجة الحرية.

فمن خلال هذه الضوابط نفهم حرية الاعتقاد في الإسلام:

رأي الباحث أن هذا المصطلح الدارج في ميدان الفكر الإسلامي يقبل في مجال الرد على المخالف بالضوابط الشرعية السابقة.

ويُرد في مجال تقرير العقيدة الإسلامية لما ذكرته من أدلة في المبحث السابق وللحفاظ على خصوصية العقيدة الإسلامية وتميزها حتى في جانب المصطلحات ، فإن غياب المصطلح الشرعي في مقابل المصطلح الحادث يؤدي إلى غياب المعنى الصحيح فكان لزاماً الحفاظ على المصطلحات الشرعية عندما نريد تقرير العقيدة الإسلامية وأما في جانب الرد على المخالف فلا مانع من قبول ما يطرحه من مصطلحات ولكن بعد وضع الضوابط الشرعية لتقييدها وتحديدها.



(١) رواه مسلم في كتاب الجهاد باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب (٣/ ١٣٨٨) برقم (١٧٦٧).

(٢) خصائص جزيرة العرب ص(٣٦) دار ابن الجوزي ط١، ١٤١٢هـ.



الردة وحرية الاعتقاد

وفيه أربعة مباحث: -

- **المبحث الأول:** تعريف الردة لغة واصطلاحاً.
- **المبحث الثاني:** ورود لفظ الردة وما في معناها في آيات القرآن الكريم.
- **المبحث الثالث:** ورود لفظ الردة وما في معناها في السنة النبوية المطهرة.
- **المبحث الرابع:** قتل المرتد وعلاقته بحرية الاعتقاد.

المبحث الأول: تعريف الردة لغة واصطلاحاً

الردة في اللغة:

قال ابن فارس في معجم المقاييس في اللغة: « الراء والدال أصل واحدٌ مطّردٌ منقاس وهو رجع الشيء تقول: رَدَدْتُ الشيء أَرُدُّه ردّاً، وسمي المرتد لأنه رد نفسه إلى كفره »[١].

قال الرازي في مختار الصحاح: « والارتداد الرجوع ومنه المرتد والردة بالكسر اسم منه أي الارتداد »[٢].

إذاً الردة في اللغة: الرجوع عن الشيء والتحول عنه وهذا المعنى جاء في القرآن العظيم.

قال الراغب الأصفهاني في كتابه « مفردات ألفاظ القرآن » .

الردُّ: صرف الشيء بذاته أو بحالةٍ من أحواله يقال: رددته فارتد قال تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام:١٥٧].

فمن الذات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨]. ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ ﴾ [الإسراء:٦][٣].

الردة في الاصطلاح:

الردة هي: قطع من يصح طلاقه الإسلام بكفر عزماً أو قولاً أو فعلاً أو استهزاءً كان ذلك أو عناداً أو اعتقاداً كنفي وجود الله تعالى أو نفي نبي أو تكذيبه أو جحد أمر مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة بلا عذر أو تردد في كفر أو إلقاء مصحف في قاذورة

---

(١) ص(٤٠٠).

(٢) وانظر: لسان العرب لابن منظور (٣/ ١٧٢).

(٣) ص(٣٤٨).

أو سجود لمخلوق »[(١)].

وقال الإمام النووي: « الردة قطع الإسلام بنية أو قول أو فعل كسجود للصنم واستخفاف بالمصحف أو الكعبة »[(٢)].

وقال ابن عرفة في حدوده: « الردة كفر بعد إسلام تقرر »[(٣)].

لقد أطبقت جميع كتب الفقهاء على ذكر المرتد وتعريفه وحكمه وأنه خارج عن الإسلام يستحق القتل على جرمه وانعقد الإجماع في عصر الصحابة على وجوب قتل المرتد لأن العرب بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت عن الإسلام فقاتلهم أبو بكر الصديق وأجمع الصحابة على قتالهم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ومن خلال الكلام السابق يتضح أن الردة تحتوي على أمرين:

الأول: أن المرتد مرتكب معصية عظيمة وهو مجرم عاص في نظر الشرع المطهر قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ ﴾ [النساء:١٣٧].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ [البقرة:٢١٧].

الثاني: أن المرتد مستحق للعقوبة في الدنيا والآخرة فعقوبة الآخرة هي أن الله يحبط عمله إذا مات على ردته كما ذكر الله في الآيات السابقة وأما عقوبة الدنيا فهي القتل فقد

---

(١) التعريفات للجرجاني ص(١٨٠).

(٢) تحرير التنبيه، للنووي ص(٣٣٨)، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠هـ، ت/ فايز الداية.

(٣) شرح حدود ابن عرفة لأبي عبدالله محمد الأنصاري الرصاع (٢/ ٦٣٤)، ط١، ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي ت/ محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري.

ورد عن عكرمة قال: أتى علي ﷺ بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه)[١].

(١) سيأتي تخريجه مفصلاً في موضعه ص(٢٧٠).

المبحث الثاني: ورود لفظ الردة وما في معناها في آيات القرآن الكريم

ذكر الله في كتابه لفظ الردة في آيات عدة بمعنى الكفر بعد الإسلام وبمعانٍ أخرى[1]، وكذلك ذكر الله ما يدل على معنى الردة وإن لم يكن بلفظها إلا أن الآيات الواردة لم تذكر عقوبة القتل للمرتد مع أن الآيات جرمت هذه الفعلة المنكرة المخالفة للفطرة ورتبت عليها العقوبة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا الخسران وفي الآخرة الخلود في النار.

وسوف أعرض فيما يلي جملة من الآيات التي ورد فيها ذكر لفظ الردة أو ما يدل على معناها:

١-قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)﴾ [البقرة:١٠٩].

يبين الله أن كثيراً من أهل الكتاب يتمنون أن يردوا المسلمين بعد الإيمان إلى الكفر والضلال حسداً وهم يعلمون الحق وهم اليهود[2] فهنا يحذر الله ﷻ من الانجرار إلى رغبة اليهود في الردة ويأمر بالتمسك بالإسلام عقيدة وشريعة.

٢-قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)﴾ [البقرة:٢١٧].

يبين الله عاقبة المرتد في الدنيا والآخرة بحبوط عمله وأن الله يرفع عنه الحصانة في

---

(١) انظر: كتاب مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص(٣٤٨)، دار القلم ط٣، ١٤٢٣هـ، تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٢٢٨).

ماله وأهله ودمه عقوبة له في الدنيا[١]. وأما الآخرة فإنه إن مات ولم يتب ويرجع إلى الإسلام فعقوبته عظيمة وهي النار خالداً مخلداً فيها.

٣- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٠٠].

يؤكد الله ﷻ في هذه الآية أن طاعة فريق من أهل الكتاب يؤدي إلى نتيجة خطيرة وهي الردة عن الدين الحق والرجوع إلى الدين الباطل فالله يحذرنا من الوقوع في الردة والانزلاق وراء شبهات القوم الكافرين.

٤-قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٩].

قال بعض المفسرين: ثمرة الآية الدلالة على أن على المؤمنين أن لا ينزلوا على حكم الكفار ولا يطيعوهم ولا يقبلوا مشورتهم خشية أن يستنزلوهم عن دينهم »[٢].

٥-وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة:٥٤].

قال ابن كثير: « أي يرجع عن الحق إلى الباطل قال محمد بن كعب: نزلت في الولاة من قريش. وقال الحسن البصري: نزلت في أهل الردة أيام أبي بكر »[٣].

٦-قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ﴾ [محمد:٢٥].

قال ابن كثير: « أي فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر »[٤].

---

(١) تفسير القاسمي محاسن التأويل (١/ ٥٣٤)، مكتبة الباز، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) تفسير القاسمي (٢/ ١٤٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١١١).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٧٦).

وأما الآيات التي يدل معناها على الردة فسأذكر جملة منها:

١-قوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [التوبة:٧٤].

يقول د/ محمود مزروعة في كتابه « أحكام الردة والمرتدين » .

حول هذه الآية « وإن الإنسان ليعجب من هؤلاء الذين ينكرون الشمس في رائعة النهار فيجحدون أن القرآن المجيد قد ذكر حد الردة وحكم المرتدين.

أليس المرتد هو الذي كان مسلماً فكفر؟ ثم أليست الآية نصت على هذه الحالة فقالت: « ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم » .

وهذا نص لا يقبل التأويل فإذا لم يكن في المرتدين ففي أيّة فئة يكون؟ ثم، أليست الآية قد طلبت منهم التوبة؟ فهذه هي استتابة المرتد التي ورد بها الفقه الإسلامي وأجمعت عليها الأمة وأطبق عليها العلماء ثم أليست الآية قد نصت على أن المرتدين إن تولوا عن التوبة ورفضوا الرجوع إلى الإسلام وأصروا على الكفر بعد الإسلام -وهو الردة- فإن الله يعذبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخر.

أما عذاب الآخرة فينتظرهم في الآخرة وأما عذاب الدنيا فقتلهم وإزهاق أرواحهم -كما بينا قبل- وأي عذاب يكون في الدنيا للمرتدين سوى ذلك؟

وإذا لم يكن القتل هو عذاب الدنيا للمرتد، فليدلنا فقهاء العلمانيين ومفتيهم أي شيء يكون؟ »[(١)].

٢-قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾ [النساء:١٣٧].

---

(١) ص(١٤٤)، ط١، ١٤١٤هـ بدون دار طباعة.

قال ابن كثير: « يخبر تعالى عمن دخل في الإيمان ثم رجع عنه ثم عاد فيه ثم رجع واستمر على ضلاله وازداد حتى مات فإنه لا توبة بعد موته ولا يغفر الله له ولا يجعل له مما هو فيه فرجاً ولا مخرجاً ولا طريقاً إلى الهدى »[1] ونقل ابن كثير عن علي ﷺ أنه قال: يستتاب المرتد ثلاثاً ثم تلا هذه الآية.

٣- قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِالْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل:١٠٦].

قال ابن العربي في كتابه أحكام القرآن: « هذه الآية نزلت في المرتدين ... والكافر أو المرتد هو الذي جرى بالكفر لسانه مخبراً عما انشرح به من الكفر صدره فعليه من الله الغضب وله العذاب الأليم إلا من أكره »[2] .

٤-قوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا بِالَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [آل عمران:٧٢].

قال ابن كثير: « هذه مكيدة أرادوها يلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم وهو أنهم أشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصةٍ وعيبٍ في دين المسلمين »[3] وهؤلاء هم اليهود .

عند التأمل في الآيات السابقة يمكن تسجيل هذه الفوائد:

١-أن القرآن العظيم يجرم الكفر بعد الإيمان وذلك واضح وضوح الشمس في رائعة النهار من خلال قراءة الآيات السابقة.

٢-أن أهل الكفر بجميع أنواعهم وأصنافهم من أحرص الناس على كفر المسلم وردته عن دينه الحق، ويتخذون لتحقيق هدفهم الخبيث شتى الوسائل المتاحة لهم.

---

(١) تفسر ابن كثير(١/ ٨٦١).

(٢) (٣/ ١٥٩).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٥٥٨).

٣-أن المرتد لابد أن تكون ردته عن هوى وحسدٍ وحقدٍ على الإسلام والمسلمين لأن من ذاق طعم الإيمان لا يمكن أن يعود إلى الضلال عن قناعة وتركٍ للدين الحق.

٤-يمكن أن يستنتج المتأمل لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة:٢١٧] أن حكم المرتد القتل وذلك لأن كلمة « حبط » في لغة العرب قال عنها ابن فارس في معجم المقاييس في اللغة « الحاء والباء والطاء أصل واحد يدل على بطلانٍ وألم »[١] وقال الزمخشري في "أساس البلاغة" «ومنه حبطَ دم القتيل: هدر وبطل»[٢] .

فإذا كانت الكلمة في لغة العرب تحتمل جميع معانيها فالواجب الأخذ بجميع المعاني والقرآن نزل بلغة العرب بلسانٍ عرب مبين إذا كان يتفق مع دلالة السياق.

فيكون حبوط الأعمال في الآخرة ذهاب ثوابها فيخلد في النار ويكون حبوط الأعمال في الدنيا سبب لكي يهدر دمه ويقتل ويشعر بألم القتل وهذا المعنى تؤكده السنة وهي المفسرة والمبينة لما أجمل في القرآن حيث يقول ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه)[٣] فيكون في هذه الآية إشارة إلى قتل المرتد.

---

(١) ص(٢٩٣).

(٢) ص(٧٢).

(٣) سيأتي تخريجه مفصلاً في موضعه ص(٢٧٠).

المبحث الثالث: ورود لفظ الردة وما في معناها في السنة النبوية المطهرة

إن من المقرر لدى علماء المسلمين أن السنة النبوية المطهرة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع وأنها تستقل بالتشريع لأنها وحيٌ من الله على لسان نبيه الكريم ﷺ وأنها تبين المجمل وتقيد المطلق وتخصص العام من الآيات القرآنية ومن أجل ذلك لا بد من الرجوع إليها في جميع شرائع وأحكام الإسلام ومنها ما يتعلق بالردة فسأذكر الأحاديث الواردة في ذلك والآثار عن الصحابة الكرام:

١-عن عكرمة قال: « أتى علي ﷺ بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى رسول الله ﷺ : « لا تعذبوا بعذاب الله » ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ : من بدل دينه فاقتلوه »(١).

٢-عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة)(٢).

---

(١) رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم في باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم رقم (٦٩٢٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٧٩)، ورواه في كتاب الجهاد والسير في باب « لا يعذب بعذاب الله » برقم (٣٠١٧) فتح الباري (٦/ ١٧٣)، وأخرجه البغوي في شرح السنة (١٠/ ٢٣٧)، برقم (٢٥٦٠) باب قتل المرتد.

وأخرجه الحميدي في مسنده « ٥٣٣ » وأخرجه الترمذي في جامعة رقم (١٤٨٣) في كتاب الحدود، باب ما جاء في المرتد . انظر: تحفة الأحوذي (٥/ ٢٤)، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الحدود باب الحكم فيمن ارتد برقم (٤٣٤١) انظر: عون المعبود (٦) الجزء (١١/ ٣)، وأخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم في الحكم في المرتد رقم (٤٠٦٠) (٧/ ١٠٤)، تحقيق عبدالفتاح أبو غده المطبعة المصرية في القاهرة ط٣، ١٤٠٩هـ. وأخرجه ابن ماجه في سننه في كتاب الحدود باب المرتد عن دينه برقم (٢٥٣٥) (٢/ ٨٤٨) ت/ محمد فؤاد عبدالباقي المكتبة الفيصلية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه بهذا اللفظ في كتاب الديات رقم (٦٨٧٨) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٠٩)، ومسلم في كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم . انظر: شرح النووي (١١/ ١٦٤)، وابو داود في سننه =

٣-عن أبي موسى الأشعري لما بعثه الرسول ﷺ إلى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه ألقى له وسادةً قال: انزل فإذا رجل عنده موثق قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً فأسلم ثم تهود. قال: اجلس قال: لا أجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله (ثلاث مرات) فأمر به فقتل ثم تذاكر قيام الليل فقال أحدهما: الليل، فقال أحدهما: أما أنا فأقوم وأنام وأرجو في نومتي ما أرجو في قومتي »[1].

وقال ابن حجر : « وقد وقع في حديث معاذ أن النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن قال له « أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه فإن عاد وإلا فاضرب عنقه، وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها فإن عادت وإلا فاضرب عنقها » وسنده حسن[2].

٤-ورد عن على أنه أحرق المرتدين قال ابن حجر في الفتح « في رواية الحميدي المذكورة أن علياً أحرق المرتدين يعني الزنادقة »[3].

وعند الترمذي في جامعة قال « عن عكرمة أن علياً أحرق قوماً ارتدوا عن الإسلام»[4].

في كتاب الحدود باب الحكم فيمن ارتد برقم (٤٣٤٢). انظر: عون المعبود ج٦) الجزء (١٢/ ٤)، بلفظ البخاري ومسلم ،وأخرجه الترمذي في جامعة في كتاب الديات في باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث برقم (١٤٢١) بلفظ البخاري ومسلم . انظر: تحفة الأحوذي (٤/ ٦٥٧)،وأخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم في ذكر ما يحل به دم المسلم بعدة ألفاظ منها رواية عثمان بلفظ « رجل كفر بعد إسلامه » وصحح إسناد هذه الرواية الحافظ ابن حجر في الفتح (١٢/ ٢١٠)، وأخرجه ابن ماجه في السنن (٢/ ٨٤٧).

(١) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم في باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم برقم (٦٩٢٣) انظر: الفتح (١٢/ ٢٨٠) وأخرجه مسلم في كتابه الأمارة باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها . انظر: شرح مسلم للإمام النووي (١٢/ ٢٠٨).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٢٨٤)، وأخرجه الطبراني في معجمه.

(٣) (٦/ ١٧٥)، و (١٢/ ٢٨٢).

(٤) (٥/ ٢٤).

وفي رواية عند البغوي في شرح السنة وفيها «أن علياً حرق المرتدين أو الزنادقة»[١].

وقال ابن حجر في الفتح: « وزعم أبو المظفر الأسفرايني في « الملل والنحل » أن الذين أحرقهم عليٌ طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبأية وكان كبيرهم عبدالله بن سبأ يهودياً ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة، وهذا يمكن أن يكون أصله ما رويناه في الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبدالله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي إن هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا فابوا ، فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فقال أدخلهم فقالوا كذلك فلما كان الثالثة قال لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتله فابوا إلا ذلك..وهذا سند حسن »[٢].

وبهذا يتضح أن علياً قتل المرتدين الذين اعتقدوا فيه أنه ربهم مع العلم أن هؤلاء المرتدين لم يكونوا يمثلون خطراً على الدولة الإسلامية ولم يحاربوا علياً بل جعلوه هو الخالق الرازق الرب ومع ذلك قتلهم علي ﷺ ،وأيد ابن عباس قتلهم وخالف في طريقة القتل واستدل على قتلهم بقوله ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه) فأي دليل أعظم من هذا الدليل الذي اتفق عليه عليٌ وابن عباس ولم يُعلم عن أحد من الصحابة أنه خالف في قتلهم فيعد ذلك إجماعاً.

٥-قال ابن حجر في الفتح: « قتل أبو بكر في خلافته امرأة ارتدت والصحابة متوافرون فلم ينكر ذلك عليه أحد وقد أخرج ذلك كله ابن المنذر، وأخرج الدار قطني أثر أبي بكر من وجه حسن، وأخرج مثله مرفوعاً في قتل المرتدة لكن سنده ضعيف »[٣].

---

(١) (١٠/٢٣٨).

(٢) (١٢/٢٨٢).

(٣) (١٢/٢٨٤).

٦-قدم على عمر بن الخطاب رجلٌ من قبل أبي موسى الأشعري فسأله عن الناس فأخبره ثم قال له عمر: هل كان فيكم من مُغْربة خبر؟ فقال: نعم رجل كفر بعد إسلامه قال: فما فعلتم به؟ قال: قربناه فضربنا عنقه فقال عمر: أفلا حبستموه ثلاثاً وأطعمتموه كل يوم رغيفاً واستبتموه لعله يتوب ويراجع أمر الله؟ ثم قال عمر: اللهم إني لم أحضر ولم أمر ولم أرض إذ بلغني » [1].

وقال ابن عبدالبر بعد هذا الأثر: « ولا أعلم بين الصحابة خلافاً في استتابة المرتد»[2].

فدل ذلك على أن عمر لم ينكر عليهم قتله وإنما أنكر عليهم عدم استتابته.

وبعد هذه الجولة مع جملة من الأحاديث والآثار التي حرصت في انتقاءها أن تكون صحيحة وأن تكون في صلب الموضوع ألا وهو قتل المرتد وأظن أن كل منصف وطالبٍ للحق يتضح له أن قتل المرتد قد ثبت من قوله ﷺ وفعل الصحابة الكرام الذين هم من أعلم الناس بسنته ﷺ فكان ذلك إجماعاً منهم على قتل المرتد.

قال ابن دقيق العيد[3] : « الردة سبب لإباحة دم المسلم بالإجماع في الرجل وأما المرأة ففيها خلاف » [4].

وقال ابن عبدالبر في التمهيد: « وفقه هذا الحديث « أي حديث ابن عباس في قتل

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الأقضية برقم (١٥) ص(٥٦٥)، مكتبة مصطفى الباز تعليق/ محمد فؤاد عبدالباقي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم (١٦٨٧) في كتاب المرتد، باب من قال يحبس ثلاثة أيام (٨/ ٣٥٩)،وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٠/ ١٦٥)، وابن حزم في المحلي (١١/ ٢٢١)، وسعيد بن منصور في سننه برقم (٢٥٨٥) (٢/ ٢٢٥) ت/ حبيب الرحمن الأعظم.

(٢) التمهيد (٥/ ٣٠٩).

(٣) محمد بن علي بن وهف القشيري المشهور بابن دقيق العيد المحقق العالم البحر من أذكياء العالم مات سنة ٧٠٢هـ من أهم كتبه « الإمام في الأحكام » انظر: طبقات الحفاظ للسيوطي ص(٥٤٢)، والدرر الكامنة (٥/ ص٣٤٨).

(٤) فتح الباري (١٢/ ٢١٠).

المرتد » أن من ارتد عن دينه حل دمه وضربت عنقه والأمة مجتمعة على ذلك وإنما اختلفوا في استتابته »[1].

---

(١) (٥/٣٠٦).

المبحث الرابع: قتل المرتد وعلاقته بحرية الاعتقاد

وفيه مطلبان:

۞ المطلب الأول: حتمية قتل المرتد في الشرع المطهر:

إن حديث النبي ﷺ: « من بدل دينه فاقتلوه »[1] يؤكد حتمية قتل المرتد لأنه يدل على الوجوب لأن صيغة الأمر المطلقة المتجردة عن القرائن تفيد الوجوب وهو الأصل فيها وأدلة ذلك ما يلي:

١-قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ [النور:٦٣].

وجه الاستدلال: أن الله رتب على مخالفة أمر النبي ﷺ إصابة الفتنة أو العذاب الأليم فدل ذلك على وجوبه وهو الأصل.

٢-وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وجه الاستدلال: أن الله نفى عن المؤمنين الخيرة إذا ورد الأمر من الله ورسوله فدل ذلك على الوجوب.

٣-عن البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ أمر أصحابه بفسخ الحج إلى العمرة فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان قالت: من أغضبك أغضبه الله؟ قال ومالي لا أغضب وأنا آمر بالأمر فلا أتبع »[2].

وجه الاستدلال: أن النبي ﷺ علل غضبه بأنهم تركوا اتباع أمره ولولا أن أمره للوجوب لما غضب من تركه[3].

---

(١) تقدم تخريجه ص(٢٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٥٤)، وأخرج مسلم (٢/ ٩٠٩).

(٣) انظر: روضة الناظر لابن قدامة (٢/ ٦٠٧).

٤-قال ابن قدامة: « .. إجماع الصحابة ﷺ فإنهم أجمعوا على وجوب طاعة الله تعالى وامتثال أوامره من غير سؤال النبي ﷺ عما عني بأوامره وأوجبوا أخذ الجزية من المجوس بقوله « سنوا بهم سنة أهل الكتاب »[(١)] وغسل الإناء من الولوغ بقوله « فليغسله سبعاً»[(٢)].

والصلاة عند ذكرها بقوله « فليصلها إذا ذكرها »[(٣)] واستدل أبو بكر ﷺ على إيجاب الزكاة بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣].

ونظائر ذلك مما لا يخفي يدل على إجماعهم على اعتقاد الوجوب »[(٤)].

٥-وقال نجم الدين الطوفي في شرح مختصر الروضة « إن العبد إذا خالف مجرد أمر سيده فعاقبه لم يُلم على عقابه باتفاق العقلاء، ولولا إفادة الأمر المجرد الوجوب لا تجه لوم السيد في هذه الصورة لكنه لا يتجه فدل على إفادة أن الأمر لمجرد الوجوب وهو المطلوب »[(٥)].

إذاً فدلالة الأمر على الوجوب من المسائل المتفق عليها بين الصحابة والتابعين وهي محل إجماع قال الشيخ أبو إسحاق في شرح الترتيب كما حكاه عنه الزركشي في البحر المحيط[(٦)] « المعروف من عصر الصحابة إلي وقتنا هذا أن الأمر يدل على الوجوب وإنما هذا -إشارة على قول من يقول إن الأمر للندب أو الإباحة- قول قوم ليسوا من الفقهاء أدخلوا أنفسهم فيما بين الفقهاء » .

وأما من زعم أن حديث « من بدل دينه فاقتلوه » يدل على إباحة القتل لا على وجوبه

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الزكاة باب جزية أهل الكتاب والمجوس (١-٢٧٨).

(٢) مسلم في كتاب الطهارة ص(٢٣٤) برقم (٢٧٩- ٢٨٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ص(٤٧١) برقم (٦٨).

(٤) روضة الناظر (٢/ ٦٠٨).

(٥) (٢/ ٣٦٩).

(٦) (٢/ ٣٦٨) وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، ط٢، ١٤١٣هـ.

فهو من أولئك القوم الذين ليسوا من الفقهاء وأدخلوا أنفسهم فيما بين الفقهاء لأن الحديث جاء بصيغة الأمر التي تقتضي الوجوب ولا صارف لها إلى الإباحة بل إن هناك ما يدل على الوجوب ويؤكده وهو فعل الصحابة وهم أعلم الناس بكلامه ﷺ -ففي حديث أبي موسى الأشعري ﷺ لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن ثم اتبعه معاذ بن جبل فلما قدم عليه وجد عنده رجلاً موثقاً قد ارتد بعد إسلام فقال معاذ: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله[1]، فقُتِلَ. فمعاذ بن جبل ﷺ يقول: قضاء الله ورسوله، أي: وجوب قتل المرتد ولم ينسبه إلى الحاكم أو إلى المصلحة بل أكد على أنه قضاء الله ورسوله أي حتمية قتله ولا مجال فيه للمناقشة فأيُّ دلالة أعظم من ذلك لمن أراد الحق.

وأما الفقهاء الحقيقيون فإليكم كلامهم حول قتل المرتد.

قال المرغيناني[2] الحنفي في كتاب « الهداية شرح بداية المبتدئ » « وإذا ارتد المسلم عن الإسلام والعياذ بالله عرض عليه الإسلام فإن كانت له شبهة كشفت عنه، ويحبس ثلاثة أيام فإن أسلم وإلا قتل. وفي الجامع الصغير: المرتد يعرض عليه الإسلام حراً كان أو عبداً فإن أبى قتل » [3].

وقال ابن شاس[4] المالكي في كتابه « عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة » الطرف الثاني[5]: في الحكم : وذلك يظهر في نفس المرتد وولده وماله وزوجته وجنايته

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٧١).

(٢) هو برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبدالجليل الفرعاني أحد كبار أئمة الحنيفة في زمانه ولد عام ٥١١هـ، ومات عام ٥٩٣هـ. من أهم كتبه « البداية شرح كتاب الهداية » . انظر: الجواهر المضيئة (٢/ ٦٢٧).

(٣) (٢/ ٤٥٨).

(٤) أبو محمد جلال الدين عبدالله بن نجم بن شاس السعدي المالكي الفقيه المتميز مات عام ٦١٠هـ شهيد ضد الأفرنج من أهم كتبه « عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة » انظر: الأعلام (٣/ ٢٦٩) وسير أعلام النبلاء (٢٢/ ٩٨).

(٥) الطرف الأول كان في حقيقة الردة.

والجناية عليه أما نفسه فتهدر إن لم يتب فإن تاب عصمها »[١].

وقال النووي في متن المنهاج في الفقه الشافعي: « وتجب استتابة المرتد والمرتدة وفي قول تُستحب كالكافر، وهي في الحال، وفي قولٍ ثلاثة أيام فإن أصر قُتلا وإن أسلم صح وترك وقيل لا يُقبل إسلامه إن ارتد إلى كفر خفي كزنادقة وباطنية »[٢].

وقال ابن قدامة[٣] في المغني: « مسألة، قال[٤]: « ومن ارتد عن الإسلام من الرجال والنساء وكان بالغاً عاقلاً دُعِي إليه ثلاثة أيام وضُيق عليه فإن رجع وإلا قتل » في هذه المسألة فصول فمنه:

-ثم ذكر الفصول الثلاثة وقال- الفصل الرابع: أنه إن لم يتب قتل لما قدمنا ذكره وهو قول عامة الفقهاء »[٥].

وقال مالك في الموطأ: « ومعنى قول النبي ﷺ فيما نرى والله أعلم من غَيَّر دينه فاضربوا عنقه أنه من خرج من الإسلام إلى غيره مثل الزنادقة وأشباههم فإن أولئك إذا ظُهرعليهم قتلوا ولم يُستتابوا لأنه لا تعرف توبتهم وأنهم كانوا يسرون الكفر ويعلنون الإسلام فلا أرى أن يستتاب هؤلاء ولا يقبل منهم قولهم وأما من خرج من الإسلام إلى غيره وأظهر ذلك فإنه يُستتاب فإن تاب وإلا قتل وذلك لو أن قوماً كانوا على ذلك رأيت أن يدعوا إلى الإسلام ويستتابوا فإن تابوا قبِلَ ذلك منهم وإن لم يتوبوا قُتلوا »[٦].

وقال الشافعي في كتابه الأم « ومن ارتد عن الإسلام على أي كفر كان مولوداً على

---

(١) (٣/١١٤١).

(٢) السراج الوهاج على متن المنهاج / للشيخ محمد الزهري الغمراني ص(٥٢٠).

(٣) موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي الحنبلي ولد عام ٥٤١ ومات عام ٦٢٠هـ كان معروفاً بالفقه والعبادة والزهد . انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٦٥)، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ١٣٣).

(٤) أي الخرقي في مختصره.

(٥) (١٢/٢٦٩).

(٦) الموطأ للإمام مالك بن أنس كتاب الأقضية باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام ص(٥٦٥).

الإسلام أو أسلم ثم ارتد قُتل واي كفر ارتد إليه مما يظهر أو يسر من الزندقة ثم تاب لم يقتل فإن لم يتب قتل امراة كانت أو رجلاً عبداً كان أو حراً »[١].

وأما الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة فعن حنبل بن إسحاق قال: سمعت أبا عبدالله يقول: يستتاب المرتد ويقتل »[٢].

وقال صاحب كتاب « رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ».

« اتفق الأئمة على أن من ارتد عن الإسلام وجب عليه القتل ثم اختلفوا: هل يتحتم قتله في الحال أم يوقف على استتابه؟ وهل استتابته واجبة أو مستحبة؟ وإذا استتيب فلم يتب هل يمهل أم لا؟ »[٣].

وأما الشبه المثارة حول قتل المرتد فهي:

الشبهة الأولى: الادعاء أن حديث « من بدل دينه فاقتلوه » لا يدل على وجوب القتل وإنما يدل على الجواز والصارف له أن الرسول ﷺ لم يقتل مرتداً لمجرد أنه بدل دينه ولكنه جمع مع الردة المحاربة لله ولرسوله أو القتل وممن قال بذلك جمال البنا[٤] ومحمد سليم العوا[٥].

الرد على هذا الشبهة:

سبق أن ذكرت أن الأمر المجرد يدل على الوجوب وهو الأصل فيه إلا إذا كانت هناك قرينة قوية تصرفه عن الوجوب إلى الإباحة وما استدلوا به على ذلك لا يثبت به كونه قرينة صارفة:

---

(١) (٨/ ٣٦٧) دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ.

(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، تأليف د/ عبدالله بن سلمان الأحمدي (٢/ ٥٨)، دار طيبة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

(٣) ص(٢٨٢)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٤) انظر: الإسلام وحرية الفكر ص(١٥٣).

(٥) انظر: في أصول النظام الجنائي الإسلامي ص(١٥١-١٧١)، ط٢ دار المعارف ١٩٨٣م.

أ-قالوا إنه لم يثبت عن الرسول ﷺ أنه قتل المرتد أو أمر بقتله في حديث صحيح:

أقول لقد ثبت عنه ﷺ أنه قتل من ارتد عن الدين الإسلامي أقول ارتد لأن الردة تكون بعد الإسلام فمن أسلم وقال قولاً يوجب الردة أو فعل فعلاً يوجب الردة حكم بردته ووجب قتله قال ابن تيمية: « والردة تحصل بجحد الشهادتين والتعريض بسب الله تبارك وتعالى وبسب النبي ﷺ »[١] وقال أيضاً « فإما أن يقتل الساب لكونه كفر بعد إسلامه أو لخصوص السب والثاني لا يجوز لأن النبي ﷺ قال: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام أو زنٍ بعد إحصان أو قتل نفس فيقتل بها »[٢].

وقد صح ذلك عنه من وجوه متعددة وهذا الرجل لم يزن ولم يقتل فإن لم يكن قتله لأجل الكفر بعد الإسلام امتنع قتله فثبت أنه إنما يقتل لأنه كفر بعد إسلامه »[٣] فدل ذلك على أن الساب لله ولرسوله مرتدٌ يجب قتله وإنما حصل الخلاف بين أهل العلم في الاستتابة فبعضهم يرى استتابته وبعضهم يرى وجوب قتله في الحال.

ومن أجل ذلك نقول إن الرسول ﷺ قد أمر بقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة[٤] وقد قتل وسبب قتله هو ردته قال ابن تيمية: « ... وهذا مما استفاض نقله بين أهل العلم واتفقوا عليه: أن رسول الله ﷺ أهدر دم ابن خطل يوم الفتح فيمن أهدره وأنه قتل... وقد تقدم عن أهل المغازي أن جرمه أن النبي ﷺ استعمله على الصدقة وأصحبه رجلاً يخدمه فغضب على رفيقه لكونه لم يصنع له طعاماً أمره بصنعه فقتله فخاف ثمَّ أن يقتل فارتد واستاق إبل الصدقة وأنه كان يقول الشعر يهجوبه رسول الله ﷺ ويأمر جاريتيه أن تغنيابه فهذا له ثلاث جرائم مبيحة للدم: قتل النفس والردة والهجاء »[٥]

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣/ ٥٥٤)، رمادي للنشر ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣/ ٦١٢).

(٤) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب قتل الأسير وقتل الصبر وفتح الباري (٦/ ١٩١).

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول (٢/ ٢٦٦).

وقال أيضاً: « واعترض عليهم بأن ابن خطل كان حربياً فقتل لذلك.

وجوابه: أنه كان مرتداً بلا خلاف بين أهل العلم بالسير وحتم قتله بدون استتابة مع كونه مستسلماً منقاداً قد ألقى السَّلَم كالأسير فعلم أن من ارتد وسب يقتل بلا استتابة بخلاف من ارتد فقط » [(١)].

ومن خلال هذا الكلام يمكن الخلوص إلى أمرين:

أولاً: أن الساب لله ولرسوله ﷺ مرتدٌ شرعاً يدخل ضمن قوله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » .

ثانياً: أنه ثبت عن الرسول ﷺ في الحديث الصحيح القاطع أنه قتل المرتد ابن خطل وان سبب قتله هو ردته وكفره لا بسبب القود إذ لو كان بسبب القود لكان حكمه أن يُسلم إلى أولياء المقتول فإما أن يقتلوا أو يعفوا أو يأخذوا الدية، وأما سبب عدم قبول استتابته والتعجيل في قتله لسبه للرسول ﷺ .

ب- واستدلوا بما رواه البخاري ومسلم من « أن أعرابياً بايع رسول الله ﷺ فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة فأتى النبي ﷺ فقال: يا محمد أقلني بيعتي فأبى رسول الله ﷺ ثم جاءه فقال: يا محمد أقلني بيعتي فأبى ثم جاءه فقال: يا محمد أقلني بيعتي فأبى فخرج الأعرابي فقال رسول الله ﷺ إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها » [(٢)].

قال محمد سليم العوا: « وقد ذكر الحافظ ابن حجر والإمام النووي نقلاً عن القاضي عياض أن الأعرابي كان يطلب من رسول الله ﷺ إقالته من الإسلام فهي حالة ردة ظاهرة ومع ذلك لم يعاقب رسول الله ﷺ الرجل ولا أمر بعقابة بل ترك يخرج من المدينة دون أن يعرض له أحد » [(٣)].

---

(١) المرجع السابق ص(٢٦٦).

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل المدينة باب المدينة تنفي الخبث فتح الباري (٤/ ١١٥) برقم (١٨٨٣)، ومسلم كتاب الحج باب المدينة تنفي خبثها وتسمى طابة وطيبة شرح مسلم للإمام النووي (٩/ ١٥٣).

(٣) في أصول النظام الجنائي الإسلام ، ص(١٥١-١٧٠).

الرد: قال ابن حجر: « ظاهره أنه سأل الإقالة من الإسلام وبه جزم عياض وقال غيره إنما استقاله من الهجرة وإلا لكان قتله على الردة »(١).

وقال الإمام النووي: « قال العلماء إنما لم يقله النبي ﷺ بيعته لأنه لا يجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام ولا لمن هاجر إلى النبي ﷺ للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أو غيره قالوا وهذا الأعرابي كان ممن هاجر وبايع النبي ﷺ على المقام معه قال القاضي ويحتمل أن بيعة هذا الأعرابي كانت بعد فتح مكة وسقوط الهجرة إليه ﷺ وإنما بايع على الإسلام وطلب الإقالة منه فلم يقله والصحيح الأول والله أعلم » (٢).

وقال ابن حجر في موطن آخر: « قوله على الإسلام ظاهرٌ في أن طلبه الإقالة كان فيما يتعلق بنفس الإسلام ويحتمل أن يكون في شيء من عوارضه كالهجرة وكانت في ذلك الوقت واجبة ووقع الوعيد على من رجع أعرابياً بعد هجرته كما تقدم التنبيه عليه قريباً... قال ابن التين: إنما امتنع النبي ﷺ من إقالته لأنه لا يعين على معصية لأن البيعة في أول الأمر كانت على أن لا يخرج من المدينة إلا بإذن فخر وجه عصيان. قال: وكانت الهجرة إلى المدينة فرضاً قبل فتح مكة على كل من أسلم ومن لم يهاجر لم يكن بينه وبين المؤمنين موالاة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ [الأنفال:٧٢] فلما فتحت مكة قال ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح) ففي هذا إشعار بأن مبايعة الأعرابي المذكور كانت قبل الفتح »(٣).

وبعد هذا النقل فهل يفهم القارئ أن الإمام ابن حجر والنووي يريان أن الأعرابي طلب الإقالة من الإسلام أم من المكث في المدينة بسبب ما أصابه من وعك وعدم صبره على شدة المدينة؟

وأمرٌ آخر أن الأعرابي لم يعلن كفره وإنما خرج من المدينة بسبب الحمى التي أصابته فأيَّ ردة ظاهره في خروجه من المدينة كما زعم العوا، وإنما كان خروجه لسبب ظاهر

(١) فتح الباري (٤/ ١١٦).

(٢) مسلم بشرح النووي (٩/ ١٥٦).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٢١٢-٢١٣).

وعلةٍ ذكرها الأعرابي والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

وإذا أسلمنا للعوا ما يريد من استدلاله بالحديث كان الواجب اعتبار الحديث من الأحاديث المتشابه التي يجب ردها إلى المحكم حتى يستقيم لنا فهم الحديث والمحكم هنا «من بدل دينه فاقتلوه».

جـ-قال العوا « والأمر الثالث: ما رواه البخاري[1] عن أنس ﷺ قال: « كان رجل نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانياً فكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض... » الحديث ففي هذا الحديث أن الرجل تنصر بعد أن أسلم وتعلم سورتي البقرة وآل عمران ومع ذلك فلم يعاقبه النبي ﷺ على ردته »[2].

الرد: أذكر الحديث كما ورد في صحيح البخاري ليتضح للقارئ الحقيقة وأن الحديث فيه ما يدل على خلاف ما استشهد به العوا عن أنس ﷺ قال: « كان رجل نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانياً فكان يقول: ما يدري محمدٌ إلا ما كتبت له فأماته الله فدفنوه فأصبح فقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمدٍ وأصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا: هذا فعل محمدٍ وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فالقوه خارج القبر فحفروا له وأعمقوا له الأرض ما استطاعوا فأصبح قد لفظته الأرض فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه » .

ففي هذا الحديث قولهم «لما هرب منهم» ومما يزيد الأمر وضوحاً قول الحافظ ابن حجر «قوله فعاد نصرانياً» في رواية ثابت: فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب فرفعوه»[3].

---

(١) البخاري في كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ، فتح الباري (٦/ ٧٢٢)، برقم (٣٦١٧).

(٢) في أصول النظام الجنائي الإسلامي ص(١٦١).

(٣) فتح الباري (٦/ ٧٢٣).

د–وأما ما استدل به العوا من آثار عن عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز وأراء بعض التابعين أي إبراهيم النخعي وسفيان الثوري فيمكن الرد عليها بما يلي:

أولاً: لا تقوى هذه الآثار عن صرف الأمر في الحديث بالوجوب إلى الإباحة لأنها تحتمل معاني أخرى كما سيتضح في الفقرة الثانية.

ثانياً: إن ما أورده من أثر عن عمر لايدل على عدم وجوب قتلهم وأنهم يحبسون إلى الأبد وإنما يدل على وجوب استتابتهم .

وأما الحديث الذي استدل به فهو عن أنس بن مالك أن أبا موسى الأشعري قتل جحينة الكذاب وأصحابه قال أنس: قدمت على عمر بن الخطاب فقال: ما فعل جحينة وأصحابه قال: فتغافلت عنه ثلاث مرات فقلت : يا أمير المؤمنين وهل كان سبيل إلى القتل؟ فقال عمر: لو أتيت بهم لعرضت عليهم الإسلام فإن تابوا وإلا استودعتهم السجن »[1] وأما ما يدل على وجوب الاستتابة وبقاء حكم القتل ما ورد عن عمر ﷺ أنه قدم عليه مجزأة بن ثور أو شقيق بن ثور يبشره بفتح تستر فقال له عمر: هل كانت مغربة يخبرنا بها؟ قال: لا إلا أن رجلاً من العرب ارتد فضربنا عنقه قال عمر: ويحكم فهلا طينتم عليه بابا وفتحتم له كوة فأطعمتموه كل يوم منها رغيفاً وسقيتموه كوزاً من ماء ثلاثة أيام ثم عرضتم عليه الإسلام في الثالثة فلعله أن يرجع اللهم لم أحضر ولم آمر ولم أعلم »[2] فما ورد عن عمر ﷺ في هذه الرواية التصريح بوجوب استتابته ثلاثة أيام لا ترك القتل بالكلية وعمر ﷺ معلوم عنه شدته على المنافقين وطلبه من الرسول ﷺ قتلهم فكيف يترك قتل المرتد؟.

ولكن المقصود وجوب الاستتابة وعدم تحديد زمن معين لها، بل تبقى الاستتابة قائمة ما كان هناك رجاء في رجوعه إلى الإسلام وإذا يئس منه المسلمون قتلوه قال الشيخ محمد أبو زهرة « وإن ذلك الرأي هو الأقرب إلى منطق الإسلام في الهداية وليس مؤداه

---

(١) المحلى لابن حزم (١١/ ١٩١)، وعبدالرزاق لصنعاني في مصنفه (١٠/ ١٦٥).

(٢) المحلى لابن حزم (١١/ ١٩١)، والسنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٣٥٩)، برقم (١٦٨٨٧).

الاستتابة الدائمة حتى يموت فيكون تعطيلاً للحد بل مؤداه تكرار الاستتابة ما دام هناك أمل في التوبة فإن لم يكن ذلك الأمل كان القتل لا محالة فالفرق بين هذا الرأي وغيره أنه لم يجعل للتوبة زمناً ولا عدداً بل جعل الأمل في التوبة هو الذي يحدد الزمن واليأس منها هو الذي ينهي الاستتابة »[١].

وأما ما ذكره الدكتور/ العوا عن إبراهيم النخعي وسفيان الثوري أنهما يريان الاستتابة أبداً فيحمل على بقاء الرجاء في رجوعه إلى الإسلام أما إذا بلغ اليأس مكانه فحقه القتل ومما يؤيد هذا التأويل ما ذكره ابن عبدالبر في التمهيد[٢] أن إبراهيم النخعي وسفيان الثوري يريان قتل المرتد.

الشبهة الثانية:

القول بأن قتل المرتد عقوبة تعزيرية وليست حداً من الحدود.

والعقوبة التعزيرية يرجع فيها إلى إمام المسلمين فإن شاء قتل وإن شاء ترك وممن قال بهذا القول د/ محمد سليم[٣] العوا .

الرد: لكي نعلم هل قتل المرتد عقوبة حدية أم تعزيرية؟ لابد من تعريف الحد وتعريف التعزيز حتى يتضح الفرق بينها:

فالحد هو « عقوبة مقدرة وجبت حقاً لله ﷻ »[٤].

والتعزيز « هو التأديب دون الحد »[٥] .

---

(١) العقوبة محمد أبو زهرة ص(١٩٦).

(٢) (٥/ ٣١٢-٣١٣).

(٣) انظر: كتابه « في أصول النظام الجنائي الإسلامي » .

(٤) أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء / تأليف قاسم القونوي ص(١٧٣)، ط١، ١٤٠٦هـ، دار الوفاء للنشر والتوزيع.

(٥) المرجع السابق.

وقال الإمام الكاساني في بدائع الصنائع عن الفرق بين الحد والتعزيز « الحد عبارة عن عقوبة مقدرة واجبة حقاً لله تعالى عز شأنه بخلاف التعزيز فإنه ليس بمقدر وقد يكون بالضرب وقد يكون بالحبس وقد يكون بغيرهما »(١).

وبهذا التفريق الجلي يحكم المنصف على قتل المرتد بأنه حدٌّ من الحدود لأن الرسول ﷺ قدره بالقتل كما ورد في الحديث الصحيح « من بدل دينه فاقتلوه » وأما التعزيز فيرجع تقديره إلى القاضي.

والحدود لا تقبل فيها الشفاعة ولا العفو بخلاف التعزير فهي تقبل الشفاعة والعفو من قبل ولي الأمر وقتل المرتد لا يقبل فيه الشفاعة والعفو أبداً بدليل أنه لم يثبت أن المرتد لا يقتل بل لابد من قتله وإنما الثابت هو استتابته ما دام القاضي يرى أنه يمكن رجوعه إلى الإسلام وأما إذا لم يرجع وأصر فحكم الله ورسوله فيه القتل، وأما قصة عبدالله بن سعيد بن أبي السرح مع الرسول ﷺ لما قبل فيه شفاعة عثمان بن عفان ﷺ مع أنه قد ارتد عن الإسلام ليست حجة في أن قتل المرتد ليس حداً من الحدود لأن عبدالله بن سعيد بن أبي السرح تاب ورجع إلى الإسلام ولم يبق على ردته فقبل فيه الرسول ﷺ شفاعة عثمان ﷺ .

الشبهة الثالثة:

أن قتل المرتد لا يكون إلا إذا كان محارباً للإسلام لا لمجرد ردته وكفره قال جمال البنا في كتابه الإسلام وحرية الفكر « وهكذا يتضح من استعراض الأحاديث السابقة أن الردة كانت تقترن بمحاربة الإسلام والانضمام إلى أعدائه وأن هذا الجزء الأخير هو الذي أوجب قتالهم كمحاربين أو قتلهم عند القبض عليهم »(٢).

وقال محمد عمارة: « ... إن الدين لا يتأتى بالإكراه والإكراه لا يثمر إيماناً وإنما ثمرته النفاق. أما الحديث -الذي رواه الإمام أحمد- وهو حديث آحاد -ظني الثبوت-

---

(١) (٧/ ٣٣)، دار الكتب العلمية (١٤٠٦هـ).

(٢) ص(١٥٣).

فإنه يتحدث عن إقامة الحد على « التارك لدينه المفارق للجماعة » أي المرتكب لجريمة الحرابة والخروج على الأمة والانحياز إلى أعدائها إبان الحروب والصراع... وجاء الاتفاق على أن المرأة المرتدة لا يقام عليها الحد لأنها غير مقاتلة وردتها مجرد اختيار فكري »[1].

الردّ يكون في ثلاث نقاط:

١- المحارب والمقاتل ضد المسلمين يُقتل سواء كان مرتداً أو مشركاً أو مسلماً فالمحاربة لذاتها توجب القتال ضد هذه الطائفة المحاربة.

٢- ورد عن علي[2] ﷺ أنه قتل الذين ادعوا فيه الألوهية وحرقهم بالنار وهؤلاء لم يكونو محاربين له ﷺ.

٣- وورد عنه كذلك ما رواه أبو عمرو الشيباني من أن المستورد العجلي تنصر بعد إسلامه فبعث به عتبة بن فرقد إلى علي ﷺ فاستتابه فلم يتب فقتله[3] وهو لم يكن محارباً لعلي ﷺ ولكن قد ينضم إلى الردة جرم آخر كسب الرسول ﷺ أو قتل مسلم أو سرقه أو قطع طريق فتكون الردة مغلظة قال ابن تيمية « فإن الردة على قسمين: ردةٌ مجردة وردة مغلظة شرع القتل على خصوصها وكلاهما قد قام الدليل على وجوب قتل صاحبها والأدلة الدالة على سقوط القتل بالتوبة لا تعم القسمين بل إنما تدل على القسم الأول كما يظهر ذلك لمن تأمل الأدلة على قبول توبة المرتد فيبقى القسم الثاني وقد قام الدليل على وجوب قتل صاحبه ولم يأت نصٌ ولا إجماع بسقوط القتل عنه والقياس متعذر مع

---

(١) الإسلام والتحديات المعاصرة ص(٢٥٩)، ط١، ٢٠٠٥م نهضة مصر للطباعة والنشر. وانظر: كذلك كتاب حق الحرية في العالم / وهبة الزحيلي ص(١٥٢)، ط١، ١٤٢١هـ، دار الفكر فهو ممن يرى رأي محمد عماره.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المحلى لابن حزم (١١/ ١٩٠)، ت/ أحمد محمد شاكر دار التراث وأخرجه أبو بكر البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٥٨).

وجود الفرق الجلي فانقطع الإلحاق »[١].

وقال أيضاً: « وبالجملة فمن كانت ردته محاربة لله ورسوله بيد أو لسان فقد دلت السنة المفسرة للكتاب أنه ممن كفر كفراً مزيداً لا تقبل توبته منه »[٢].

(١) الصارم المسلول (٣/ ٦٩٦).

(٢) المرجع السابق ص(٦٩٩).

۞ المطلب الثاني: هل يتعارض قتل المرتد مع حرية الاعتقاد ضمن الضوابط الشرعية؟

لم تظهر مشكلة قتل المرتد وتعارضها -كما زعموا- مع الحرية إلا بعد سقوط الخلافة العثمانية وتنحية تطبيق الشريعة وتبني الحكومات الإسلامية القوانين الغربية وانضمامهم إلى المؤسسات الدولية واللجان الدولية التي تتبنى حقوق الإنسان وحريته بالمفهوم الغربي العلماني الذي يتصادم مع المفهوم الإسلامي الصحيح لحقوق الإنسان وهذه الإشكالية يمكن حلها من خلال النقاط التالية:

أولاً: أن الردة ليست مسألة شخصية تماماً لا يحق لأحدٍ التدخل فيها بل هي مسألة تمس الأمن العقدي للأمة وللمجتمع الإسلامي فهذا المرتد لا بد أن يكون لديه أسباب جعلته يترك الإسلام إلى غيره وهذه الأسباب هي قوادح في الإسلام يُشوشُ بها على إيمان بقية المسلمين فهو بهذه الصورة عضوٌ فاسدٌ مفسد لا بد من بتره حتى يسلم بقية الجسد يقول د/ محمد حسين الذهبي « وإذا سلم بحق المجتمع في قتل البغاة والمحاربين -وهم لم يعلنوا كفراً ولا ردة- فحق المجتمع في قتل من فارق دينه وترك جماعته متبرئاً منها معلناً عدوانه لها أظهر وأحق »[(١)] والحفاظ على الدين أولى من الحفاظ على النفس والمال.

ثانياً: إن القوانين الوضعية جعلت عقوبة لمن يتآمر على كيان الأمة وسمتها « الخيانة العظمى » وجعلت العقوبة القتل، فكذلك الإسلام جعل عقوبة المرتد القتل وهذا المرتد قد خان أمته وفارق الجماعة وأصبح ولاءه لدينٍ ومجتمعٍ آخر فاستحق القتل على ذلك « « ومع ذلك فالإسلام أرحم من الدسائير الحديثة لأن هذه الدساتير لا تقبل في قضايا الخيانه العظمى التماساً للأعذار ولا فرصة لإزالة الشبهات أما الإسلام فإنه يطلب محاورة المرتد وإزالة شبهاته وإعطاءه فرصة للتوبة ولا يطبق حد الردة إلا مع الإصرار على معاداة الدولة الإسلامية »[(٢)].

---

(١) أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ص(٥٩).

(٢) الحدود في الشريعة الإسلامية د/ عبدالحليم عويس ص(١٢٧)، الشركة السعودية.

ثالثاً: إن نظام الإسلام قائم على عدم الفصل بين الدين والدولة فمن خرج عن الدين فهو خارج على الدولة يستحق العقوبة بخلاف القوانين الغربية القائمة على الفصل بين الدين والدولة والمجتمع ومن أجل ذلك فالإيمان لديهم قضية شخصية تماماً لاتمس نظام الدولة فيجب علينا كمسلمين أن نبين لهم أن نظامنا الإسلامي قائم على الدين والدولة دون فصلٍ بينهما.

رابعاً: باتفاق جميع عقلاء العالم أن العقود المالية عموماً عقودٌ ملزمة لا يجوز نقضها سواء على مستوى الأفراد أو الشركات أوا لدول وأن من أراد نقض هذه العقود فإنه يستحق العقوبة المقررة مسبقاً فكذلك الذي يدخل في الإسلام طوعاً ورغبةً فيه يجب عليه الالتزام به في جميع أحكامه ومنها أن من أراد الخروج منه فإنه يستحق العقوبة المقررة مسبقاً وهي القتل، والحفاظ على الإيمان مقدم على الحفاظ على الأموال باتفاق العقلاء.

خامساً: إن عقوبة القتل على المرتد لا تطبق عليه إلا إذا أعلن ردته أمام الملأ وحاوره أهل العلم في الأسباب التي أدت إلى ردته لعله يتوب ويرجع إلى الإسلام فإن أصر صدر الحكم من القاضي الشرعي بردته وقتله لأنه بذلك أي بإعلانه ردته يفسد المجتمع، أما إذا أخفى ردته فهو منافق يأخذ أحكام المنافقين.

سادساً: أن الإسلام قرر مبدأ لا إكراه في الدين ولم يقرر مبدأ التلاعب بالدين فهذا المرتد متلاعب بدينه إذ لا يتصور أن يدخل أحدٌ في الإسلام عن قناعة كاملة بهذا الدين العظيم ثم يرجع عنه ويرتد عن قناعة كاملة عنه لأن الحق أحق أن يتبع فالإسلام دين الفطرة ودين العدل والرحمة لا يمكن لعاقل أن يتذوق طعم الإيمان ثم يرجع عنه كما قاله قيصر لأبي سفيان ﷺ عندما سأل أبا سفيان هل يرجع منهم أحدٌ عن دينه فقال أبو سفيان لا فقال هرقل وكذلك الإيمان حين تخالطه بشاشة القلوب[1]. إن الذي يتذوق طعم الإسلام وعدله ورحمته وتشريعاته العظيمة لا يتصور منه أن يتركه عن قناعة بعدم

(١) صحيح البخاري فتح الباري (١/ ٤٣).

أحقيته بل لابد أن يكون سبب ردته هوى عظيم يستحق عليه القتل أو منافق أظهر نفاقه.

سابعاً: إن المفهوم الصحيح لحرية الاعتقاد في الإسلام ضمن الشروط السابقة لا يمكن أن يتعارض مع حكم قتل المرتد.

ثامناً: أنه لا تعارض بين قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٥٦] وقوله ﷺ (من بدل دينه فاقتلوه) قال ابن حزم : « وأما قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ فلا حجة لهم فيه لأنه لم يختلف أحدٌ من الأمة كلها في أن هذه الآية ليست على ظاهرها لأن الأمة مجمعة على إكراه المرتدين عن دينه »[1] .

وقال ابن جرير الطبري: « وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس... وقال: عنى بقوله تعالى ذكره ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ أهل الكتاب والمجوس وكل من جاز إقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه... وكان المسلمون قد نقلوا جميعاً عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبول الجزية منه وإقراره على دينه الباطل وذلك كأهل الكتاب ومن أشبههم »[2].

---

(١) المحلى (١١/ ١٩٥).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٤/ ٥٥٤).



شبهات حول مسائل الإكراه والرد عليها

وفيه ثلاثة فصول : -

۞ الفصل الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلاقته بالإكراه على الحق.

۞ الفصل الثاني: علاقة الإكراه على الحق بوجوب التحاكم إلى الشريعة ومنها إقامة الحدود.

۞ الفصل الثالث: علاقة الجهاد ونتائجه بالإكراه على الحق.



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلاقته بالإكراه على الحق

وفيه مبحثان : -

- المبحث الأول: مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.
- المبحث الثاني: علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحريات.

المبحث الأول: مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام

ويحتوي على أربع مطالب:

۞ المطلب الأول: تعريف المعروف المأمور به والمنكر المنهي عنه.

المعروف: هو كل ما يحسن في الشرع[١].

والمنكر: ما ليس فيه رضاء الله من قول أو فعل[٢].

والمعروف: هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس[٣] ويدخل في ذلك جميع الطاعات وفي مقدمتها التوحيد.

والمنكر: هو اسم جامع لكل ما يكرهه الله ورسوله ويأباه وورد فيه النهي[٤] ويدخل في ذلك جميع المعاصي وفي مقدمتها الشرك والكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمرٌ ونهي، فالأمر الذي بعث الله به رسوله ﷺ هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعثه به هو النهي عن ا لمنكر »[٥].

إذاً فالمعروف هو جميع ما أمر الله به من الطاعات سواء على جهة الوجوب أو الاستحباب والندب مثل الأمر بالتوحيد والجهاد وأداء الواجبات المالية والمندوبة

---

(١) التعريفات للعلامة الجرجاني ص(٣٠٨).

(٢) المرجع السابق ص(٣٢٣) وراجع كذلك موسوعة مصطلحات جامع العلوم للقاضي عبدالنبي بن عبدالرسول والأحمد نكري ص(٩١١) مكتبة لبنان ناشرون ط١، ١٩٩٧م.

(٣) فتح الوهاب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتحي بن أحمد الغريب ص(٣٩)، مجمع البحرين للنشر والتوزيع.

(٤) المرجع السابق ص(٤٠).

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٥).

فالمعروف يكون في الأقوال والأفعال بشرط أن الشرع أتى به أو أقر ما كان عليه الناس مما لا يخالف ما أنزله الله وجملة ذلك في النقاط التالية:

١-المعروف ما أتى به الشرع استقلالاً مثل أداء الزكاة .

٢-المعروف ما أقره الشرع وحث عليه مثل مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال كالكرم ومساعدة ونصرة المظلوم .

وأما المنكر فهو كل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ مما يترتب عليه الضرر على الإيمان أو البدن أو المال أو العرض وأعظم المنهيات الشرك والكفر بالله.

والمنكر يكون في القوال والأفعال مثل سب الله ورسوله أو السجود للصنم أو الطواف حول القبر.

ويرى د/ عبدالعزيز المسعود أن المعروف: كل ما أمر به الشارع من اعتقاد أو قول أو فعل أو إقرار على سبيل الوجوب أو الندب أو الإباحة.

والمنكر: كل ما نهى عنه الشارع من اعتقاد أو قول أو فعل على سبيل التحريم أو الكراهة(١) .

وهذان التعريفات من أجود وأفضل التعاريف في هذا الباب.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في حفظ الأمة د/ عبدالعزيز بن أحمد المسعود (١/ ٤٧-٥٦)ن دار الوطن ط٢، ١٤١٤هـ.

۞ المطلب الثاني: الأدلة من القرآن الكريم على مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام.

إن مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات القرآن العظيم مكانة عظيمة جليلة لمن قرأ كتب الله وعلم تفاسير أهل العلم لهذه الآيات المنصوص فيها بمصطلح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقبل أن أسرد جملة من الآيات أذكر كلام أبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني(١) في كتابه القيم « الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز الذي تحدث فيه عن تفسير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات القرآن العظيم فقال: « تفسير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجهين:

التوحيد والشرك بالله، والتكذيب والتصديق بمحمد ﷺ:

١-فوجه منهما الأمر بالمعروف يعني: التوحيد، والنهي عن المنكر: الشرك بالله تعالى قوله تعالى في سورة (براءة): ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:١١٢] يعني « التوحيد بالله ﷻ » ﴿والنَّاهُوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة:١١٢] يعني: الشرك بالله تعالى.

وكقوله تعالى في سورة لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [لقمان:١٧] يعني: التوحيد ﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يعني: الشرك بالله ﷻ.

والوجه الثاني:

٢-الأمر بالمعروف: اتباع النبي ﷺ، والنهي عن المنكر يعني: التكذيب قوله تعالى في سورة آل عمران -لمؤمن أهل التوراة- ﴿۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [آل عمران:١١٣-١١٤] مثلها في سورة براءة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١]

---

(١) أبو عبدالله الحسين بن محمد بن إبراهيم الدامغاني شيخ الحنفية في زمانه، ولد بدامغان عام ٣٩٨هـ وتوفي عام ٤٧٨هـ، له من الكتب « الزوائد والنظائر وفوائد البصائر » و « شوق العروس وأنس النفوس ». انظر: معجم المؤلفين جـ٤ ص(٤٤)، والأعلام للزركلي جـ٧ ص(١٦٣).

عن التكذيب به إيماناً بمحمد ﷺ[(١)].

وأما الآيات فهي كالتالي:

١-قولــه تعــالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال الإمام الشوكاني « في الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها ركن رشيد من أركانها وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها »[(٢)].

٢-قولـه تعـالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران:١٠٤].

قال الإمام القرطبي: « إن الآمرين بالمعروف يجب أن يكونوا علماء وليس كل الناس علماء وقيل: إن كلمة « منكم » للتبعيض: وقيل: إنها لبيان الجنس والمقصود لتكونوا كلكم كذلك قلت: القول الأول أصح فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية وقد عينهم الله تعالى بقوله : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الحج:٤١] وليس كل الناس مُكنوا »[(٣)].

٣-قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج:٤١].

دلت الآية على أن التمكين لعباد الله منوط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فبقدر ثباته وقوته يُمكّن الله له وبقدر ضعفه وتقصيره يسحب منه التمكين عقوبة له.

قال ابن الجوزي « قال الزجاج رحمه الله: هذه صفة ناصرية والتمكين في الأرض:

---

(١) الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز لأبي عبدالله الدامغاني (١/ ١٢٣).

(٢) فتح القدير (١/ ٣٦٩).

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ج٤-١٨٤).

نصرتهم على عدوهم قاله المفسرون والمعروف: هو لا إله إلا الله والمنكر هو الشرك »[(١)].

٤-قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ [التوبة:٧١].

قال القرطبي : « مدح الله تعالى هذه الأمة أي: بالخيرية وذلك لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون بذلك متصفين به فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سبباً لهلاكهم »[(٢)].

وغيرها من الآيات الدالة على مكانة هذه الشعيرة العظيمة في الإسلام.

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٤٣٧).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٤١٥).

۞ المطلب الثالث: الأدلة من السنة المطهرة:

وردت أحاديث كثيرة أذكر منها جملة توضح المراد وهي:

١-عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [١].

قال القاضي عياض[٢] « هذا الحديث أصل في صفة التغيير فحق المغيرِّ أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً ويرفق في التغيير جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم والمخوف شره إذ ذاك أدعى إلى قبول قوله » [٣].

٢-عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[٤].

قال ابن حجر « وهكذا إقامة الحدود يحصل بها النجاة لمن أقامها وأقيمت عليه وإلا هلك العاصي بالمعصية والساكت بالرضا بها.. ثم قال وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان (١/ ٦٩)، رقم (٤٩)، وأخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صحيح سنن أبي داود ، الألباني (١/ ٨١٩) رقم (٤٣٤٠).

(٢) أبو الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي الغرناطي المالكي، ولد ٤٧٦هـ، وتوفي ٥٤٤هـ من أهم مؤلفاته: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، تاريخ المرابطين. انظر: شذرات الذهب جـ٤ ص(١٣٨) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ٣٠١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الشركة رقم (٢٤٩٣) ورقم (٢٦٨٦)، وأخرجه الترمذي في أبواب: الفتن انظر: صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/ ٢٣٣) رقم (٢٢٧٨).

بالمعروف »[١].

٣-وعن حذيفة بن اليمان ﷺ عن النبي ﷺ قال: « والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه فتدعونه فلا يستجيب لكم »[٢].

قال الإمام المباركفوري[٣] « والمعنى والله أن أحد الأمرين واقع إما الأمر والنهي منكم وإما إنزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة الدعاء له في دفعة عنكم بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان فإن كان الأمر والنهي لم يكن عذاب وإن لم يكونا كان عذاب عظيم »[٤].

٤-وعن قيس قال: قال أبو بكر ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] وإنا سمعنا النبي ﷺ يقول: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمم الله بعقاب)[٥].

بين أبو بكر الصديق ﷺ المفهوم الصحيح لمعنى الآية وأنه لا يتعارض مع وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإنما هو متفق مع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤].

---

(١) فتح الباري (٢/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٨٨-٣٨٩) رقم (٢٣٣٤٩)، وأخرجه الترمذي في أبواب الفدائي . انظر: سنن الترمذي الألباني (٢/ ٢٣٣) رقم (٢٢٧٣).

(٣) هو المحدث العالم محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم بهادر المباركفوري، ولد عام ١٢٨٣هـ، وتوفي عام ١٨٦٦هـ، ومن أهم مؤلفاته: تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، وكتاب أبكار المعنى في تنفيذ آثار السنن. انظر: معجم المؤلفين جـ٣ ص(٣٩٤)، طبعة الرسالة، وكذا مقدمة تحفة الأحوذي جـ١ ص(٥٤٤)، دار الكتب العلمية-بيروت .

(٤) تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩١).

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب: الأمر والنهي . انظر: صحيح أبي داود للألباني (٣/ ٨١٨) رقم (٤٣٣٨)، وابن ماجه في كتاب الفتن . انظر: صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٦٧) رقم (٤٠٠٥).

٥-عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ قال: (ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر)[1].

فالذي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يوقر الكبير ولا يرحم الصغير فليس على منهج محمدٍ ﷺ ومخالفُ محمد ﷺ يستحق العقاب فدل ذلك على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٥٧) رقم (٢٣٢٩) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (١/ ٩٥).

۞ المطلب الرابع: أقوال العلماء الراسخين في العلم:

قال الغزالي: « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين »[(١)].

وقال القرطبي: « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة وهو فائدة الرسالة وخلافة النبوة »[(٢)].

وقال ابن تيمية: « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين »[(٣)].

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للغزالي ص(٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ٤٧).

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية د/ صلاح الدين المنجد ص(٩).

المبحث الثاني: علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحريات

وفيه مطلبان:

۞ المطلب الأول: علاقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحرية الفكرية:

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الحرية الفكرية:

حرية الفكر حق فطري ودليل الإنسانية وسمة التفضيل والإكرام من قبل العزيز العليم لهذا المخلوق الذي منحه الله أداة الفكر وهو العقل الذي يدرك به الأشياء ويميز به الحق والباطل والنافع والضار.

فالفكر ذاته لا يمدح به الإنسان ولا يذم وإنما يُمدح ويُذم بما ينتج عن الفكر من آراء وأقوال وأعمال إذ حرية الفكر لا يجوز أن تقود إلى حرية الكفر ولا إلى حرية الفسق والمجون والخروج عن الأخلاق الفاضلة والآداب العامة بل يجب أن تكون حرية مقيدة.

فالحرية في لغة العرب لا تعني القدح في الذات الإلهية والخروج عن الأداب العامة والأخلاق الفاضلة وإنما تعني التحرر من رق العبودية للبشر ومن رق سيء الأخلاق إلى حسنها وهو أمرٌ متفق عليه في لغة العرب[(١)].

والفكر في لغة العرب هو « إعمال الخاطر في الشيء... والفكر التأمل » [(٢)].

وقال ابن فارس في معجم المقاييس في اللغة: « الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء: يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً » [(٣)].

وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته « الفكرة: قوة مطرِّقة للعلم إلى المعلوم

---

(١) انظر: الباب الثالث الفصل الأول المبحث الأول من هذه الرسالة.

(٢) لسان العرب لابن منظور (١/ ٢١١)، دار صادر بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.

(٣) ص(٧٩٣)، دار الفكر ط١، ١٤١٥هـ، تحقيق/ شهاب الدين أبو عمرو.

والتفكر: جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك مختص بالإنسان دون الحيوان »[(١)].

وأما تعريف الفكر اصطلاحاً: « فهو ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول »[(٢)].

وقال -أيضًا- الكفوي[(٣)]: « الفكر حركة النفس نحو المبادئ والرجوع عنها إلى المطالب »[(٤)].

فالفكر هو عبارة عن عملية عقلية حيال قضية ما ينتج عنها رأي مما يترتب على هذا الرأي عمل وهذا العمل يحتاج إلى وسائل لتحقيقه في الواقع لكي ينتقل من فكرة إلى واقع ملموس يحقق الهدف منه.

فالحرية الفكرية لا يمكن أن تشمل أحكام الإسلام لأن الفكر قابل لأن يكون حقاً أو باطلاً وأحكام الإسلام كلها حق، فالفكر حرٌ فيما عدا أحكام الإسلام الثابتة لأنها من الحق جاءت ونزلت فلا يمكن لهذا العقل القاصر أن يضع الحق وما جاء به عن طريق رسله محلاً للنقد ومن ثمَّ للقبول أو الرفض. وأما حرية الفكر بوصفه مصطلحاً برز وظهر في العصور المتأخرة نتعامل معه معاملة الألفاظ المجملة التي تحوي حقاً وباطلاً فنقبل ما فيه من حق ونرد ما فيه من باطل على ضوء ضوابط شرعية وهذا في مجال الرد على المخالف، وأما في مجال تقرير العقيدة الإسلامية فيجب استخدام المصطلح

---

(١) ص(٦٤٣)، دار القلم ودار الشامية ط٣، ١٤٢٣هـ، ت/ صفوان عدنان داوود، وانظر: كذلك « بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز » لمؤلفه / محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٤/ ٢١٢)، المكتبة العلمية بيروت ت/ محمد علي النجار.

(٢) التعريفات للجرجاني ص(٢٤٧) ط١، ١٤٢٤هـ دار النفايس.

(٣) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي الحنفي « أبو البقاء » ولد في كفا بالقرم، وتوفي بالقدس عام ١٠٩٤هـ، من أهم مؤلفاته: الكليات ومعجم في المصطلحات والفروق اللغوية. انظر: معجم المؤلفين (١/ ٤١٨).

(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص(٦٩٧).

الشرعي[١] ونبذ وإقصاء المصطلح الحادث وذلك للحفاظ على التميُّز والخصوصية للمسلمين في عقيدتهم .

المسألة الثانية: ضوابط الحرية الفكرية في الإسلام:

المقصود بهذه المسألة هي الضوابط التي يجب على المفكر الإسلامي أن يتقيد بها أثناء طرحه لقضية معينة وهي:

الضابط الأول: أن يكون التفكر والتأمل في آيات الله لا في ذاته ﷻ عن ابن عمر قال: قال ﷺ : (تفكروا في آلاء لله ولا تفكروا في الله ﷺ » [٢].

الضابط الثاني: أن تكون الآيات التي يفكر فيها الإنسان لغرض استنباط الحكمة من آياته التشريعية ولتعظيم الخالق والإقرار بصمديته في آياته الكونية.

الضابط الثالث: أن يكون التفكر وإبداء الرأي فيما هو داخل ضمن مسائل الاجتهاد أما المحكمات والثوابت فأمرها التسليم والانقياد لا إبداء الرأي فيها بالرفض أو القبول أو التوقف « الشك » .

الضابط الرابع: أن يكون المفكر الراغب في إبداء رأيه في أمرٍ ما أهلاً لذلك فلا يقبل قول العامة في مسائل الدين بل الأمر لأهل العلم وأهل كل علم أعلم بأموره من غيرهم.

الضابط الخامس: عدم تفرد المفكر برأيه في قضية تمس أمر الأمة فلابد أن يرجع إلى راي الجماعة أصحاب الأهلية الأمناء المخلصين.

---

(١) المراد بالمصطلح الشرعي: هو كل ما ورد في القرآن والسنة من مصطلحات أحدثها الإسلام لم تكن معروفة قبله كمصطلح النفاق أو موجوده ولكن لمعاني أخرى كالصلاة فهي في لغة القوم الدعاء فجعل لها الإسلام مصطلحاً يزيد على معنى الدعاء فقط « انظر: بحث د/ بكر أبو زيد بعنوان المواضعة في الاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغى دراسة ونقد في كتاب فقه النوازل مكتبة الرشد.

(٢) سبق تخريجه.

الضابط السادس: أن يراعي صاحب الفكر في طرحه جانب المصالح والمفاسد فقد يكون الرأي في ذاته صحيحاً ولكن يترتب عليه في المكان أو الزمان أو الحال الآني مفاسد أعظم من مصالحه فلا يكون عند ذلك حراً في طرحه.

الضابط السابع: ألا تقوده الحرية الفكرية إلى الحرية الكفرية.

الضابط الثامن: أن يكون المفكر في طرحه مقيداً بنصوص القرآن والسنة وفهم سلف الأمة في القرون الثلاثة المفضلة في أحكام الإسلام عقيدة وشريعة.

الضابط التاسع: ألا يخرج المفكر في طرحه عن قواعد اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغةً لأنها لغة القرآن والسنة المطهرة.

الضابط العاشر: أن يلتزم المفكر في طرحه بالمصطلحات الشرعية عقيدة وشريعة إن وجد المصطلح الشرعي وإن لم يوجد فيُستفسر عن المعنى فما كان حقاً أثبت وما كان باطلاً رُدَّ.

فهذه ضوابط وقيود الحرية الفكرية في الإسلام ينبغي مراعاتها لكل مفكر يسمى نفسه المفكر الإسلامي أن يلتزم بها لأنها تضبط الفكر عن الإفراط والتفريط تضبطه عن التساهل الذي يؤدي إلى ضياع الدين وذوبانه في فكر الآخر، وتضبطه عن الغلو الذي يؤدي إلى التعدي على الآخر بالذم والسب والضرب والقتل، إنه الفكر المعتدل الصحيح والوسطية الفكرية كما بينها القرآن الكريم[١].

وليس الإسلام بدعاً في هذه الضوابط والقيود فكل صاحب عقيدة لا يطلق الحريات دون ضوابط وقيود فهذه النظم الديمقراطية الغربية الرأسمالية جعلت لحرية الفكر وإبداء الرأي ضوابط وقيود وهي:

---

(١) انظر: حق الحرية في العالم د/ وهبة الزحيلي ص(١٢١)، دار الفكر دمشق ط١، ١٤٢١هـ، وحرية الفكر د/ عاصم عجيلة ص(٣٥)، مطابع نهضة مصر ط٣، وحرية الرأي في الميدان د/ عدنان النحوي ص(٩٧)، دار النحوي لنشر والتوزيع ط١، ١٤٢٣هـ، وحرية الرأي، المتشار سالم البهنساوي ص(١٠٢)، دار الوفاء ط١، ١٤٢٤هـ.

١-حماية أمن الدولة.

٢-حماية عقيدة الشعب.

٣-حماية سمعة الأفراد من الطعن والتجريح وعدم الإضرار بالآخرين، فضلاً عن ذلك فإنه في حالات الطوارئ وعند إعلان الحرب تضع الدولة الرقابة التامة على الصحف[١].

المسألة الثالثة: صلة الحرية الفكرية بالإكراه على الحق:

يتضح ذلك من خلال النقاط التالية:

١- الحق في مسائل العقيدة والشريعة واحد لا يتعدد وبالتالي فلا مجال للحرية في نقده أو رفضه بل الواجب الانقياد والتسليم لأنه من لدن الحكيم العليم بما يصلح عباده.

٢- تكون حرية الفكر في توضيح الحق وبيانه بالوسائل المشروعة لترغيب الناس في الدخول في الإسلام وتبني المشروع الإسلامي العادل فالداعي حرٌ في اختيار الوسيلة المشروعة الناجحة في المكان والزمان مع مراعاة حال المخاطب.

٣- أن كل أمرٍ بمعروف ونهي عن منكر هو من الحرية المكفولة في الإسلام وكل نهي عن معروف وأمر بمنكر ضد الحرية الصحيحة في الإسلام.

٤- إن منع صاحب الرأي والفكر الفاسد المفسد للدين والأخلاق وقيم المجتمع من نشره هو من الإكراه على الحق المشروع إذ الحفاظ على أمن عقيدة المسلم وأخلاقه وقيم المجتمع المسلم من أوجب الواجبات وأحق ما يُدافع عنه عن عبدالله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو

(١) حراية الرأي / سالم البهنساوي ص(١٠٥)، وحرية الفكر د/ عاصم عجيلة ص(٣٤).

مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »[1].

٥- إن الإنكار على أهل البدع واجب شرعي أمر به المصطفى ﷺ قولاً وعملاً بأمره بقتال الخوارج وجعل في قتلهم أجرا، والصحابة الكرام سيرتهم في الإنكار على أهل البدع معلومة ظاهره، ومن جاء بعدهم من علماء الأمة الصادقين إلى يومنا هذا سيرتهم كذلك معلومة ظاهرة، فالإكراه على ترك نشر الفكر الفاسد وهو المتمثل في البدع القولية واجب شرعي يهدف إلى تضييق دائرة الفكر المنحرف الضار بثوابت الأمة مع إشاعة الفكر الصحيح.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان برقم (٨٠) ص(٧٠) طبعة محمد فؤاد عبدالباقي.

۞ المطلب الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلاقته بالحرية السلوكية:

سبق أن تحدثت عن الحرية في الإسلام وبينت أن الإسلام فرض فرائض أوجب على العباد العمل بها ونهى عن نواهي أوجب على العباد تركها ولا مجال فيهما للحرية بل إن الأنظمة البشرية لا تمنح اتباعها الحرية المطلقة يصنعون ما يشاءون بالطريقة التي يرونها بل هناك أنظمة وقوانين تقيد الحريات وتمنع من الإضرار بالنفس البشرية والمجتمع العام.

وبناءً على ذلك فلا يوجد في الإسلام مبدأ « الحرية الشخصية » في مقابل ما شرع الله فالمسلم عبد لله يسمع ويطيع فالله أعلم بمصالح العباد وأعلم بما يفسد أحوالهم ولذلك شرع الحدود والتعزيرات للحفاظ على الدين والنفس والعرض فقال ﷺ في الحفاظ على الدين (من بدل دينه فاقتلوه) [١].

وقال ﷺ للحفاظ على النفس « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدين المفارق للجماعة » [٢].

وقال ﷺ للحفاظ على العرض (البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) [٣] وهكذا تتعاقب الحدود والتعزيرات للحفاظ على المسلم من فوضى الحريات المزعومة.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما شرع من أجل الحفاظ على العباد والبلاد من الفوضى التي أنتجتها وأفرزتها الحريات المزعومة كما نراه اليوم في الغرب والشرق المقلد لهم قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠] قال شيخ الإسلام: « فبين الله ﷻ أن هذه الأمة خير الأمم فهم أنفعهم لهم وأعظمهم إحساناً إليهم لأنهم كملوا كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسلم (٣/ ١٣١٦) رقم (١٦٩٠).

المنكر »[١].

« إن الحرية الشخصية التي منحها الإسلام للعباد أنه أخرج العباد من عبودية العباد ولا يعني هذا إخراجهم من عبودية رب العباد ما أحسن ما عبر القرآن الكريم عن هذا ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر:٢٩]، فالمطلوب في الإسلام أن يتحرر العبد من كل من سوى الله ويصير عبداً منقاداً مطيعاً مستسلماً لله الواحد الخالق المالك المدبر.. ومن النصوص التي تدل على أن المؤمنين مطالبون بالاستسلام لله تعالى والعمل بجميع أوامره وترك جميع نواهيه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة:٢٠٩] »[٢]. فلا يوجد في الإسلام مفهوم « الحرية الشخصية » تجاه الأحكام الشرعية فالمسلم عبدٌ لله يفعل ما يأمره به خالقه سبحانه ويتجنب ما ينهاه عنه ربه الحكيم العليم، أما مع أخيه المسلم فهو حرٌّ لا يتسلط أحدٌ على أحد إلا بسلطان الشريعة أما ما عدا ذلك فالله خلق العباد أحراراً كما قال عمر بن الخطاب لعمرو بن عاص في قصة ضرب ولده المصريَّ وشكواه إلى عمر فاقتصى عمر للمصري من ابن عمرو «متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»[٣].

وأما عند من يرى قبول مصطلح الحرية السلوكية في الإسلام -أي الحرية الشخصية- فلا يقول بإطلاقها بل لابد أن تكون مقيدة بضوابط الشريعة والعرف العام فلا تخالف القرآن والسنة ولا تخالف العرف العام لمجتمع ما فإذا كانت الحرية منفلتة من كل قيد -وهذا لا يقوله به عاقل- كانت سبباً للفوضى العامة ولضياع الحقوق وانتشار الفساد وهذا أمرٌ لا تقره حتى الأنظمة الوضعية والقوانين البشرية لأن أي مجتمع ما لا يمكن أن يحصل على العدل في ظل الحريات المنفلتة من كل قيد أو شرط بل الناتج هو

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شيخ الإسلام ص(١٩) ت/ محمد سعيد رسلان.

(٢) شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر د فضل إلهي ص(٧) دار الاعتصام.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣١٦)، وابن كثير (٣/ ٢٠٧).

الظلم والفساد العارم الذي يضرب في كل جانب ولذلك كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعامة قوية لحفظ المجتمع من ظلم الأفراد بعضهم بعضاً وظلمهم أنفسهم وذلك عن طريق إنكار المنكر:

وإنكار المنكر ثلاث درجات:

١-درجة الفعل وتشمل الضرب وإشهار الاستعانة بالأعوان لدفع المنكر وإزالته وهذه الدرجة لا تكون إلا في حالين:

الحالة الأولى: إذا ترتب على ترك الإنكار إزهاق نفسي أو انتهاك عرض أو إتلاف مالٍ أو سرقته أو أذية مسلم على العموم وجب الإنكار باليد لآحاد الناس.

الحالة الثانية: إذا لم يترتب على ترك الإنكار الأمور السابقة يكون الإنكار باليد منوطاً بالإمام المسلم الواجب عليه تغيير المنكر باليد أو من له ولاية شرعية كأهل الحسبة فيجب عليهم إنكار المنكر باليد والقوة لأن ترك إنكار المنكر باليد لآحاد الناس يؤدي إلى اضطراب الأمن وفساد الأحوال وخراب الديار فكان من المصلحة حصر إنكار المنكر باليد والقوة والسلاح بفئة معينة من قبل الإمام.

٢-درجة القول والوعظ والإرشاد والتخويف والتهديد وهذه الدرجة منوطة بالقدرة على ذلك من قبل المنكِّر على المنكر عليه .

٣-درجة الإنكار بالقلب وما يترتب عليه من سلوك مع مرتكب المنكر يعمل على تغيير المنكر بعدم مجالسته أو الأكل معه أو مناكحته مما يُلزمه بترك المنكر ودليل هذه الدرجات الثلاث حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال (من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) [1].

إن إنكار المنكر باليد أو بالسلاح هو من الإكراه على الحق المشروع وهو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من صلب عقيدة المسلم لأن الجهاد بالسيف والقتال بجميع أنواعه هو من باب إنكار المنكر بالقوة لإقامة الدين وصد الشرك وأهله

(١) سبق تخريجه.

وهو وظيفة الرسل وآخرهم محمد ﷺ لما أذن الله له بالقتال في العهد المدني والحفاظ على المجتمع المسلم من أن تغرق سفينته ويهلك المجتمع في أتون المعصية والفوضى.

فقتال المخالفين لنا في العقيدة مما جزمنا ببطلان مذهبه هو من إقامة الحق والإكراه المشروع يقول القاضي أبو يعلى الفراء: «... وأن ما حكمنا ببطلانه كمذاهب القرامطة والرافضة والمعتزلة والخوارج ونحو ذلك فإنه يجب إنكار ذلك لأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. وإن كان مما لا تحكم ببطلانه بل يجوز إصابة الحق فيه كمذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي فإنه لا يجب إنكار ذلك لأنا لا نقطع على خطاء به ولا يتحقق المنكر»[1].

وبهذا يتضح أن إنكار المنكر المتفق عليه على الفرد -سواءٌ بالقول أو الفعل- لا يتعارض مع الحرية التي منحها الإسلام له لأنه بارتكابه هذا المنكر رفع عن نفسه الحصانة الشرعية وأصبح معرضاً للعقوبة.

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص(١٤٣)، ط١، ١٤١٨هـ ت/ د محمد مصطفى الشنقيطي، دار البخاري للنشر والتوزيع.



علاقة الإكراه على الحق بوجوب التحاكم إلى الشريعة ومنها إقامة الحدود

وفيه ثلاثة مباحث : -

- المبحث الأول: الأدلة على وجوب التحاكم إلى الشريعة.
- المبحث الثاني: شبهة التلازم بين وجوب التحاكم إلى الشريعة وبين الإكراه.
- المبحث الثالث: علاقة الإكراه على الحق بوجوب إقامة الحدود.

المبحث الأول:
الأدلة على وجوب التحاكم إلى الشريعة

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

۞ المطلب الأول: الترابط بين العقيدة والشريعة:

الإسلام عقيدة وشريعة والترابط بينهما أمرٌ ذكره الله في القرآن العظيم.

أولاً: ربط الله بين توحيد الربوبية وبين الشريعة في آيات كثيرة في القرآن الكريم ومنها:

١-قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف:٥٤] يقول سيد قطب: « إن الله الخالق المهيمن المصرف المدبر هو ربكم ... هو الذي يستحق أن يكون رباً لكم يربيكم بمنهجه ويجمعكم بنظامه ويشرع لكم بإذنه ويقضي بينكم بحكمه إنه هو صاحب الخلق والأمر.. وكما أنه لا خالق معه فكذلك لا آمر معه.. هذه هي القضية التي يستهدفها هذا الاستعراض.. قضية الألوهية والربوبية والحاكمية وإفراد الله سبحانه بها... وهي قضية العبودية من البشر في شريعة حياتهم »[1].

« والأمر في لغة الشارع يأتي بمعنيين:

الأول: الأمر الكوني وهو الذي به يدبر شئوون المخلوقات وبه يقول للشيء كن فيكون ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢].

الثاني: الأمر الشرعي: وهو الذي به يفصل الحلال والحرام والأمر والنهي وسائر الشرائع ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة:٢٤] وإذا كانت البشرية لم تعرف في تاريخها من نازع الله في جانب

(١) تفسير في ظلال القرآن (٣/ ١٢٩٧).

الخلق أو الأمر الكوني فقد حفل تاريخها بمن نازع الله في جانب الأمر الشرعي وادعى مشاركته فيه فعرفت من قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣] ومن قال: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر:٢٩] ومن قال: « لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة » بل عرفت مؤخراً من قال: إن القوانين الوضعية خير من الشريعة الإسلامية لأن الأولى تمثل الحضارة المدنية والثانية تمثل البداوة والرجعية.

ولا يتحقق توحيد الربوبية إلا بإفراد الله جل وعلا بالخلق والأمر بقسمية: الكوني والشرعي وإفراده بالأمر الشرعي يقتضي الإقرار له وحدة بالسيادة العليا والتشريع المطلق»[1].

٢-وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١٠-١١].

ويقول د/ عبدالعزيز العبداللطيف: « في الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾، فهل في الكفرة الفجرة المشرعين للنظم الشيطانية من يستحق أن يوصف بأنه الرب الذي تفوض إليه الأمور ويتوكل عليه وأنه فاطر السموات والأرض أي خالقهما ومخترعها على غير مثال سابق وأنه هو الذي خلق للبشر أزواجاً »[2].

٣-وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس:٥٩].

٤-وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص:٨٨] .

---

(١) تحكيم الشريعة ودعاوي العلمانية د/ صلاح الصاوي ص(١٩).

(٢) نواقص الإيمانية القولية والعملية د/ عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف ص(٣٠٠) .

ثانياً: ربط الله بين توحيد الألوهية وبين الشريعة في آيات كثيرة في القرآن الكريم منها:

١- قال تعالى: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف:٤٠] .

يقول سيد قطب: « ويوسف عليه السلام يعلل القول بأن الحكم لله وحده فيقول ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [يوسف:٤٠] ولا نفهم هذا التعليل كما كان يفهمه الرجل العربي إلا حين تدرك معنى « العبادة » التي يخص بها الله وحده.. إن معنى عبد في اللغة: دان وخضع وذل ولم يكن معناه في الاصطلاح الإسلامي في أول الأمر أداء الشعائر إنما كان معناه اللغوي نفسه فعندما نزل هذا النص أول مرة لم يكن شيء من الشعائر قد فرض حتى ينطلق اللفظ إليه إنما كان المقصود هو معناه اللغوي الذي صار هو معناه الاصطلاحي كأن المقصود به هو الدينونة لله وحده والخضوع له وحده واتباع أمره وحده سواء تعلق هذا الأمر بشعيرة تعبديه أو تعلق بتوجيه أخلاقي أو تعلق بشريعة قانونية فالبينونة لله وحده في هذا كله هي مدلول العبادة التي خص الله سبحانه بها نفسه ولم يجعلها لأحد من خلقه وحين نفهم معنى العبادة على هذا النحو نفهم لماذا جعل يوسف عليه السلام اختصاص الله بالعبادة تعليلاً لاختصاصه بالحكم فالعبادة -أي البينونة لا تقوم إذا كان الحكم لغيره ... »[١] .

٢- قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة:٣١] .

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: قلت إنهم لم يعبدوهم فقال ﷺ (بلى

(١) تفسير ظلال القرآن، سيد قطب (٤ / ١٩٩١) .

إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم)[١] فربطت الآية الكريمة والرسول ﷺ بين التشريع وإفراد الله بالعبادة وأن من أطاع المخلوق في التحليل والتحريم فقد عبده من دون الله فدل على اختصاص الله بالتشريع سبحانه .

يقول ابن حزم: « لما كان اليهود والنصارى يحرمون ما حرم أحبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبيةٌ صحيحة وعبادة صحيحة وقد دانوا بها وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادةً وهذا هو الشرك بلا خلاف »[٢] .

وبهذ هذا العرض لا يشك مسلم أن التحاكم إلى الشريعة المطهرة من صميم الدين والعقيدة وأن الشريعة مرتبطة ارتباطاً جذرياً بتوحيد الربوبية والألوهية إذ من خصائص الرب بأنه هو الحاكم المطلق في شؤون عباده فهو إذاً المستحق للعبادة فالخلق خلقه والأمر أمره فمن نافس الله فيها أو في أحدها فقد كفر ومن اعتقد في مخلوقٍ أنه يخلق أو يشرع فقد جعله رباً من دون الله .

ثالثاً: الترابط بين الإيمان والشريعة في آيات كثيرة في القرآن العظيم منها:

١ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩] .

٢-وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم (٣٠٩٥) (٥ / ٢٧٨)، والحديث حسنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧ / ٦٧) وقال في منهاج السنة وقد ثبت في الترمذي وغيره من حديث عدي (١ / ٤٨) وحسنه الألباني في غاية المرام حديث رقم (٦) .

(٢) الفصل (٣ / ٢٦٦) .

قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٠-٦٥] .

٣-وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور:٥١] .

ربط الله في هذه الآيات بين التشريع الرباني والإيمان فالذي لا يقبل بشرع الله ينتفي عنه الإيمان ويخرج عن دائرة الإسلام إلى الكفر .

المطلب الثاني: الآيات الدالة على وجوب التحاكم إلى شرع الله:

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على وجوب التحاكم إلى شرع الله منها:

١-قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران:٣١-٣٢] قال ابن كثير « هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله »[(١)].

٢-وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات:١] قال الشنقيطي: « والمعنى لا تقدموا أمام الله ورسوله فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله ويدخل في ذلك دخولاً أولياً ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلل لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله ولا دين إلا ما شرعه الله»[(٢)].

٣-وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦].

٤-وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

٥-وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥].

يقول ابن كثير: « يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم

---

(١) تفسير ابن كثير (١ / ٥٣٦).

(٢) تفسير أضواء البيان للشنقيطي (٧ / ٦١٤).

الرسول ﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له ظاهراً وباطناً »[(١)]

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم[(٢)] « وقد نفى الله سبحنه وتعالى عمن لم يحكموا النبي ﷺ فيما شجر بينهم نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي بالقسم قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥] ولم يكتف تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول ﷺ حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم بقوله جل شأنه ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾ والحرج: الضيق بل لا بد من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب ولم يكتف تعالى أيضاً بهذين الأمرين حتى يضموا إليهما التسليم وهو كمال الانقياد لحكمه ﷺ بحيث يتخلون هاهنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتم تسليم ولهذا أكد ذلك بالمصدر المؤكد وهو قوله جل شأنه ﴿تَسْلِيمًا ﴾ المبيّن أنه لا يكتفي ها هنا بالتسليم بل لا بد من التسليم المطلق »[(٣)] .

٦-قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة:٢١٣] .

قال القاسمي[(٤)] في تفسيره « ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ من الاعتقادات والأعمال التي كانوا عليها قبل ذلك أمة واحدة »[(٥)] .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٢١١) .

(٢) هو الشيخ الإمام العلامة نسل العلماء وإمام الزمان الصادع بالحق الفقيه النحرير، ولد عام ١٣١١هـ، وتوفي عام ١٣٩٨هـ، لم يكن متفرغاً للتأليف لكثرة أشغاله ودروسه إذ كان مفتي الديار السعودية، وكان له رسالة من أجود الرسائل في بابها بعنوان تحكيم القوانين. انظر: فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم جمع وترتيب وتحقيق شيخنا محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، جـ١ ص(٩)، ط٢ .

(٣) تحكيم القوانين، محمد بن إبراهيم ص(٣-٤) .

(٤) جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، ولد عام ١٢٨٣هـ، وتوفي عام ١٨٦٦هـ، عالم متفنن من أهم كتبه: محاسن التأويل في تفسير القرآن العظيم، وإصلاح المساجد من البدع والعوائد. انظر: الأعلام للزركلي جـ٢ ص(١٣١)، ومعجم المؤلفين جـ١ ص(٥٠٤) .

(٥) محاسن التأويل للقاسمي (١ / ٥٢٣) ت/ محمد فؤاد عبدالباقي،توزيع مكتبة دار الباز ط١، ١٤١٥هـ .

٧-قولــه تعــالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥] .

قال ابن عطية[١]: « ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ معناه على قوانين الشرع إما بـوحي ونـص أو بنظر جاء على سنن الوحي وقد تضمن الله تعالى لأنبيائه العصمة »[٢] .

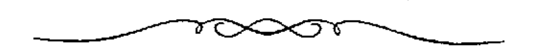
٨-قولــه تعــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩] .

قال ابن القيم عن هذه الآية أنه يستفاد منها عدة أمور:

١-أن قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط تعم كل ما تنازع فيـه الناس في مسائل الدين كلها .

٢-أن الناس أجمعوا على أن الـرد إلى الله ورسـوله هـو الـرد إلى القـرآن العظـيم وإلى الرسول في حياته وإلى سنته بعد وفاته .

٣-أنه جعل الرد من موجبات الإيمان ولوازمه فـإذا انتفـى هـذا الـرد انتفـى الإيـمان ضرورة انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنـه مـن الطـرفين وكل منهما ينتفي بانتفاء الآخر[٣] .



(١) هو القاضي أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطيه الأندلسي، ولد عام ٤٨٠هـ، وتـوفي عـام ٥٤٦، عـالم كبير، من قرأ تفسيره المحرر الوجيز علم قدر علمه. انظر: سير أعلام النبلاء جـ٢، ٥٧١ .

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٤ / ٢٤٥) .

(٣) انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين (١ / ٥١-٥٣) ت/ عبدالرحمن الوكيل ، نشر دار الكتـب الحديثـة القاهرة.

۞ المطلب الثالث: أقوال العلماء في وجوب التحاكم إلى الشريعة:

تعددت أقوال العلماء في وجوب التحاكم إلى الشريعة واكتفى بذكر أقوال بعضهم:

١-قال ابن حزم عن قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

« فسمى الله تعالى تحكيم النبي ﷺ إيماناً وأخبر الله تعالى أنه لا إيمان إلا ذلك مع ان لا يوجد في الصدر حرج مما قضى فصح يقيناً أن الإيمان عمل وعقد وقول لأن التحكيم عمل ولا يكون إلا مع القول ومع عدم الحرج في الصدر وهو عقد »[١].

٢-قال ابن تيمية: « والشهادة بأن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل أمر فما أثبته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه كما يجب على الخلق أن يثبتوا ما أثبته من الأسماء والصفات وينفوا عنه ما نفاه عنه من مماثلة المخلوقات فيخلصون من التعطيل والتمثيل ويكونون في إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وعليهم أن يفعلوا ما أمر به وأن ينتهوا عما نهى عنه ويحللوا ما حلله ويُحرموا ما حرمه فلا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله ولهذا ذم المشركين في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما لكونهم حرموا مالم يحرمه الله ولكونهم شرعوا ديناً لم يأذن به الله كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام:١٣٦] إلى آخر السورة وما ذكره في صدر سورة الأعراف وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١] وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

فأخبره أنه أرسله داعياً إليه بإذنه فمن دعا إلى غير الله فقد أشرك ومن دعا إليه بغير إذنه فقد ابتدع والشرك بدعة والمبتدع يؤول إلى الشرك ولم يوجد مبتدع إلا وفيه نوع من الشرك كما قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ

---

(١) الدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم ص(٣٣٨) ت/ أحمد الحمد وسعيد القرطبي ط١، ١٤٠٨هـ مكتبة التراث مكة المكرمة.

﴿ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾ [التوبة:٣١] وكان من إشراكهم أنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم »[١].

٣-قال ابن كثير: « فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وشهد له بالصحة فهو الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء:٥٩] أي ردوا الخصومات والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا إليهما فيما شجر بينكم فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر »[٢].

٤-يقول العلامة المحدث أحمد محمد شاكر[٣]: « وها هي ذي الآيات في هذه السورة من الآية ٥٩ إلى آخر الآية ٦٥ [سورة النساء] واضحة الدلالة صريحة اللفظ لا تحتاج إلى طول شرح ولا تحتمل التلاعب أو التأويل يأمر الله سبحانه وتعالى فيها بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر منا أي من المسلمين ويقول ﷻ في ذلك ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فيرشدنا ﷻ إلى طاعته وطاعة رسوله في شأن الناس كلهم وفيما يعرض لهم من قضايا الخلاف والنزاع شرط في الإيمان بالله ورسوله »[٤].

٥-يقول الشيخ السعدي: « ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله والرسول أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله، فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية إما بصريحهما أو عمومهما أو إيماء أو تنبيه أو مفهوم أو عموم معنى يُقاس

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢/ ٨٣٤-٨٣٥) ت/ د/ ناصر العقل ط١، ١٤٠٤هـ.=

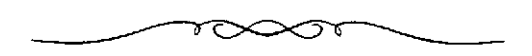
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٩).

(٣) محدث فقيه محقق ناقد، ولد عام ١٣٠٩هـ، وتوفي عام ١٣٧٧هـ، ومن أهم مؤلفاته: شرح مسند الإمام أحمد وصل فيه إلى الحديث رقم (٨١٠٠) وله تحقيقات قيمة. انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، تأليف د/ محمد رجب البيومي جـ٢ ص(٨٩)، وانظر: موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري لمؤلفه إبراهيم بن عبدالله الحازمي جـ٢ ص(٦٥٣).

(٤) عمدة التفسير (٣/ ٢١٣)، دار المعارف، مصر.

عليه ما أشبهه لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين ولا يستقيم الإيمان إلا بهما فالرد إليهما شرط في الإيمان فلهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ﴾ فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة بل مؤمن بالطاغوت كما ذكر في الآية بعدها »[١].

وممن أكد على هذه القضية أعني قضية ارتباط العقيدة بالشريعة من أهل العلم الإمام الشنقيطي[٢] والشيخ ابن باز[٣] ومحمد قطب[٤] وسيد قطب[٥] وشيخ الإسلام محمد عبدالوهاب[٦] وغيرهم كثير.



(١) تفسير السعدي (٢/ ٨٩-٩٠) طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٠هـ.

(٢) أضواء البيان (٤/ ٨٣).

(٣) وجوب تحكيم شرع الله ص(٧) ط٤، دار الإفتاء ١٤٠١هـ.

(٤) حول تطبيق الشريعة مكتبة السنة ط١، ١٤١١هـ ص(٩-٢٩).

(٥) تفسير الظلال (٢/ ٨٩٤-٨٩٥).

(٦) كتاب التوحيد باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

المبحث الثاني: شبهة التلازم بين وجوب التحاكم إلى الشريعة وبين الإكراه

وفيه مطلبان:

۞ المطلب الأول: في حق المسلم:

لقد دأب المتأثرون بالمدنية الغربية على استخدام أسلوب الدفاع عن القضايا الإسلامية التي جاءت بها الشريعة مخالفة ما عليه الغرب الكافر من قوانين مدنية وضعوها بعقولهم القاصرة الخاطئة وكان الواجب عليهم بدلاً من استخدام أسلوب الدفاع تقرير هذه القضايا بأدلتها النقلية والعقلية .

فالعلاقة بين وجوب التحاكم إلى الشريعة الإسلامية وبين الإكراه تتضح من خلال ثلاثة أمور:

أولها: أن خصائص الشريعة الإسلامية تتفق مع الفطر السوية والعقول السليمة.

أ-الشريعة الإسلامية تتفق مع الفطرة السوية.

خلق الله الإنسان على الفطرة السوية كما قال ﷺ (كل مولود يولد على الفطرة) [1].

والفطرة السوية التي خلق الله البشرية عليها تتفق مع ما شرعه الله لعباده من الأحكام التي يعلم سبحانه بأنها تناسب فطر البشر من حب العدل والإنصاف والحفاظ على الدين والنفس والمال والعقل والغرض مما يوفر للإنسان الأمن الذي ينشده فأحكام الإسلام وتشريعاته العظيمة في مجال العقوبات عموماً ومجال الاقتصاد ومجال السياسة والاجتماع والثقافة ومجال نظام الأسرة إذا طُبقت التطبيق الصحيح أورثت لدى الأفراد الأمن النفسي ولدى المجتمعات الأمن العام الذي يشعر فيه الفرد المسلم وغير المسلم بعزته وكرامته ويأمن على دينه ونفسه وعرضه وماله من تلاعب الفسدة المفسدين فتقل الجرائم بل تنعدم كما حصل في عهد الفاروق ﷺ وأرضاه ، وتوزع الصدقات فلا يقبلها

---

(١) سبق تخريجه.

أحدٌ كما حصل في عهد عمر بن عبدالعزيز وكل ذلك بسبب التطبيق السليم للشريعة.

ب-الشريعة تتفق مع العقول السليمة.

لاشك أن العقل السليم إذا تأمل ما أتت به الشريعة الإسلامية من أحكام في شتى مجالات الحياة عموماً يعلم أنها شريعة ربانية عظيمة إذ كيف يستطيع رجل واحد أمي لا يقرأ ولا يكتب في بيئة بدوية أن يأتي بهذه التشريعات العظيمة في جميع مجالات الحياة وكذلك إذا تأمل أحكام وتشريعات الإسلام بشيء من التفصيل علم العقل السليم أنها صالحة لكل زمان ومكان ومحققة للعدل والأمن يقول المستشرق الروسي د/ ليونيد سوكياني: « .. أنا لا أشك في أن التشريع الإسلامي صالح لكل زمان ومكان »[1].

ويقول م. ج دروان: « على صعيد القانون في مجال العدل والإنسانية وفي مجال الحكمة والشفقة فإن قانون الإسلام لا مثيل له بين أديان العالم فهو يحدد واجبات الفردتجاه أقاربه وذويه وجيرانه وعائلته وتجاه المجتمع والأمة التي ينتمي إليها. والقانون في الإسلام واسع اتساعاً لا سبيل معه إلى شرحه في بضعة سطور وسأكتفي بإبراز صفتين من صفاته تُحققان الغرض المطلوب في هذه العجالة فالدعامة الأولى للقانون الإسلامي تتمثل في أنه يقوم على أساس من المساواة والضمير الحي وليس على أي اعتبارات عقلية غريبة عليه وهذا يعني تناسبه وانسجامه مع تغير الزمان وصلاحيته لكل وقت، وهذه صفة كامنة فيه وبذلك فهو جديد وحديث لا يبلى بمرو الزمن ولا يمكن أن يصبح قديماً أو أن يعفي عليه الدهر.

وأما الصفة الثانية فهي أن القانون الإسلامي لا يقيم وزناً للأشخاص والذوات الشخصية ولا يعترف بأية امتيازات أو طبقات أو تمييز بسبب المولد أو الغنى أو المكانة»[2].

---

(١) مجلة البيان رقم العدد (١٤١).

(٢) قالوا عن الإسلام ص(١٧٤).

ويقول د/ إيزكوا نساباتو: « إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوروبية بل هي التي تعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً »[١].

فهؤلاء عقلاء من غير المسلمين أو ممن أسلم بعد ذلك يؤكدون على أن الشريعة المطهرة صالحة وعظيمة.

ثانيها: أن الإسلام يقوم على العقيدة والشريعة أو كما يُقال الإسلام دين ودله، وسبق أن تحدثت في المبحث السابق عن علاقة التشريع بالعقيدة فكما أن المسلم ملزمٌ بالالتزام بالإسلام كعقيدة وعبادات فكذلك هو ملزم بالالتزام بالإسلام كشريعة وأحكام في جميع مجالات الحياة وبذلك يحقق العبد معنى العبودية لله ﷻ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦] ولكنَّ أدعياء العصرنه أبوا إلا أن يفصلوا بين العقيدة والشريعة وبين الدين والدولة فقالوا إن الإسلام دين وأمه لا دين ودله[٢] مقلدين في ذلك اليهود يقول وليم غاي كار -الكاتب الأمريكي-: « وكان الهدف من إثارتها « أي فصل الدين عن الدولة » : إسقاط الخلافة الإسلامية لتهيئة الجو لإقامة دولة إسرائيل »[٣].

وقد استخدموا أساليب متنوعة لتحقيق هذا الهدف منها:

١-تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية يقول محمد عماره « كل الناس يعرفون أن سنة رسول الله ﷺ هي: قول وفعل وإقرار لكن كثيرين لا يعرفون ان للسنة النبوية تقسيماً آخر يميز فيها بين ما هو تشريع أي دين ملزم دائماً وأبداً، وبين ما هو غير تشريع لأنه يدخل في العادات البشرية والاجتماعية أو في السياسات المرتبطة بوقائع خاصة وملابسات ليس لها دوام ولا ثبوت »[٤].

---

(١) شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان د/ يوسف القرضاوي مكتبة وهبة ط٥، ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: كتاب الإسلام دين وأمه وليس ديناً ودولة جمال البنا، دار الفكر الإسلامي.

(٣) شبهات حول التشريع الإسلامي د/ محمد نبيل غنايم مكتبة المنار ص(٨٥).

(٤) الإسلام والتحديات المعاصرة د/ محمد عمارة (٩٥) نهضة مصر ط١، ٢٠٠٥.

وقال أيضاً « فالسياسة والحكم والقضاء وشؤون المجتمع ليست ديناً وشرعاً يجب التأسي والاهتداء بها في السنة من وقائع وأوامر ونواهي وتطبيقات لأنها أمور تقررت بناء على بينات قد نرى غيرها وعالجت مصالح هي بالضرورة متطورة ومتغيرة »[١].

وممن يرى هذا التقسيم د/ محمد سليم العوا حيث يقول: « وإذا كانت السنة هي ما أُثر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير فإن سننه عليه الصلاة والسلام على أنواع من حيث أثرها التشريعي أو من حيث اعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي. وللعلماء في هذه الأقسام أقوال أقربها وأخصرها ما قاله الإمام ولي الله الدهلوي من تقسيم سنن رسول الله ﷺ إلى قسمين: ما سبيله سبيل تبليغ الرسالة وفيه قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾﴾ [الحشر:٧] .

وثانيهما: ما ليس من باب تبليغ الرسالة وفيه ورد قوله ﷺ : (إنما أنا بشر مثلكم فإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر »[٢][٣] .

ويقول أيضاً: « ويلاحظ أن كون أغلب تصرفات الرسول مبناه التبليغ من قول القرافي في الأحكام وهو قول قد يصل الباحث على خلافه عند إمعان النظر في الصحيح من سنة رسول الله ﷺ بل الذي يغلب على الظن على أن أغلب المروي عنه في شؤون الدنيا -خارج نطاق العبادات والمقدرات والمحرمات- ليس من الشرع اللازم »[٤].

ويقول جمال البنا: « فلا يمكن في مثل هذا الموضوع الهام والمعقد -يقصد تطبيق الشريعة- أن نأخذ بأحاديث تقبل الاحتمال ولا تثبت صحتها على وجه القطع فضلاً عن إننا نرى أن السنة لا تستقل بالتحريم والتحليل وأن فيها مالا يعد تشريعاً وأنه ليس لها التأبيد الذي للقرآن »[٥].

---

(١) الإسلام والسلطة الدينية (١٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفضائل برقم (٢٣٦٢) (٤/ ١٨٣٥).

(٣) مجلة المسلم المعاصر العدد الافتتاحي شوال ١٣٩٤هـ، نوفمبر ١٩٧٤م ص(٣٢).

(٤) المرجع السابق ص(٤٨).

(٥) هل يمكن تطبيق الشريعة؟ جمال البنا ص(٣)، ط١، ٢٠٠٥، دار الفكر الإسلامي.

ويتضح من خلال النقول السابقة أن ما يخص السياسة والحكم والقضاء وشؤون المجتمع لا يكون شريعة يجب التأسي فيه بالنبي ﷺ لأنها صدرت عن الرسول ﷺ باعتباره بشراً غير معصوم وارتبطت بالمصلحة العامة في ذلك الوقت لتلك الفئة فلا تلزم غيرهم[1] ويرد عليهم بما يلي:

أولاً: إن هذا التقسيم حادث يستفصل عن المراد به فإن كان قصد المقسم أن ما ليس سبيله التشريع بمعنى أنه غير مطلوب فعله أو تركه سواءً على سبيل الجزم أو على غير سبيل الجزم فهذا غير صحيح فإن الأحكام التكليفية لا تقتصر على الواجب والمحرم والمندوب والمكروه بل منها المباح فالمباح حكم شرعي يقول العلامة د/ عبدالغني عبدالخالق: « فإن الأصوليين مجمعون على شرعيتها -أي الإباحة- إلا فريقاً من المعتزلة ذهب على عدم شرعيتها »[2].

وإن كان قصد المقسم بما ليس سبيله التشريع إخراج مسائل السياسة والحكم والقضاء والمعاملات من التشريع لأن الرسول ﷺ قالها بصفته بشراً لا رسولاً فهذه علمانية مقنعة هدفها فصل الدين عن شؤون الحياة وجعلها في يد الحاكم يحكم على وفق المصلحة التي يراها « فيكون لزاماً علينا عدم الالتفات إلى كافة النصوص الواردة في السياسة والحرب كأحكام الجماعة والإمامة والبيعة والسمع والطاعة وأحكام المحاربين والبغاة وأحكام المرتدين وأحكام اليهود والنصارى والمشركين وعامة أحكام دار الحرب ودار الإسلام وأحكام السلم من المعاهدات وضوابطها وكذلك أحكام الاجتماع وحفظ نظم الدولة ... وأحكام القضاء والشهادة... وكذلك أحكام النظام المالي وأحكام البيوع... وكذا يصبح مفهوم قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة:٤٩] وما شابهها من النصوص مفرغة تماماً وبلا مضمون بل ولا وجود لعملها البتة طالما أن

---

(١) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب لمحمد حامد الناصر ص(٢٢١) ط١، ١٤١٧هـ، مكتبة الكوثر، وانظر: غزو من الداخل جمال سلطان ص(٦١)، ط١، ١٤٠٨هـ، الزهراء للأعلام العربي، وانظر: العصريون معتزلة اليوم يوسف جمال ص(٥٣).

(٢) حجية السنة ص(٧٩) ط١، ١٤٠٧ المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

المقصود هو أن نعمل بما نرى نحن أنه المصلحة لا ما تراه النصوص »[١].

ثانياً: تؤكد الأدلة من القرآن والسنة على وجوب اتباع الرسول ﷺ دون قيد أو شرط فهي: أدلة عامة في جميع أحواله إلا ما دل الدليل على اختصاصه به ﷺ كالو صال في رمضان وحل أكثر من أربع من النساء وأما ما عدا ما ورد فيه الاختصاص يبقى اتباعه فيه هو الأصل قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر:٧] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

وقال ﷺ من حديث أبي هريرة: (ما نهيتكم عنه فانتهوا وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم)[٢].

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه كان يكتب كل ما سمع من النبي ﷺ فقال له بعض الناس إن رسول الله ﷺ يتكلم في الغضب فلا تكتب كل ما تسمع فسال النبي ﷺ عن ذلك فقال: «اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج من بينهما إلا حق يعني شفتيه »[٣].

ثالثاً: إن عمل الصحابة هو المرجع للأمة بعد الوحيين لأنهم عايشوا التنزيل وعلموا المراد منه وطبقوا ما فيه وذلك قبل ظهور الاختلاف والفرق والمذاهب الكثيرة فكان عملهم هو المرجع المطلوب من التأسي به والنبي ﷺ يؤكد هذا الأمر بقوله (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم..)[٤] وهذه الخيرية إن لم تكن في الإيمان والعمل فلا أدري ماهي؟ فَحِرصُ الصحابة على أتباع الرسول ﷺ في أقواله وأفعاله مشهور ومعلوم بل كانوا يتبعونه في مأكله وملبسه ويقتدون به في ذلك فكيف في جانب التشريع والأحكام والأقضية؟ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من

---

(١) غزو من الداخل جمال سلطان ص(٦١-٦٢) بشيء من التصرف ط١، الزهراء لإعلام العرب.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل برقم (١٣٣٧) (٤/ ١٨٣٠).

(٣) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٦)، وصححه الألباني في صحيحه جـ٤ ص(٤٥) برقم (١٥٣٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (٢٥٣٣) (٤/ ١٩٦٢).=

ذهب فقال النبي ﷺ (إني اتخذت خاتماً من ذهب) فنبذه وقال: (إني لن ألبسه أبداً فنبذ الناس خواتيمهم)[١] وكان ابن عمر ﷺ يحب أن يتأسى بالنبي ﷺ في جميع أفعاله[٢].

وأما في جانب الحكم والأقضية فقد بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن وقال له: « بم تحكم؟ » قال: بكتاب الله تعالى قال: « فإن لم تجد » قال: فبسنة رسول الله ﷺ قال: « فإن لم تجد » قال: اجتهد رأيي قال: « الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسول الله »[٣] فدل ذلك على أن الصحابة كانوا لا يتجاوزن كلام الله أو كلام رسوله ﷺ في شيء أبداً.

رابعاً: أن منهج القوم مبنيٌ على تقديم العقل على النص الشرعي فوافقوا بذلك المعتزلة فخالفوا بذلك منهج الصحابة القائم على التسليم والانقياد ولله ورسوله ﷺ ويكفي ذلك في رد ما قرروه.

٢-ربطهم الشريعة بالمقاصد العليا -وهذا حق- ولكنهم جعلوا نصوص الوحي وسائل مقيدة بزمن الرسول ﷺ وأنها قابلة للتغيير بما يتوافق مع المقاصد العليا للشريعة يقول محمد عمارة « نحن مطالبون حتى نكون متبعين للرسول بالتزام سننه التشريعية- أي تفسير القرآن- لأنها دين أما سننه غير التشريعية ومنها تصرفاته في السياسة والحرب والسلم والاجتماع والقضاء ومثلها ما شابهها من أمور الدنيا، فإن اقتداء نابه يتحقق بالتزامنا المعيار الذي حكم تصرفه ﷺ فهو كقائد للدولة كان يحكم منها على النحو الذي يحقق المصلحة للأمة فإذا حكمنا كساسة بما يحقق مصلحة الأمة كنا مقتدين بالرسول

---

(١) صحيح البخاري « كتاب الاعتصام بالسنة » باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ، فتح الباري جـ١٣ ص(٢٨٨) برقم (٧٢٩٨).

(٢) جود إسناده المنذري في « الترغيب والترهيب » وصححه الألباني جـ١ ص(١٢٦) و ص(١٢٧)، صحيح الترغيب والترهيب.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الأقضية برقم (٣٥٩٢) (٣/ ٣٠٣)، وأخرجه الترمذي في كتاب الأحكام برقم (١٣٢٧) (٣/ ٦٠٧) وقد صحح الحديث الخطيب البغدادي في كتاب الفقيه والمتفقه (١/ ١٨٩)، وصححه الشوكاني في إرشاد الفحول ص(٢٢٧).

حتى ولو خالفت نظمنا وقوانينا ما روي عنه في السياسة من أحاديث لأن المصلحة بطبيعتها متغيرة ومتطورة »[١].

ويقول جمال البنا: « إن الصورة التي ستظهر بها الشريعة بعد التأسيس الجديد لمنظومة المعرفة الإسلامية ستكون مختلفة تماماً عن الصورة التي تبرزها المراجع المذهبية المقررة لأنها:

أولاً: ستعتبر أن تقرير الحرية -بوجه خاص- حرية الفكر والتعبير بمافيه من تاسيس للأحزاب والنقابات والهيئات والجمعيات والصحافة جزء لا يتجزأ من الشريعة أو أن ذلك هو الآلية التي يمكن أن نطهر بها الشريعة.

وثانياً: لأن الشريعة لن تأخذ التفسير الحروفي للنصوص ولكنها سنفهمها في ضوء مقصدين هما العدل والمصلح وهو ما قرره النابهون من الفقهاء وما تقضي به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية »[٢].

ويرد عليهم في هذه الدعوي بما يلي:

أولاً : أن الأحكام الشرعية الثابتة بنصوص من القرآن والسنة لا تتغير بتغير الزمان والحال إذا كانت الخصائص والاعتبارات واحدة مثل قتل العمد فإن الحكم فيه القصاص إذا لم يعف أولياء الدم فإذا تكررت هذه الحادثة في أي زمان وعلى أي حال يبقى الحكم هو هو لا يتغير ولا يبتدل.

أما إذا كانت الخصائص والاعتبارات مختلفة فإن الحكم يتغير لا لأن الزمان والحال تغير بل لأن الحادثة أصبحت حادثتين لكل واحدة منها حكمٌ يخصها مثال ذلك سهم المؤلفة قلوبهم أعطاهم الرسول ﷺ لما كان المسلمون في فترة ضعف ومنعهم لما قوي المسلمون.

ثانياً: إن إحداث خصام بين المصلحة ونصوص القرآن والسنة في باب السياسة

---

(١) الإسلام وقضايا العصر د/ محمد عماره ص(٢٥).

(٢) هل يمكن تطبيق الشريعة؟ جمال البنا ص(٧٧)، دار الفكر الإسلامي.

والمعاملات والعقوبات أمرٌ مرفوض لأن ما جاء به ربنا في كتابه العظيم وما جاء الرسول ﷺ به هما منبع المصلحة وأساسها فلا يتصور أن يخالف الله ويخالف رسوله ﷺ ما تم تقريره ونقول إن المصلحة يمكن أن تخالف النصوص الشرعية وبالتالي نقدم المصلحة على النص.

هذا منهج عقلي فيه اتهام للمشرع بالتناقض. ووجه ذلك كيف يأمر أو ينهي خلاف ما قرره من مصلحة فيضطر المفكر الكبير والعالم النابه أن يقدم المصلحة على ما قاله الله ورسوله ﷺ حتى يستقيم الشرع كما زعم.

يقول الشاطبي: « والمراد بالمصلحة عندنا ما فهم رعايته في حق الخلق من جلب المصالح ودرء المفاسد على وجه لا يستقل العقل بدركه على حال... فإذا لم يشهد الشرع باعتبار ذلك المعنى بل برده كان مردوداًباتفاق المسلمين »[1].

فالإمام الشاطبي يقرر أن المصلحة لا تخالف النصوص الشرعية وأن المصلحة التي لم يشهد لها الشرع بالاعتبار فإنها مردودة باتفاق المسلمين فكيف بالمصلحة التي تخالف النصوص؟

ثالثاً: إن مقاصد الشريعة العليا لا يمكن أن تخالف ما ورد في القرآن والسنة القولية والفعلية أبداً ومن يقدم المقاصد على النصوص فقد ادعى تناقض الشريعة فكل أقوال وأفعال الرسول ﷺ إنما هي تقرير وتطبيق للمقاصد العليا للشريعة تتفق ولا تختلف فالعدل مقصد عظيم من مقاصد الشريعة طبقه الرسول ﷺ فلا يمكن أن يكون من أقواله وأفعاله ﷺ ظلم وجور، فهؤلاء القوم اعتمدوا الفهم المقاصدي للإسلام بدل الفهم النصي فالنصوص يجب أن تفهم وتؤول على ضوء المقاصد -على حسب زعمهم- وأحياناً يقررون مقصداً مثل التسامح في الإسلام ويردون من أجله نصوص البراءة من الكافرين أو يحرفونها بما يتناسب مع هذا المقصد، ويقررون مقصد الحرية ويردون بسببه حكم الردة بحجة أنه يخالف المقصد العظيم وهو حرية الإنسان في معتقده وقس على

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي (٢/ ١١٣) دار المعرفة بيروت.

ذلك ما يطول ذكره ويعظم خطره.

ثالثاً: إن وجوب التحاكم إلى الشريعة من الإكراه على الحق المشروع[1] لأن الشريعة الربانية تحمل في طياتها إسعاد النفوس والحفاظ على الدين والعرض والمال والعقل بتقرير عقوبات زاجرة وهي في نفس الوقت رحمة للأفراد والمجتمعات فالشريعة الربانية غير متشوفة لتطبيق العقوبة بقدر ما هي متشوقة لإصلاح النفوس قبل معاقبة الأجساد ومن أجل ذلك كان الإكراه عليها والالتزام بها من المشروع والحق لما تحققه من غايات ومقاصد عظيم.

(١) سبق تقسيم الإكراه في الباب الثاني.

۞ المطلب الثاني: في حق غير المسلمين:

قامت الدولة الإسلامية على العدل والإنصاف ومن ذلك إنصافهم وعدلهم مع غير المسلمين ممن يخضع للدولة الإسلامية إذ منحتهم الشريعة حقوقهم كاملة غير منقوصة فحفظت لهم الأنفس والأعراض والأموال.

عن صفوان بن سليم[١] عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ عن آبائهم دينة عن رسول الله ﷺ قال: (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقاً فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه فأنا حجيجه يوم القيامة)[٢].

عن عبدالله بن عمرو قال قال ﷺ: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً)[٣].

وقد ارتقى المسلمون في تعاملهم مع غيرالمسلمين من العدل إلى الإحسان فقد مر عمر ﷺ بشيخ كبير يهودي يسأل الناس فأخذ بيده إلى منزله فرضخ[٤] له من المنزل بشيء ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر: هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إذ أكلنا شبيبته ثم نخذله في الهرم إنما الصدقات للفقراء والمساكين فالفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب ووضع عنه الجزية وضرباءه[٥].

---

(١) أبو عبدالله الحافظ الثقة الفقيه، حدث عن ابن عمر وأنس وجابر بن عبدالله وغيرهم من الصحابة، وثقه أحمد وعلي بن عبدالله، وكان كثير العبادة، زاهداً في الدنيا، مات عام ١٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء جـ٥ ص(٣٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (٣/ ١٧١)، برقم (٣٠٥٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١/ ٥١٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب إثم من قتل معاهداً فتح الباري (٦/ ٣١١) رقم (٣١٦٦).

(٤) أعطاه قليلاً. انظر: مختار الصحاح ص(١٠٣)، وأساس البلاغة ص(١٦٥).

(٥) كتاب الخراج لأبي يوسف ص(٢٥٩).

فهذا هو الإسلام دين العدل والسماحة واليسر، دينٌ يُعطى كل ذي حقٍ حقه ويحسن والله يحب المحسنين.

وأما مسالة التحاكم إلى الشريعة الإسلامية فالواجب أن يحكم بينهم بالشريعة الإسلامية لأنهم أفراد يعيشون في كنف الدولة الإسلامية إلا ما زعموا حله في دينهم كشرب الخمر وأكل الخنزير وما يتعلق بالزواج والطلاق فهذه المسائل وأمثالها لا يُجبرون فيها على التحاكم إلى الشريعة الإسلامية إلا إذا رغبوا فيحكم بينهم بالشريعة العادلة كما قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة:٤٢] قال ابن جرير: « فإن معناه: وإن اخترت الحكم والنظر يا محمد بين أهل العهد إذا أتوك « فاحكم بينهم بالقسط » وهو العدل وذلك هو الحكم بما جعله الله حكماً في مثله على جميع خلقه من أمة نبينا محمد ﷺ »[1]. ولأن المسلمين أقروهم على دينهم الباطل ولم يُكرهوا أحداً منهم على ترك دينه والدخول في الإسلام وذلك إذا دفعوا الجزية فكذلك في الشريعة فلا نجبرهم ولا نكرهم على التحاكم إلى شريعتنا العادلة مما هو في دينهم المحرف حلالاً أو حراماً إلا إذا تجاوز الأمر إلى الإعتداء على دين الإسلام أو الإفساد في الأرض أوالإخلال بأمن المجتمع المسلم من قتل وسرقة واعتداء على الأعراض فيجب في هذه الحالة أن يحكم فيهم بالشريعة المطهرة.

يقول ول ديورانت: « ... كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون[2] واليهود

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري (٤/ ٥٨٧).

(٢) الزوادشتية نسبة لمؤسساها في القرن السادس قبل الميلاد زرادشت بن بورشب وتسمى المجوسية لأن قبيلة المجوس من سكان بلاد فارس زمن زرادشت هي من أوائل من آمن بهذه الدعوة فانطبع اسمها عليها، وهي تعتقد بأن للعالم أصلين: نوراً وظلمة وهم يعبدون النيران وأما أصول دينهم فهي ستة: ١- التوحيد، ٢-الإيمان، نبوة زرادشت، ٣-العمل الحسن والقول الحسن والنية الحسنة، ٤-بقاء الروح، ٥- وجود الثواب والعقاب، ٦-المعاد في يوم القيامة، ولهم وجود في إيران. انظر: كتاب الديانة الزرادشتية لمؤلفه نوري إسماعيل، وكتاب الصابئة والزرادشتية واليزيدية لمؤلفه د/ أسعد السحمراني .

والصائبون[١] يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا تجد نظيراً لها في المسيحية في هذه الأيام فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم »[٢].

ويقول د/ قاسم عبده قاسم « لا شك في أن النظرية السياسية للدولة الإسلامية – أو حتى تطبيقاتها– لم تضع عقبات أمام رعاياها من غير المسلمين فقد أتاحت الدولة الإسلامية بمفهومها الديني لرعاياها من اليهود والنصارى قدراً كبيراً من الحرية داخل نطاق الدولة... وكان بطريق الطائفة الملكية ينظم الشؤون الداخلية لجماعته وفقاً لقوانين شريعتهم وكذا حددت الوثائق سلطات وواجبات بطريق اليعاقبة التي كانت تشمل تنظيم الشؤون الداخلية لجماعته بما في ذلك بيوعهم وفسوخهم ومواريثهم وأنكحتهم وفقاً لأحكام شريعتهم »[٣].

---

(١) الصابئة: تطلق على طائفة يعتقدون في الكواكب أنها تنفع وتضر لها وجود في العراق. انظر: الملل والنحل للشهرستاني جـ١ ص(١٧)، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ٤ ص(١٧)، وأصول الصابئة ومعتقداتهم لمؤلفه عزيز سباهي، دار المدى.

(٢) قصة الحضارة نقلاً عن كتاب قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل ص(٢٨٦) الندوة العالم للشباب الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ.

(٣) أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك ص(٩٨) بشيء من التصرف طبعه ٢٠٠٣م.

المبحث الثالث: علاقة الإكراه على الحق بوجوب إقامة الحدود

۞ المطلب الأول: الأمن وارتباطه بإقامة الحدود في الإسلام:

لقد جاءت الشريعة الإسلامية للحفاظ على أمن المجتمع فأوجبت من أجل ذلك الحفاظ على الضروريات الخمس وجعلت لمن يتعدى على واحدة منها عقوبة مقدرة لا يجوز فيها المحاباة ولا المجاملة فتطبق على الشريف قبل الوضيع وعلى الرئيس قبل المرؤوس وعلى القوي قبل الضعيف وعلى الغني قبل الفقير فقال ﷺ: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1].

وقال ﷺ: (تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني فقد وجب)[2]. فلم يجعل الرسول ﷺ للواسطة مجالاً -بعد بلوغ الحد للقاضي الشرعي وصدور الحكم بالتنفيذ- وذلك حتى يقطع الطريق أمام من يريد تعطيل الحدود لقوة سلطان وجاه أو لقرابة أو لمصلحة دنيوية.

والضروريات الخمس التي جاءت الشريعة بوجوب الحفاظ عليها هي:

١-حفظ الدين. ٢-حفظ النفس. ٣-حفظ النسل. ٤-حفظ المال. ٥-حفظ العقل وقد اتخذت الشريعة طريقان للحفاظ عليها وهما:

١-الطريق الأول الأمر بها فقال تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريعة (١٩٩٨) وأخرجه مسلم في كتاب الحدود باب قطع السارق الشريف وغيره.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٤٦٦) وأبو داود (٤/ ٤٣٩٤) والنسائي (٨/ ٦٩) وابن ماجه (٢/ ٢٥٩٥) واللفظ لفظ النسائي في سننه.

حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٥١-١٥٣].

فقد اشتملت هذه الآيات على الحفاظ على الضروريات الخمس وتفصيلها كالآتي:

١-جاء الأمر بحفظ الدين في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ .

٢-وجاء الأمر بحفظ النفس في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ .

٣-وجاء الأمر بحفظ النسل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ .

٤-وجاء الأمر بحفظ المال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ .

٥-وجاء الأمر بحفظ العقل في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إذ فاسد العقل لا يقوم بهذه الوصايا ولا يفهمها[1].

والطريق الثاني: تقدير عقوبة مقررة شرعاً لمن ارتكب ما يناقض هذه الضروريات من أجل الحفاظ على أمن المجتمع إذا الطريق الأول لمن كان في قلبه إيمان فمنعه إيمانه وخوفه من الله من التعدي على الدين أو النفس أو العرض أو المال أو العقل والطريق الثاني لمن ضعف إيمانه فتردعه العقوبة عن فعل الجريمة والتعدي على نفسه أو غيره.

---

(١) انظر: بتصرف حقيقة مقاصد الشريعة الإسلامية د/ محمد سعيد اليوبي ص(١٧٣) رسالة دكتوراة مصوره.

وتفصيل ذلك يتضح من خلال هذا العرض المختصر لهذه الضروريات وماقدره الشرع من عقوبات على المتعدي عليها:

١-حفظ الدين: شرع الإسلام عقوبة القتل لمن يرتد عن دينه بعد الإسلام ودليل ذلك قوله ﷺ: (من بدل دينه فاقتلوه) (١) وقوله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة) (٢).

والحكمة من ذلك أن هذا المرتد الذي عرف الإسلام حق المعرفة فعرف في الإسلام أنه دين الفطرة ودين العقل ودين العدل ودين التكافل الاجتماعي ودين الرحمة ودين الأخلاق ودين اليسر -فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها- فمن ارتد بعد أن ذاق طعم الإيمان ولمس عدل الإسلام وصفاء عقيدته ويُسر تشريعاته فهو أحد رجلين إما مجنون فهو معذور بجنونه أو صاحب هوى فيعاقب على ردته بقتله إذ لو ترك وشأنه لكان في ذلك إخلالاً بأمن المجتمع العقدي وتشكيكاً في صدق الإسلام وعدله وأنه الدين الحق فكان لزاماً اتخاذ العقوبة القاسية الرادعة تجاه هذه الجريمة الخطيرة التي لا تقتصر على صاحبها بل تتعداه إلى المجتمع وأمنه فهذا المرتد لابد أن يتربط بالدولة التي اعتنق دينها لأن الدين له تجاه صاحبه التزامات وحقوق فهذا المرتد يستحق القتل لأمرين:

١-أن في ردته تشكيكاً في الإسلام.

٢-أن فيه خيانة للدولة الإسلامية بالارتباط بدولة الكفر،ودول الكفر في قوانينها الوضعية من يخرج على سيادة الدولة برفض القوانين أو الانضمام لدولة أخرى يجعلون ذلك خيانة عظمى يستحق عليها عقوبة الإعدام فهل الذي يخرج على قوانين وضعية يستحق الإعدام والذي يخرج على القانون الإلهي العظيم لا يستحق الإعدام بل هي

---

(١) سبق تخريجه ص(٢٧٠).

(٢) سبق تخريجه ص(٢٧١).

حرية شخصية؟ تلك إذاً مقارنة غير عادلة.

٢-حفظ النفس: شرع الإسلام عقوبة القصاص لمن قتل نفساً معصومة عامداً متعمداً قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة:١٧٨-١٧٩].

وقوله ﷺ: (من قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يودى وإما أن يقاد)[١].

والحكمة من ذلك حفظ أمن المجتمع لأن المجتمع مكون من أفراد فإذا تم الحفاظ على نفوسهم وذلك أن يعلم القاتل يقيناً أنه سوف يكون تحت رحمة أهل الميت فإن ارادوا قتله قُتل وإن أرادوا أخذ الدية عفوا يكون ذلك رادعاً له على عدم التعدي على أرواح المعصومين يقول سيد قطب « والحياة التي في القصاص تنبثق من كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء فالذي يوقن أنه يدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد . كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عند وقوع القتل بالفعل شفائها من الحقد والرغبة في الثأر »[٢].

٣-حفظ النسل والعرض: شرع الإسلام عقوبات ثلاث للحفاظ على أنساب الناس وأعراضهم وهي: .

١-عقوبة الرجم للزاني والزانية المحصنين والدليل قوله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث رجل كفر بعد إسلام أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفساً بغير نفس)[٣].

٢-عقوبة الجلد مع التغريب للزاني والزانية غير المحصنين ودليل ذلك قوله تعالى:

---

(١) البخاري (١٢/ ٢١٣) برقم (٦٨٨٠)، فتح الباري ومسلم (١١/ ١٦٥) شرح النووي.

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب (١/ ١٦٥).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٧١).

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢].

وقوله ﷺ: (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة) [(١)].

٣-عقوبة القذف قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور:٤].

والحكمة من ذلك حفظ المجتمع المسلم من اختلاط الأنساب والتعدي على الأعراض لأن المسلم محترم ومكرم لا يجوز لأحدٍ أن يعتدي على أحد باللسان فكيف بالفعل؟ والشهوة في الإنسان إذا طغت عليه جعلته في رتبة البهائم وعطلت عقله فكان تشريع الحد زاجراً ليفكر بعقله لا بهواه ولكي يستقيم أمر المجتمع فلا تنتهك الأعراض وتختلط الأنساب، فإن صاحب الشهوة الحيوانية إذا علم أن نهاية شهوته إهلاك نفسه بالرجم انزجر وارتدع عن فعله وغلَّب عقله على شهوته، وإن علم أن نهاية شهوته الجلد والنفي والتشهير بين الناس كما قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ انزجر وارتدع عن فعله وغلَّب عقله على شهوته عند ذلك يستقر أمر المجتمع ويأمن أفراده على أعراضهم فلا يُتهموا بالزنى إذ المسلم عند ربه عزيز شريف ومن غلبت عليه نفسه فاتهم أخاه بالزنا بدون دليل شُرِعَ الحدُ الزاجر الرادع وهو الجلد ثمانين جلده « وإن تاب واكذب نفسه واسمع الناس إني كذبت فيما رميته به من الزنا فقد يتردد في أوهام العباد أن ما يقوله القاذف صدق وأن رجوعه عن هذا واكذابه نفسه كذب فلا يرتفع التردد بمجرد الإكذاب فلا بد من زاجر يزجره كيلا يقع في قلوب إخوانه من المسلمين أنه أتى بهذا القبيح والتحق بالبهائم فتغير بذلك فكان الزاجر هو الجلد وقطع اللسان » [(٢)]. عند ذلك فقط يأمن المسلم على عرضه فلا تلوكه الألسنة لأن حاسداً أراد أن يشيع عنه الفسق والمجون فإذا علم هذا القاذف أنه إذا لم يأت بالشهود أو كان هناك الاعتراف فإنه

---

(١) البخاري (١٢/ ١٢٨) فتح الباري مسلم (١١/ ٢٠٨) بشرح النووي.

(٢) محاسن الإسلام وشرائع الإسلام / أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن البخاري ص(٦٢) دار الكتب العلمية بيروت.

سوف يجلد ثمانين جلدة انزجر وارتدع وقُطع لسانه بسوط العدل عند ذلك فقط يطمئن الناس ويستقرأ من المجتمع وينشغل أفراده في بناءه وتنميته لأن الأمن والعدل والتقوى أسباب نهظة المجتمع المسلم والخوف والظلم والفجور أسباب تدهور المجتمعات عموماً.

٤-حفظ المال: شرع الإسلام عقوبة القطع لردع كل من يتعدى على مال الغير وذلك بشروط معروفة عند الفقهاء قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة:٣٨].

والحكمة من ذلك يوضحها ابن حجر فيقول: « قال المازري ومن تبعه: صان الله الأموال بإيجاب قطع يد سارقها وخص السرقة لقلة ما عداها بالنسبة إليها من الانتهاب والغصب ولسهولة إقامة البينة على ما عدا السرقة بخلافها وشدد العقوبة فيها ليكون أبلغ في الزجر »[1] . وقبل أن يقرر الإسلام عقوبة حد القطع على السارق أوجب على المجتمع بإفراده ومؤسساته المتنوعة توفير الكسب الحلال لكل أفراده بتوفير أسباب العمل لمن يستطيع العمل أو بدفع الزكاة والصدقات العامة وحقهم من بيت مال المسلمين لمن لا يستطيع العمل وبعد أن يتم توفير لكل فرد من أفراد المجتمع المسلم ما يحتاجه من ضروريات حياته من مسكنٍ ومأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ فلماذا يسرف السارق في ظل هذا النظام الإلهي العادل؟ إنه لا يسرق لسد حاجة وإنما يسرق تكثراً وطلباً لزيادة المال فلا رحمة وشفقة به بل تقطع يده كما اقتطع جزءاً من مال غيره بغير وجه حق وكان إقرار عقوبة حد القطع لهذا السارق حماية للمجتمع ولأفراده على أموالهم التي حصلوا عليها من حلال وأدوا ما وجب عليهم من حقوق فكان لزاماً الحفاظ عليها.

٥-حفظ العقل: شرع الإسلام جلد شاب الخمر ثمانين جلده ودليله حديث أنس بن مالك أن النبي ﷺ أتي برجل شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال: وفعله ابوبكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبدالرحمن بن عوف أخف الحدود ثمانين فأمر

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١٢/ ١٠٠) المكتبة السلفية ، ط٣.

به عمر »[1] فكان ذلك إجماعاً من الصحابة ﷺ أجمعين والحكمة من ذلك تتضح بجلاء في حماية أمن المجتمع من هذا الذي فقد عقله بشرب المسكر فأصبح يتخبط عشواء -وهو في حال سكره- فيتعدى على نفسه وعلى الآخرين بالأذى فيقتل ويزني ويضرب ويسب ويشتم ويتعدى على أموال الناس، لأنه بشربه المسكر فقد عقله ووعيه فكان لزاماً على الشريعة العادلة أن تشَّرع العقوبة الزاجرة لحفظ أمن المجتمع.

ومن خلال العرض السابق يتضح لكل عاقل أنه إذا تم تطبيق الحدود في المجتمع المسلم فإن الأمن ينتشر في أنحاء البلاد ويأمن الناس على أعراضهم وأموالهم وتحصل البركة لهم في أرزاقهم ولذلك ورد في الحديث (لحد يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحاً)[2].

لأن إقامة الحد تمنع الناس من تعاطي المحرمات وإذا تركت المعاصي كان ذلك سبباً في حصول البركات من السماء والأرض وعم الرزق والرخاء والأمن والأمان أرجاء البلاد، والمجتمع الذي يسود فيه الأمن مجتمع منتج يتفرغ أفراده للعمل والبذل لتنمية المجتمع إذ الخوف والظلم ينتج عنهما خراب المجتمع وتخلفه لأن أفراده همهم الأول والأخير توفير الأمن لهم ولأفراد أسرهم فلا إنتاج ولا عمل ونحن نرى اليوم أن المجتمعات المستقرة أمنياً مجتمعات منتجة بناءه واليابان مثالٌ حيٌّ على ذلك ونحن المسلمين أولى الناس بذلك إذ الإسلام عني عناية قوية بالحفاظ على أمن المجتمع بأمره بالحفاظ على ما جبلت عليه الفطر من الأعمال الفاضلة ومكارم الأخلاق وشرع العقوبات المقدرة لمن خالف وأراد زعزعة أمن المجتمع المسلم فحث الإسلام على الوقاية قبل العلاج وجعل للعقوبة شروطاً صعبة التطبيق إلا في حق المستخف بأمن المجتمع المجاهر بمعاصيه المرتكب لأبشع الجرائم دون حياءً ولا خوفٍ من الله فالإسلام لا يتشوق إلى تطبيق العقوبة بقدر ما هو حريص على إصلاح النفوس وغرس القيم

---

(١) رواه مسلم (١١/ ٢١٥) شرح النووي.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب قطع السارق في الترغيب في إقامة الحد برقم (٤٩٠٤-٤٩٠٩) (٨/ ٧٥)، وابن ماجه في سننه برقم (٢٥٣٨) (٢/ ٨٤٨).

الأخلاقية في قلوب المسلمين إن المجتمع الذي تطبق فيه الحدود الشرعية دون موارة ولا محاباةٍ مجتمعٌ يسود فيه الأمن القلبي المعبر عنه بالطمأنينة والسعادة والراحة النفسية إذا الظلم يورث القلق والاضطراب والتعاسة والعدل يورث الراحة والطمأنينة والسعادة إن المجتمع الذي تطبق فيه الحدود الشرعية دون موارة ولا محاباة مجتمع يأمن فيه الضعيف من تعدي القوي ويأمن فيه القوي من جنوح نفسه وغلبت شهوته وتسلط هواه إنه مجتمع يطمح إليه وإلى الإنتماء إليه كل إنسان ينشد العدل والسعادة.

يقول د/ محمد حسين الذهبي « إن الحق أحق أن يتبع ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها لقد كان تطبيق الإسلام تطبيقاً كاملاً هو أساس هذا الصلاح وما حدث مره يمكن أن يتكرر من جديد.

فهل نفيء إلى ربنا ونراجع واقعنا على أضواء من ديننا؟

لو قد حدث وصدقنا الله والنفس لأقدمنا سراعاً نطبق شريعة الله ونقيم حدوده مطمئنين على نتيجة محتومة لاشك فيها وهي النعمى بحياة طيبة آمنة »[1].

---

(١) أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع ص(٧٤) مكتبة وهبة ط٢، ١٤٠٧هـ.

۞ المطلب الثاني: الإكراه على الحق وارتباطه بإقامة الحدود:

إن مفهوم العبودية لله يتمثل في الخضوع الكامل له ﷻ في جميع نواحي الحياة ومنها إقامة الحدود التي شرعها العلي الحكيم العليم بما ينفع العباد وما تستقيم به أحوالهم وتطمئن به نفوسهم وتكبح به شهواتهم إنه تشريع إلهي من أخذ به حقق العبودية الكاملة لله تعالى ومن رفضه فإنه لا بد أن يُعبِّد نفسه لغير الله فيحل ما أحله البشر ويحرم ما حرمه البشر خلاف ما أحل الله وحرمه وتلك عبادتهم.

إن البشر لا بد لهم من عقوبات زاجرة وتنظيمات تسير حياتهم وهذا أمرٌ يتفق عليه جميع عقلاء الأرض وهذه العقوبات لابد أن تكون ملزمة يتم تطبيقها بالقوة على مقترف الجريمة ولابد أن تكون مؤلمة حتى تحقق المقصود الأعظم منها وهو استقرار حال المجتمع وإقامة العدل وإنصاف المظلوم والظالم فتكون هذه العقوبات زواجر وجوابر.

فجميع الدول في هذا العالم لابد لكل دولة من قانونٍ تُجرم من خلاله وتُعاقب وتُلزم وتُكره الأفراد على قبوله دون نكير من أحدٍ ولا اعتراض لأن العقلاء يعلمون أن المجتمع الذي لا تتوفر فيه قوانين منظمة وعقوبات زاجرة مجتمع تسوده الفوضى وينتشر فيه الظلم ويعمه الخوف وتكثر فيه الجريمة لأن الرادع مفقود والإيمان عند البعض ضعيف فهو مجتمعٌ وهي دولةٌ لا يمكن أن يستقر لها حال وتضيع فيها الأخلاق ويقل بل قد ينعدم الإنتاج والتنمية فعرف العقلاء أن الناس لا يمكن أن يساسوا إلا بقوانين منظمة وعقوبات زاجرة ملزمة لكل فرد من أفراد المجتمع البشري وخالق البشر هو أعلم بما يُصلح حالهم وتنزجر به نفوسهم فمن باب أولى الإلتزام بشريعة الله وترك شريعة البشر لأن أحوالهم لا تصلح أبداً إلا باتباع شريعة العالم بأحوالهم العادل في أحكامه وهو الله العلي العظيم قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت:٤٦] وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام:١١٥] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف:٢٩] وقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ

وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل:٩٠].

إذاً تطبيق الحدود في الإسلام له ارتباط كبير بالعقيدة -كما سبق تقريره في ا المبحث الأول من هذا الفصل - وبالتالي الإلتزام بتطبيق الحدود أمرٌ لا مجال للاختيار فيه بل هو ملزم للحاكم والمحكوم وهو من الإكراه على الحق المشروع وفيه تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى.





علاقة الجهاد ونتائجه بالإكراه على الحق

وفيه أربعة مباحث : -

- المبحث الأول: مشروعية الجهاد في الإسلام.
- المبحث الثاني: القتال في الإسلام لتبليغه والدفاع عنه.
- المبحث الثالث: الأحكام الناتجة عن الجهاد.
- المبحث الرابع: علاقة الجهاد بالإكراه على الحق.

المبحث الأول: مشروعية الجهاد في الإسلام

وفيه ثلاث مطالب:

۞ المطلب الأول: في مفهوم الجهاد:

الجهاد في الإسلام هو قتال الكفار قال ابن حجر: « بذل الجهد في قتال الكفار »[١] وقال غيره: « الدعاء إلى الدين الحق وقتال من لم يقبله »[٢].

وقال الآخر: « قتال الكفار لنصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله »[٣].

فالجهاد في الإسلام عند الإطلاق يقصد به قتال الكفار حتى يخضعوا لسلطات المسلمين، وأما عند التقييد فبحسب ما قُيد به كما قال ﷺ: « المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »[٤]. وقوله ﷺ فيمن استأذنه للجهاد: « أحي وَالِدَاكَ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد »[٥].

وهذا المفهوم لمصطلح الجهاد في الشرع هو المفهوم الذي لا يجوز تبديله أو تحريفه فالجهاد هو قتال الكفار لإعلاء كلمة الله وإخضاع الكافرين لسلطة المسلمين أما تحريف معنى الجهاد إلى جهاد النفس وأنه هو الجهاد الأكبر أي حصر مفهوم الجهاد عند الإطلاق في جهاد النفس وإهمال أو ترك جهاد الكفار خطأ في الفهم ثم إن من جاهد نفسه الجهاد الحقيقي لابد أن تقوده إلى جهاد الكفار باليد والسيف لأن حظوظ النفس تضمحل ويتعلق المجاهد بربه ويسعى إلى لقائه ويكون أسرع إلى طاعةِ الله ورسولِهِ والمبادرة إلى أعمال الخير وأعظمها كما دل القرآن والسنة هو جهاد وقتال الكافرين لنصرة الدينِ.

---

(١) فتح الباري (٦/ ٥).

(٢) حاشية رد المختار لابن عابدين (٤/ ١٢١).

(٣) إرشاد الساري (٥/ ٣١).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢١) وقال محقق زاد المعاد وسنده جيد (٣/ ٦).

(٥) صحيح البخاري (٤/ ١٨).

۞ المطلب الثاني: الجهاد في آيات القرآن العظيم.

ورد في القرآن العظيم كلمة الجهاد التي تدل على قتال الكفار ووردت كذلك كلمة القتال التي تدل بكل وضوح على قتال أعداء الدين، وسوف أتناول هاتين الكلمتين من خلال سياقهما في بعض آيات القرآن العظيم:

« وردت كلمة الجهاد في القرآن العظيم على ثلاثة معانٍ:

١-الجهاد بمعنى القول، أي مجاهدة أعداء الدين الحق بالقول والحجة القوية كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝﴾ [الفرقان:٥٢] وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ [الرعد:٧٣] أي جاهد المنافقين بالقول والحجة.

٢-الجهاد بالسلاح وقتال أعداء الدين الحق قال تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء:٩٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝﴾ [الحجرات:١٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝﴾ [التوبة:٢٠] وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ [التوبة:٣٥].

٣-الجهاد بمعنى العمل كقوله تعالى: ﴿وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ﴾ [العنكبوت:٦] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝﴾ [العنكبوت:٦٩] (١) ولاشك أن من جاهد نفسه على طاعة الله قاده جهاده لنفسه إلى جهاده بنفسه في سبيل الله.

وأما كلمة القتال فقد وردت في القرآن لمعنى واحد وهو حمل السلاح للقتال ودفع العدو بقوة السلاح كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ

---

(١) الوجوه والنظائر لأبي عبدالله الدامغاني (١/ ٢٣٢) بتصرف يسير.

وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ [آل عمران:١٢١]، وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة:١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة:١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة:١٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف:٤].

وهناك آيات كثيرة لا يتسع المقام لحصرها تدل على مشروعية الجهاد وفضله وأنه سبب المغفرة والتمكين في الأرض وسبب الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ومن أجل ذلك أوجبه الله على عموم الأمة الإسلامية وكتبه عليهم لحفظ بيضة الإسلام وحماية المسلمين من تسلط الأعداء والحاقدين.

المطلب الثالث: الجهاد في السنة النبوية الصحيحة:

١-عن أبي ذر ﷺ قال: سألت النبي ﷺ : أي العمل أفضل؟ قال: « إيمان بالله وجهاد في سبيله... »[١] قال ابن حجر « وفي الحديث أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان »[٢].

٢-عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد قال: لا أجده قال: هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك قال أبو هريرة إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات »[٣].

٣-عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قيل يا رسول الله أي الناس أفضل فقال ﷺ مؤمن مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قالوا ثم من قال مؤمن في شعب من الشعاب يتقى الله ويدع الناس من شره »[٤].

٤-قالَ ﷺ : « رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما عليها »[٥].

٥-قال ﷺ : « إن أبواب الجنة تحت ظلالِ السيوف »[٦] عن أبي موسى الأشعريِّ.

٦-وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « لغدوة في سبيل الله أو روحة خيرٌ من الدنيا وما فيها »[٧].

---

(١) البخاري رقم (٢٥١٨)، ومسلم رقم (٨٤).

(٢) فتح الباري (٥/ ١٤٨).

(٣) صحيح البخاري (٤/ ٢٠٠) ومعنى يستن: يمرح وينشط. والطول: الحبل الذي تُشَدُّ به الدابة . انظر: فتح الباري (٦/ ٤).

(٤) صحيح البخاري (٤) رقم (٢٠١).

(٥) صحيح البخاري رقم (٢٨٩٢) فتح الباري (٦/ ٨٥).

(٦) مسلم رقم (١٩٠٢).

(٧) صحيح البخاري (٦/ ١١) ومسلم رقم (١٨٨٠).

فهذه جملة من الأحاديث التي تدل على فضل الجهاد ومكانته من أقواله ﷺ وأما أفعاله فحاله في الجهاد متواتر فقد جاهد بنفسه وماله وفي سيرته أعظم مما يمكن أن يقال فهو ﷺ قدوة للأمة في أقواله وأفعاله.

المبحث الثاني: القتال في الإسلام لتبليغه والدفاع عنه

إن الغاية والهدف من إرسال الرسل وآخرهم محمد ﷺ هو ما ذكره الله ﷻ في محكم آياته: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥] فتحقيق العبودية لله هو الهدف والغاية من إرسال الرسل وتحقيق العبودية لله في أعظم وأشمل صورها عبودية الفرد والجماعات عبودية العقيدة والشريعة، عبودية الاقتصاد والفكر والثقافة عبودية شاملة لجميع نواحي الحياة، فالذي يملك السعادة والخير عليه أن يسعى بكل الوسائل لإسعاد غيره ونشر الخير بكل وسيلة يرى أنها تحقق غايته فالطبيب هدفه شفاءُ المريضِ من دائِهِ فيسعى للوصول لهذا الهدف بكل وسيلة يرى أنها ناجعة ومفيدة للمريض، وإن كان فيها ما لا يحبه المريض ويكرهه، ولكنَّ طريق الشفاء لا يكون إلا عن طريق إكراهه على ما لا يريده فالكي بالنار علاج وشرطة المحجم علاج، والفصد علاج مع ما فيها من الألم والقسوة في الظاهر ولكنها رحمة في الباطن بهذا المريض الذي لو ترك لقضى عليه المرض وأهلكه، فكذلك الجهاد في الإسلام وسيلة لتحقيق العبودية لله يتدرج فيه الداعي عبر مرحلية عادلة فجهاد اللسان والبيان كما قال تعالى: ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢]،وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] ثم إذا لم تُحقق هذه المرحلة هدفها ينتقل الداعي إلى الله إلى المرحلةِ الأصعبِ والأشد وهي مرحلةُ القِتَالِ قالَ تعالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التحريم:٩] وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٣] وقوله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم

وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »[١] وقال ﷺ عن ربه أنه قال: « إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت ربي إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزوهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله وقاتل بِمَنْ أطاعك من عصاك »[٢].

ولا بد أن يكون في الجهاد آلام ولكنها آلام تتبعها السعادة الأبدية لمن جاهد من المسلمين فإما الشهادة وإما النصر، ولمن جُوهد من أهل الكفر بالنجاة من النار ودخول الجنة إذا دخل في الإسلام أو البقاء على دينه وهو ينعم بعدل الإسلام وسماحته وكرمه، فكيف يُقال إن الإسلام لا يقاتل إلا من قاتلَهُ وهل هناك أعظمُ من الاعتداءِ على الله بالكفر والشرك والإلحادِ؟ إن الاعتداء على الله بالكفرِ والشركِ أعظم من الاعتداء على الأرض والعرضِ والدمِّ فكيف يقول مسلم: « إن الجهاد في الإسلام لا يكون وسيلة لتبليغ هذا الدينِ وإزاحة النظامِ الظالمِ الذي يمنع الناسَ من تحقيقِ العبودية في ظل عدل الإسلام وسماحته وشموله » .

وهذه البدعة المنكرة لم يقلها أحد من علماء المسلمين المعتبرين وأول ما ظهرت فيما أعلم على أيدي تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة التي من أ شهر رجالها: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، وتلاميذ هذه المدرسة أُعجبوا بما عند الغرب من مفاهيم في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية فبذلوا قصارى جهودهم ليوضحوا للناس أن هذه المفاهيم موجود مثلها وأفضل منها في الإسلام ولقد كان أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين يحملون على الإسلام حملة شعواء قِوامها أن الإسلام انتشر بالسيف بينما انتشرت المسيحية بالمحبة والسلام فأراد هؤلاء أن ينفوا التهمة عن الإسلام فقالوا: إن الإسلام لا يستخدم السيف إلا للدفاع فحسب وقد غاب عن أذهانهم الفرق بين أهداف الجهاد في الإسلامِ وأهداف الحروبِ الأخرى التي يعرفها الناس في

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) صحيح مسلم مع شرح النووي (١٧/ ١٩٨).

جاهلياتهم والتي عرفتها أوروبا في تاريخها كله »[١].

« وأما القول بأن القتال أو الجهاد للهجوم فهذه مقولة عصرية في الحقيقة ولم يوجد في كتب السلف ما يشير إليها ولكنها موجودة فقط في كتب المستشرقين وأكبر دليل على ذلك هو إجماع الفقهاء على أن الجهاد له حكمان: الأول: أن يكون الجهاد فرض كفاية وذلك حينما لا يكون هناك عدوان ومعنى ذلك أن يكون واجباً على الأمة والثاني: أن الجهاد يكون فرض عين حينما يكون هناك عدوان فالعدوان يحول الجهاد من فرض كفايه إلى فرض عين، وهذا التقسيم معروف عند الفقهاء جميعاً ولا يوجد من الفقهاء من يناقش فيه »[٢].

ومما يؤكد هذا ما سنذكره من نقول عن فقهاء الأمة من كل مذهب:

أما الشافعية يقول الغمراوي في شرحه على متن المنهاج: « وكان الجهاد في عهد رسول الله ﷺ » بعد الهجرة « فرض كفاية وقيل عين » وأما قبل الهجرة فكان ممنوعاً منه ومأموراً بالصبر على أذاهم وأما بعده « فللكفار حالان. أحدهما يكونون ببلادهم » غير قاصدين شيئاً من بلاد المسلمين « ففرض كفاية إذا فعله من فيه كفاية » ولو من غير أهل الفرض كالنساء والمراهقين « سقط الحرج عن الباقين » فإن تركه الكل أثموا إلا المعذورين بعذر من الأعذار الآتية: وأقل الجهاد مرة في السنة، ويحصل الفرض بشحن الثغور بمن فيه كفاية وتحصينها »[٣].

وأما المالكية فيقول ابن شاس في عقد الجواهر: « والأصل في وجوبه على الكفاية قاله القاضي أبو محمد ووجه القيام به أن تحرس الثغور وتغمر وتحفظ بالمنعة والعدد ولا تجوز المهادنة إلا لضرورة تدعو إليها » وقال الشيخ أبو عمر بن عبدالعزيز يجب على

---

(١) الجهاد في الإسلام (٣١٨-٣١٩) د/ علي بن نفيع العلياني.

(٢) مجلة المسلم المعاصر العدد (١٠٧) السنة السابقة والعشرون ص(١٤٢) د/ محمد نعيم ياسين وذلك في مداخلته في ندوة بعنوان مؤسسات الجهاد والدعوة في الدول الإسلامية تقديم د/ جمال الدين عطية.

(٣) السراج الوهاج شرح شرح الشيخ / محمد الزهري الغمراوي على متن المنهاج لشرف الدين يحي النووي دار الجيل بيروت، لبنان، ص(٥٤٠).

الإمام إغزاء طائفة إلى العدو في كل سنة مرة يخرج معهم بنفسه أو يُخرج معهم من يثق به ليدعوهم إلى الإسلام ويرغبهم ويكف أذاهم ويظهر دين الله عليهم ويقاتلهم حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية » ... وقد يتعين الجهاد في بعض الأحيان ولتعينه سببان:

١-أمر الإمام بالخروج إلى الغزو فمن عينه بأمره تعين عليه الخروج.

٢-أن يفجأ العدو قوماً لهم قوة على مدافعته فيتعين عليهم دفعه ومقاتلته »(١).

وأما الأحناف فيقول الميرغيناني في الهداية: « الجهاد فرض على الكفاية إذا قام به فريق من الناس سقط عن الباقين أما الفرضية فلقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦] ولقوله ﷺ: « الجهاد ماض إلى يوم القيامة » وأراد به فرضاً باقياً وهو فرض على الكفاية لأنه ما فرض لعينه إذا هو إفساد في نفسه وإنما فرض لإعزاز دين الله ودفع الشر عن العباد.. ولا يجوز أن يقاتل من لم تبلغه الدعوة إلى الإسلام إلا أن يدعوه لقوله ﷺ في وصية أمراء الأجناد: « فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله » ولأنهم بالدعوة يعلمون أنا نقاتلهم على الدين لا على سلب الأموال وسبي الذراري »(٢).

وأما الحنابلة فيقول ابن قدامة في المغني « والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الْبَاقِينَ » معنى فرض الكفاية الذي إن لم يقم به مَنْ يكفي أثم الناس كلهم وإن قام به من يكفي سقط عن سائر الناس... ومعنى الكفاية في الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يكفون في قتالهم.. ويتعين في ثلاثة مواضع أحدها إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.. الثاني، إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم.. الثالث إذا استنفر

---

(١) عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة: تأليف جلال الدين عبدالله بن نجم بن شأس ت د/ حميد بن محمد الحمر دار الغرب الإسلامي (١/ ٣١٥).

(٢) الهداية شرح بداية المبتدي/ شيخ الإسلام برهان الدين أبي الحسين المرغيناني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠ (٢/ ٤٢٦-٤٢٧).

الإمام قوماً لزمهم النفير معه »[١] .

وقال الإمام الجصاص[٢]: « لا نعلم أحداً من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في خطره » [٣].

فهذه أقوال فقهاء الأمة حول حكم الجهاد وتقسيمه إلى جهاد فرض وكفاية ولم يتطرقوا إلى الدفاع والهجوم مما يؤكد بدعية هذه المقولة التي ظهرت في فترة ضعف المسلمين وتسلط الكفار عليهم وقد تمسك المقسمون الجهاد إلى دفاع وهجوم بعدة شبه أذكر أهمها مع نقدها وهي:

الشبهة الأولى:

دعواهم أن سبب قتال الكفار هو الاعتداء فقط، وأن العلاقة بين الحكومة الإسلامية والحكومات الكافرة هي السلام لا الحرب واستدلوا على ذلك بعدة أدلة منها:

قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة:١٩٠] وقوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة:١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ﴾ [التوبة:٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال:٦١].

يقول الكاتب الإسلامي محمد عمارة « ولقد كان قتال الرسول ﷺ والغزوات التي غزاها والحروب التي وجه إليها صحابته كانت كلها تطبيقاً لذلك القانون الإلهي

---

(١) المغني لابن قدامة ت / عبدالله التركي، وعبدالفتاح الحلو، دار هجر للطباع والنشر (جـ١٣-٦-٧-٨) بتصرف.

(٢) هو أبو بكر أحمد بن علي الرازي، ولد عام ٣٠٥هـ وتوفي عام ٣٧٠هـ، إمام أهل الرأي في زمانه وأحد كبار أئمة الحنفية، من أهم مؤلفاته: أحكام القرآن والفصول في الأصول. انظر: تاريخ بغداد جـ٣ ص(٣١٤).

(٣) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٩١).

والبديهي والعقلاني: لا إيمان عن طريق الإكراه والقتال والجهاد الحربي: سياسةً وليس ديناً ولا مكان له في دنيا الإسلام وعالم المسلمين إلا إذا اعتدى المعتدون على حرية الدعوة وأمن المؤمنين وحركة الدعاة ووطن المسلمين »[١].

ويقول : « هكذا يذكر القرآن الكريم -عندما يتحدث عن القتال- إخراج المشركين للمؤمنين من ديارهم سبباً يجب من أجله القتال، وقضية يستنفر المؤمنين كي يقاتلوا لحلها حتى يستردوا وطنهم الذي اقتلعوا منه من تحت سلطان المشركين... وعندما جاء العام الثامن للهجرة قاد الرسول ﷺ فاستردوا الوطن الذي أخرجوا منه قبل ثماني سنوات .. فكان ذلك دليلاً آخر على أن القتال في الإسلام والجهاد الحربي هو سياسة ينهض العامل الوطني بالدور الأكبر في شرعيته ومشروعيته.. وليس سبيلاً لفرض الدين وغرس العقيدة وتحصيل الإيمان »[٢].

ويقول البوطي: « وما من آية نزلت في الجهاد القتالي إلا وترى فيها أوفي الآيات التي تحيط بها من قبل أو من بعد ما يبرز هذه العلة للقتال ألا وهي الحرابة أو القصد والتوثب للحرابة والقتال سواء كانت مما نزل في أول عهد المسلمين بالهجرة إلى المدينة أو في آخر حياةِ رسولِ الله وآخرِ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا »[٣].

ويقول محمد عبده: « فلقد كان المشركون يبدءون المسلمين بالقتال لأجل إرجاعهم عن دينهم ولو لم يبدءوا في كل واقعة لكان اعتداؤهم بإخراج الرسول ﷺ من بلده وفتنة المؤمنين وإيذائهم ومنع الدعوة كل ذلك كان كافياً في اعتبارهم معتدين، فقتال النبي ﷺ كله مدافعة عن الحق وأهله وحماية لدعوة الحق »[٤].

ويقُولُ آخَرُ: « إنَّ مشروعية القتال في الإسلام تستمد من سَبَبٍ واقِعِيٍّ عادل هو

---

(١) الإسلام والحرب الدينية محمد عمارة ص(٣١).

(٢) الإسلام والحرب الدينية محمد عمارة ص(٣٧-٣٩).

(٣) الجهاد في الإسلام د/ محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر ط١، ص(١٠٦).

(٤) الأعمال الكاملة لمحمد عبده (٤/ ٤٩٥) نقلاً عن كتاب الإسلام والحرب الدينية لمحمد عمارة ص(٦٦).

رد العدوان ودفعه فإذا وقع عدوان على الدولة الإسلامية وجب رده بعدوان « قتال » مثله تأمل معي قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة:١٩٠] فالقتال المأمور به هنا له ضابطان: الأول: أن يكون في سبيل الله فلا يكون لهدفٍ دنيويٍّ رخيصٍ، والثاني: أن يكون ضد من يقاتلوننا فعلاً فلا يكون ضد قوم لم يعتدوا علينا وإن كانوا ملحدين»[١].

ويقول آخر « فالحرب هنا لإعلاء دين الله الذي ارتضاه وليست للسيطرة ولا لِلاحْتِكَارِ ولا للغنائم والأَسلاب وهي للدفاع ورد الاعتداء »[٢].

ويقول آخر: « ومن هنا فإن الهدف الوحيد المسموح به للقتال في الإسلام هو الدفاع عن العقيدة أو عن النفس أو عن المُلك المشروع أي أنها في جميع الحالات حرباً دفاعية وفي غير هذه الحالات فإن الحياة الإنسانية مقدسة ولا يجوز المساس بها »[٣].

الرد على الشبهة الأولى: في هذه الشبهة جانبان: قصرهم الجهاد لرد العدوان والثاني دعواهم أن العلاقة سلمية لا حربية .

وأما عن الجانب الأول إن ما ذكره القوم من أدلةٍ وأحوال على عدم جواز قتال الكفار المسالمين ينطبق على مرحلةٍ من مراحل تشريع الجهاد، إذ مر الجهاد بمراحل أربع وهي:

١-المرحلة الأولى: مرحلة: الكف عن القتال والاتجاه إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة وهي في الفترة المكية ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ .... ﴾ [النساء:٧٧] « عن ابن عباس أن عبدالرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله إنا كنا في عزة ونحن مشركون

---

(١) افتراءات المستشرقين على الإسلام عرض ونقد د/ عبدالعظيم المطعني مكتبة وهبة ص(١٠٠).

(٢) سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفي المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ص(٤٨).

(٣) الجهاد جمال البنا دار الفكر ص(٥٧)، وانظر: في تأييد هذه المقولة كتاب التحديات التي تواجه العالم الإسلامي د/ توحيد الزهير دار الجميل ص(٦٧)، وكتاب الجهاد في الإسلام د/ عبدالحليم محمود دار المعارف ص(٢١).

فلما آمنا صرنا أذلة فقال: إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال فكفوا فأنزل الله هذه الآيات »[١] .

قال ابن كثير: « كان المؤمنون في ابتداء الإسلام وهم بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة وإن لَمْ تكن ذات النصب.. وكانوا يتحرقون ويودون لو أمروا بالقتال ليشتفوا من أعدائهم ولم يكن الحال إذ ذاك مناسباً »[٢].

وقال ﷺ -لما استأذنه أهل يثرب ليلة العقبة أن يميلوا على أهل مِنيٍّ فيقتلوهم- إني لم أومر بهذا »[٣].

وقال القرطبي: « ولم يؤذن للنبي ﷺ في القتال مدة إقامته بمكة »[٤].

وقال ابن حجر: « فأول ما شرع الجهاد بعد الهجرة النبوية اتفاقاً »[٥].

٢-المرحلة الثانية: إباحة القتال من غير فرض ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج:٣٨-٤٠].

عن ابن عباس قال لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليُهلكنَّ فنزلت ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـاتلُونَ بِـأَنَّهمْ ظُلِمُـواْ وإِنَّ الله عَـلى نَـصْرِهِمْ

---

(١) أسباب النزول للإمام الواحدي ص(١١١) والصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل بن هادي الوادعي ص(٧١) مكتبة ابن تيمية، والنسائي في سننه، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد جـ٦ ص(٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٧٩٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٦٢)، وابن هشام في سيرته (١/ ٤٤٠) والطيالسي في سمنده (٢/ ٩٣) وقال محققا زاد المعاد (٣/ ٤٨) وسنده صحيح.

(٤) تفسير القرطبي (٣/ ٣٨).

(٥) فتح الباري (٦/ ٤٥) كتاب الجهاد، باب وجوب النفير.

لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩] فعرفت أنه سيكون قتال، قال ابن عباس فهي أول آية نزلت في القتال»[1].

وورد عن ابن العربي قوله معنى « أذن » أبيح فإنه موضوع في اللغة لإباحة كل ممنوع وهو دليل أن الإباحة من الشرع »[2].

وقال السيوطي[3] عن هذه الآية: « هذه الآية مبيحة لا موجبة »[4].

المرحلة الثالثة: فرض القتال لمن يقاتلهم ويعتدي عليهم فقط ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢١٦].

قال الشافعي[5]: « ولما مضت لرسول الله مدة من هجرته أنعم الله تعالى فيها على جماعة باتباعه حدثت لهم بها -مع عون الله- قوة بالعدد لم تكن قبلها ففرض الله عليهم الجهاد بعد إذ كان إباحة لا فرضاً فقال تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢١٦].

قال ابن العربي: « اختلف الناس في هذه الآية:

فمنهم من قال: إنها نزلت في الصحابة وهم المخاطبون والمكتوب عليهم القتال قاله عطاءٌ والأوزاعيُّ.

---

(١) سنن النسائي كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد (٦/ ٢) وأخرجه الترمذي في جامعة كتاب تفسير القرآن (٥/ ٣٢٥) برقم (٣١٧١-٣١٧٢) وصحح الحديث العلامة أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد (٣ / ٢٦١) رقم (١٨٦٥) دار المعارف بمصر ١٩٥٠م ت/ أحمد محمد شاكر ص ( ) وصحح الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٧٩)، وفي صحيح سنن النسائي (٢/ ٦٤٦).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٣٠٠).

(٣) عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد المصري الشافعي (جلال الدين أبو الفضل) ولد عام ٨٤٩هـ في القاهرة ومات عام ٩١١هـ، عالم متفنن في جميع العلوم، ومن أهم مؤلفاته: الإتقان في علوم القرآن، والدر المنثور في التفسير بالمأثور. انظر: معجم المؤلفين لمؤلفه عمر رضا كحاله جـ٢ ص(٨٢) مؤسسة الرسالة .

(٤) الحاوي للفتاوي (١/ ٢٤٦).

(٥) كتاب الأم للشافعي (٤/ ١٦١).

الثاني: أنه مكتوب على جميع الخلق لكن يختلف الحال فيه فإن كان الإسلام ظاهراً فَهُوَ فَرْضٌ على الكِفَايَةِ، وإن كان العدو ظاهراً على موضع كان القتال فرضاً على الأعيان حتى يكشف الله تعالى ما بهم وهذا هو الصحيح »[١].

وقال ابن العربي عن قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة:١٩٠]

« إن الله سبحانه بعث نبيه ﷺ بالبيان والحجة وأوعز إلى عباده على لسانه بالمعجزة والتذكرة وفسح لهم في المهل وأرخى لهم في الطِّيل ما شاء من المدة بما اقتضته المقادير التي أنفذها.. والكفار يقابلونه بالجحود والإنكار.. والباري سبحانه يأمر نبيه ﷺ وأصحابه باحتمال الأذى والصبر على المكروه.. إلى أن أذن الله لهم في القتال.

فقيل: إنه أنزل على رسوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ﴾ [الحج:٣٩] وهي أول آية نزلت وإن لم يكن أحدٌ قاتل ولكن معناه أذن للذين يعلمون أن الكفار يعتقدون قتالهم وقتلهم بأن يقاتلوهم على اختلاف القراءتين ثم صار بعد ذلك فرضاً فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ ثم أمر بقتال الكل فقال: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة:٥]، وقيل: إن هذه الآية أول آية نزلت، والصحيح ما رتبناه لأن آية الإذن في القتال مكية وهذه الآية مدنية متأخرة »[٢].

وقال ابن تيمية: « فمن المعلوم من سيرة النبي ﷺ الظاهر علمه عند كل من له علم بالسيرة أنه ﷺ لما قَدِمَ المدينة لم يحارب أحداً من أهل المدينة بل وادعهم حتى اليهود خصوصاً بطون الأوس والخزرج فإنه كان يسالمهم ويتألفهم بكل وجه.. حتى حلفاء الأنصار أقرهم ﷺ على حلفهم »[٣].

المرحلة الرابعة: الأمر بقتال الكفار على اختلاف أديانهم ولو لم يقاتلوا المسلمين حتى يُسْلِمُوا أَوْ يَدْفَعُوا الجِزْيَة.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٢٠٥).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٤٤).

(٣) الصارم المسلول على ثاتم الرسول لابن تيمية ص(٩٩).

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٥]، وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣] قال ابن كثير عن معنى الفتنة: أي شرك قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ هو الظاهر العالي على سائر الأديان »[1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [التوبة:١٢٣] وهذه الآيات كلها في سورة التوبة ما عدا آية سورة البقرة.

قال ابن كثير عن سورة التوبة: « هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخاري: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول آخر نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾ [النساء:١٧٦] وآخر سورة نزلت براءة»[2].

قال ابن جرير عن قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ ﴾ [التوبة:٥] « ومعنى الكلام: فإذا انقضت الأشهر الحرم الثلاثة على الذين لا عهد لهم أو عن الذين كان لهم عهدٌ فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداء على رسول الله وعلى أصحابه أو كان عهدهم إلى غير أجل معلوم ﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يقول: فاقتلوهم ﴿ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ يقول: حيث لقيتموهم من الأرض في الحرم وغير الحرم في الأشهر الحرم وغير الأشهر الحرم... »[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٤١).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٩).

(٣) تفسير ابن جرير (١١/ ٢٤٣).

وقال ابن جرير عن الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ [التوبة:١٢٣] يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله قاتلوا من وليكم من الكفار دون من هو أبعدُ منهم. يقول لهم: ابدءوا بقتال الأقربِ فالأقربِ إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم لأنهم كانوا سكان الشام يومئذ والشام كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم مالم يُضطرَّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام فإن اضطروا إليهم لزمهم عونهم ونصرهم لأن المسلمين يد على من سواهم ولصحة كون ذلك كذلك تأول كل من تأول هذه الآية أن معناها إيجاب الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء.. قال ابن زيد في قوله ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣] قال: كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغ منهم فلما فرغ قال الله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة:٢٩] حتى بلغ: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٢٩﴾ [التوبة:٢٩] قال: فلما فرغ من قتال من يليه من العرب أمره بجهاد أهل الكتاب. قال وجهادهم أفضل الجهاد عند الله[1].

وهذا ابن جرير إمام المفسرين كلامه واضح بين لم يذكر الدفاع وإنما ذكر ابتداء الكفار بالقتال.

عن بريدة بن الحصين قال كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: « اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله .. »[2] قال الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث العظيم « قاتلوا من كفر بالله » ولم يقل قاتلوا من اعتدى عليكم والرسول ﷺ أفصح من نطق بالضاد. وقال ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا

---

(١) تفسير ابن جرير (١٢/ ٨٥-٨٦-٨٧-٨٩).

(٢) سبق تخريجه.

بحقها وحسابهم على الله »[(١)].

قال ابن تيمية: « فكان النبي ﷺ في أول الأمر مأموراً أن يجاهد الكفار بلسانه لا بيده فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتي هي أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝﴾ [الفرقان:٥١-٥٢] وكان مأموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ثم لما هاجر إلى المدينة وصار له بها أعوان أذن له في الجهاد ثم لما قووا كتب عليهم القتالُ ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم لأنهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار فلما فتح الله مَكَّةَ وانقطع قتال قريش ملوك العرب ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره الله تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة »[(٢)].

وقال ابن القيم: « فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار... رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح حتى قويت الشوكة واشتد الجناح فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرض عليهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝﴾ [الحج:٣٩] ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة:١٩٠] ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرماً ثم مأذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأموراً به لجميع المشركين وإما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفايةٍ على المشهور »[(٣)].

وقال الشافعيُّ: « .. ففرض عليه إبلاغهم وعبادته ولم يفرض عليه قتالهم وأبان ذلك في غير آية من كتاب الله.. ثم أذن الله ﷻ لهم بالجهاد ... ثم أذن لهم بأن يبتدوا

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (١/ ٧٤).

(٣) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٦٩).

المشركين بقتال قال الله ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ...﴾ [الحج:٣٩] وأباح لهم القتال بمعنى أبانه في كتابه فقال: ﴿وَقَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة:١٩٠] ولما مضت لرسول الله ﷺ مدة من هجرته أنعم الله فيها على جماعات باتباعه حدثت لهم بها مع عون الله ﷻ قوة بالعدد لم يكن قبلها ففرض الله ﷻ عليهم الجهاد بعد إذ كان إباحة لا فرضاً فقال تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦] [١].

وقال إمام الحنفية السرخسي: « وقد كان رسول الله ﷺ مأموراً في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين قال الله تعالى: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر:٨٥] وقال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦] ثم أمر بالدعاء إلى الدين بالوعظ والمجادلة بالأحسن فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل:١٢٥]. ثم أمر بالقتال إذا كانت البداية منهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ﴾ [الحج:٣٩] أي أذن لهم في الدفع وقال تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ﴾ [البقرة:١٩١] وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال:٦١] ثم أمر بالبداية بالقتال فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة:١٩٣] وقال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥] وقال ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » فاستقر الأمر على فرضية الجهاد مع المشركين وهو فرض قائم إلى قيام الساعة[٢].

وقال ابن رشد المالكي: « وأول ما بعث الله نبيه ﷺ بالدعاء إلى الإسلام من غير قتال أمره به ولا أذن له فيه ولا جزية أحلها له فأقام رسول الله ﷺ على ذلك عشر سنين وهي التي أقامها بمكة وحينئذ أنزل الله ﷻ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] وقوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ﴾ [المائدة:١٣] وقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ﴾ [البقرة:٢٥٦] وما أشبه ذلك من الآيات فلما هاجر ﷺ إلى المدينة أذن الله تعالى له وللمؤمنين

---

(١) أحكام القرآن للشافعي (٢/ ٩-١٩) نقلاً عن كتاب الجهاد للعلياني ص(١٤٥).

(٢) المبسوط للسرخسي (١٠/ ٢).

بقتال من قاتلهم وأمرهم بالكف عمن لم يقاتلهم فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج:٣٩] وقال تعالى: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:١٩١] وقال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء:٩٠] فكانت هذه سيرة رسول الله ﷺ والمسلمين منذ هاجر إلى المدينة إلى أن نزلت سورة براءة وذلك بعد ثمانٍ من الهجرة فأمره الله تعالى فيها قتال جميع المشركين من أهل الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون فقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩] وقال ﷺ في المجوس: « سنوا بهم سنة أهل الكتاب »[(١)] إلا من كان له عهد عند النبي ﷺ فإن الله أتمه له إلى مدته فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٤][(٢)].

وأما المراد بالنهي عن الاعتداء في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠] ذكر أهل العلم ثلاثة أوجه:

الأول: لا تقتلوا من لم يقاتل وعلى هذا تكون الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة:٣٦] وقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥] وممن قال بالنسخ بسورة « براءة » الربيع وابن زيد[(٣)] وأبو العالية وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم[(٤)].

الثاني: أي لا يقاتل إلا من قاتل وهم الرجال البالغون فالآية محكمة والنهي عن الاعتداء خاص بمن لم يقاتل من الذرية والنساء وممن قال بأن الآية محكمة عمر بن

---

(١) المقدمات الممهدات لابن رشد (١/ ٣٤٤- ٣٤٥).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٤٧).

(٣) تفسير ابن جرير (٣/ ٢٨٩-٢٩٠) وتفسير البغوي (١/ ٢١٣).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٣٩-٣٤٠).

عبدالعزيز قال ابن جرير: « عن يحي بن يحي الغساني قال: كتبت إلى عمر بن عبدالعزيز أسأله عن قوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠] قال فكتب إليَّ أن ذلك في النساء والذرية ومن لم ينصب لك الحرب منهم »[(١)].

وورد ذلك عن ابن عباس ومجاهد في أن الآية محكمة وغير منسوخة قال ابن عباس عن الآية : « لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده فإن فعلتم فقد اعتديتم »[(٢)].

وهو اختيار ابن جرير حيث قال: « وأولى هذين القولين بالصواب القول الذي قاله عمر بن العزيز لأن دعوى المدعى نسخ آية مُحتمل أن تكون غير منسوخة بغير دلالة على صحة دعواة تحكم والتحكم لا يعجز عنه أحد.. فتأويل الآية -إذ كان الأمرُ على ما وصفنا- وقاتلوا أيها المؤمنون في سبيل الله وسبيله: طريقه الذي أوضحه ودينه الذي شرعه لعباده يقول لهم جل ثناؤه: وقاتلوا في طاعتي وعلى ما شرعت لكم من ديني وادعوا إليه من ولّى واستكبر بِالأيدي والألسن حتى ينيبوا إلى طاعتي أو يُعطوا الجزية صغاراً إن كانوا أهل كتاب وأمرهم جل ثناؤه بقتال من كان فيه قتالٌ من مقاتلة أهل الكفر دون من لم يكن فيه قتال من نسائهم وذراريهم فإنهم أموال وخولٌ لهم إذا غلب المقاتلون منهم فقهروا فذلك معنى قوله: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة:١٩٠] لا أنه أباح الكف عمن كف فلمْ يقاتل من مشركي أهل الأوثان أو الكافين عن قتال المسلمين من كفار أهل الكتاب على غير إعطاء الجزية صغاراً » ثم قال ومعنى قوله « ولا تعتدوا » : ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا من أعطاكم الجزيةَ من أهل الكتابين والمجوس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠] الذين يتجاوزون حدوده فيستحلون ما حرمه عليهم من قتل هؤلاء الذين حرم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم »[(٣)].

---

(١) تفسير ابن جرير (٣/ ٢٩٠).

(٢) تفسير ابن جرير (٣/ ٢٩١).

(٣) تفسير ابن جرير (٣/ ٢٩٢).

وقال أبو جعفر النحاس رحمه الله « وهذا أصح القولين من السنة والنظر [أي عدم النسخ] فأما السنة.. عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة فكره ذلك ونهى عن قتل النساء والصبيان.. وهكذا يروى أن عمر بن عبدالعزيز كتب: لا تقتلوا النساء ولا الصبيان ولا الرهبان في دار الحرب فتعتدوا إن الله لا يحب المعتدين.. والدليل على هذا من اللغة أن « فَاعَلَ » يكون من اثنين فإنما هو من أنك تقاتله ويقاتلك وهذا لا يكون في النساء والصبيان.. والمعنى وقاتلوا في طريق الله وأمره الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا فتقتلوا النساء والصبيان والرهبان ومن أعطى الجزية فصح أن الآية غير منسوخة »[(١)].

الثالث: معنى « لا تعتدوا » أي لا تقاتلوا على غير الدين كالحمية وكسب الذكر ومن أجل الوطن بل قاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم يعني ديناً وإظهاراً للكلمة[(٢)] والراجح هو القول الثاني وهو أن الآية باقيةٌ ومحكمةٌ وغير منسوخة ولكن الأقوال الثلاثة تُعطى نتيجة واحدة وهي تقرير جهاد التبليغ لهذا الدين ونفي دعوى أن الجهاد في الإسلام للحرابة والدفاع.

وأما الجانب الثاني وهو ما يتعلق بمسألة العلاقة بين المسلمين والكفار فقالوا أن العلاقة هي السلم والحرب لا تكون إلا في حال العدوان منهم ويجب أن نجيبهم إلى السلام يقول محمد عمارة: « فحكمة القتال وسببه هو قتال هؤلاء المخالفين لنا لعدوانهم علينا وليس لمجرد الخلاف لنا في الدين.. ذلك أن الإسلام لا ينهى فقط عن مقاتلة المخالفين لمجرد الاختلاف الديني معهم بل إنه يدعوا إلى مودتهم والقسط إليهم طالما هم لَمْ يقاتلونا في الدين »[(٣)].

ويقول البوطي: « ... السلم العالمي هو المحور الذي تدور عليه شرائع الإسلام وأحكامه ومن أصرح النصوص الناطقة بذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة:٢٠٨].

---

(١) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس ص(٢٧-٢٨).

(٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٤٧)، وتفسير القرطبي (٢/ ٣٤٨).

(٣) الإسلام والحرب الدينية محمد عمارة ص(٨٠).

وقال في موضع آخر: « .... بناء على ما أوضحنا من أن السلم في العلاقات بين المسلمين وغيرهم بين الناس جميعاً على اختلاف نحلهم وفئاتهم هو الأصل .. » [١].

ويقول وهبة الزحيلي: « إن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم » [٢].

وهذا هو رأي الإمام أبو زهرة[٣] أن العلاقات سلمية لا حربية إذ يقول « وإن الإسلام إذ يقرر السلم على أنه أصل من أصول العلاقات الإنسانية بين الدول لا يسمح للمؤمنين أن يتدخلوا في شئون الدول إلا لحماية الحريات العامة وعندما يستغيث به المظلومون أو يعتدي على المعتقدين له فإنه يتدخل حينئذ لمنع الفتنه » [٤].

وأما الرأي الآخر القائل بأن العلاقة بين الدولة الإسلامية والكافرة هي الحرب فهو القول الصحيح لما قدمنا من تأكيد جهاد الدعوة وتبليغ الدين للعالم بأسره قال عبدالكريم زيدان: « الأصل في علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول علاقة حرب لا سلم وأن للدولة الإسلامية الحقُّ في إخضاع الدولة غير الإسلامية لسلطانها السياسي وقانونها الإسلامي ولو بالقتال إذا رفضت هذا الخضوع باختيارها.. إن السلم بين دار الإسلام ودار الحرب لا يكون إلا بمعاهدة أو بالإسلام دار الحرب أو استسلامها... ولهذا سمى الفقهاء جميعاً الدول غير الإسلامية باسم دار الحرب واعتبروا الأصْل في علاقة دار الإسلام بها علاقة الحرب وأن السلم لا يكون إلا بأمان -أي: عهد أو ذمة-

---

(١) الجهاد في الإسلام للبوطي ص(٢٢٧-٢٢٩).وانظر: مقال معادلة السلم والحرب في منظور الإسلام أ/ عباس الجراري ص(١١٨٧) ضمن مؤتمر التسامح في الحضارة الإسلامية المنعقد في القاهرة عام ١٤٢٥هـ.

(٢) العلاقات الدولية في الإسلام وهبة الزميلي ص(٩٤).

(٣) أبو زهرة: محمد أحمد أبو زهرة ولد في مدينة المحلة الكبرى محافظة الغربية بجمهورية مصر العربية عام ١٣١٦هـ ومات عام ١٣٩٥هـ عالم جليل فقيه أصولي جمع بين العلم والعمل والصدع بكلمة الحق من أهم مؤلفاته « أصول الفقه » « العلاقات الدولية الإسلام » « مقارنات الأديان » . انظر: كتاب أصول الفقه تاريخه ورجاله لمؤلفه د/ شعبان إسماعيل ص(٦٤٧)، وكتاب النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين لمؤلفه د/ محمد رجب البيومي (٢/ ٢٧٥).

(٤) العلاقات الدولية في الإسلام أبو زهرة ص(٥٠).

أو إيمان أي: إسلام... ومن أقوالهم المؤسسة على هذا الأصل قولهم: ويُقاتل أهل الكتاب والمجوس- أي: الدول غير الإسلامية- حتى يُسلموا أو يعطوا الجزية »[1].

وقال د/ محمد خير هيكل عن هذه المسألة مفصلاً فيها « .. وبناء على ذلك نقرر في المسالة: التي تعالجها الأصول التالية:

١-الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول قبل تبليغها الدعوة على وجه التبليغ المبين هو السلم لا الحرب وذلك لأن النبي ﷺ منع من قتال الكفار قبل تبليغهم الدعوة كما تقرر في الأدلة الكثيرة التي أوردناها في بحث سابق.

٢-الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول بعد تبليغها الدعوة ورفضها الدخول في طاعة المسلمين هو الحرب لا السلم وذلك لقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُوا ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة:٢٩] .

٣-الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول المعاهدة هو السلم وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الأنفال:٧٢].

٤-الأصل في العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها من الدول المعتدية ولو كانت معاهدة هو الحرب لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُوا عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٩٤] ولأن الرسول ﷺ سار إلى قريش لحربهم بعد صلح الحديبية لأنهم نقضوا الصلح ووجد منهم الاعتداء كما هو معروف في كتب السيرة »[2].

(١) مجموعة بحوث فقهية د/ عبدالكريم زيدان ص(٥٤).

(٢) الجهاد والقتال د/ محمد خير هيكل (١/ ٨٢٦-٨٢٧).

الشبهة الثانية:

زعمهم أن الغاية من القتال هو رفع الفتنة عن المسلمين فإن كان الكفار قد منحوا المسلمين حرية العبادة والأنظمة الدولية تكفلت بهذه الحرية فلا يجوز قتالهم ما لم يعتدوا علينا[1] واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٩٣] ويرد عليهم بما يلي:

١-أن المراد بالفتنة في الآية الشرك والكفر[2].

٢-إن الحديث عن أهداف الجهاد في الإسلام وغايته بوضوح تام يرد على من يرى إن إعطاء المسلم وغيره في بلد الكفر شيئاً من الحرية في المعتقد هو مانع من حمل السلاح والقتال ضد الحكام الكافرين في تلك البلاد يقول د/ عبدالرحمن حللي: « .. وعليه فحيثما فتن الناس عن دينهم وانتهكت حرية الاعتقاد والحرية الدينية في مجتمع كان واجباً على المسلمين السعي لإزالة هذه الفتنة والعمل من أجل تأمين مناخ من الأمن والطمأنينة والاستقرار لهؤلاء بحيث أنهم يتمتعون بكامل الحرية هذه الغاية السامية التي شُرع الجهاد القتالي من أجلها.. »[3].

د/ نادية حسن: « ويمكننا تلخيص بواعث الجهاد فيما يلي:

١-يستخدم القتال دفعاً لهجوم متوقع يعده الأعداء وذلك مثلما حدث في غزوة حنين وحصار الطائف حين اجتمعت هوازن وثقيف بعد فتح مكة بقيادة مالك بن عوف النصري.

٢-يقع القتال للدفاع عن الدين والأرض مثل ما حدث في أحد والخندق حين تجمعت الأحزاب لضرب المسلمين.

---

(١) انظر: حرية الاعتقادات في القرآن عبدالرحمن حللي ص(١٦١) والإسلام والحرية الدينية محمد عمارة ص(٨٨) وما بعده.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٤١).

(٣) حرية الاعتقاد في القرآن د/ عبدالرحمن حللي ص(١٦٢).=

٣-القتال يقع ضد من ينقض العهد والمواثيق أي المعاهدات مثل ما حدث مع بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وفتح مكة.

٤-القتال يقع لتأمين المسلمين إذا تعرض لهم من يفتنهم عن دينهم أو بمنع الداعي من تبليغ دعوته »[١].

ويرى د/ توفيق الطويل أن الغاية من الجهاد هو تأمين حرية العقيدة والرأي[٢] وهو كذلك رأي محمد حسين هيكل باشا في كتابه حياة محمد ﷺ[٣].

وهو رأي عبدالوهاب[٤] خلاف حيث يقول: « الجهاد مشروع لحماية الدعوة الإسلامية ودفع العدوان على المسلمين فمن لم يجب الدعوة ولم يقاومها ولم يبدأ المسلمين باعتداء لا يحل قتله ولا تبديل أمنه خوفاً »[٥]. وغيرهم كثير ممن يرى هذا الرأي[٦].

وأدلتهم على ذلك هي الأدلة التي استدلوا بها على عدم مشروعية جهاد الطلب والتبليغ وأن العلاقة بين المسلمين والكفار علاقة سلم لا حرب وأما الرأي الآخر فيرى أن الجهاد مشروع من أجل تسليم السلطة إلى المسلمين في بلاد الكفار من أجل حكم الناس والبلاد بالإسلام وممن يرى هذا الرأي الشيخ ناصر الدين الألباني حيث يقول: « اعلم أن الجهاد على قسمين: الأول فرض عين وهو ضدُّ العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين.. والآخر فرض كفاية... وهو الجهاد في سبيل نقل الدعوة الإسلامية إلى سائر

---

(١) فلسفة الحرب في الإسلام د/ نادية حسن صقر ص(١٠٠).

(٢) قصة الاضطهاد الدين في المسيحية والإسلام ص(١٥٨).

(٣) ص(٢١٧) وما بعده.

(٤) عبدالوهاب خلاف: أحد علماء مصر الأفذاذ ولد عام ١٣٠٦هـ بمدينة كفر الزيات إحدى مدن محافظة الغربية، ومات عام ١٣٧٦هـ من أعظم مؤلفاته: « كتاب علم أصول الفقه ومصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه » انظر: أصول الفقه تاريخه ورجاله د/ شعبان إسماعيل ص(٦٣٧)، وانظر: كتاب النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين د/ محمد رجب البيومي (٥/ ٢١٢) دار القلم.

(٥) السياسة الشرعية عبدالوهاب خلاف ص(٧٤-٤٩) نقلاً عن كتاب الجهاد والقتال هيكل ص(٧٤٦).

(٦) الجهاد جمال البنا (١٠٨).

البلاد حتى يحكمها الإسلام فمن استسلم من أهلها فبها ومن وقف في طريقها قوتل تكون كلمة الله هي العليا.. »[١].

وَيَقُولُ عَبْدُ الكَرِيمْ زَيْدَانْ: « الدوَلُ غَيْرَ الإسْلاميَّةُ التي تَقُومُ عَلَى غَيْرِ الإسْلامِ وتَرْفُضَ أحكَامه تعتبرها الدولة الإسلامية كيانات باطلة لا تستحق البقاء لأن الباطل منكر وفساد والمنكر يجب أن يزال.. ويتم ذلك على اختيار بأن تعتنق الإسلام وتطبق قانونه أو تخضع لسلطان الدولة الإسلامية السياسي وقانونها الإسلامي وعلامة ذلك التزامها بدفع الجزية فإن لم تختر هذا أو ذاك كان على الدولة الإسلامية أن تقاتلها حتى تُخضعها لسلطانها السياسي وقانونها الإسلامي فتصير من دار الإسلام ومعنى ذلك كله.. أن للدولة الإسلامية الحق في إخضاع الدولة غير الإسلامية لسطانها السياسي وقانونها الإسلامي ولو بالقتال إذا رفضت هذا الخضوع باختيارها »[٢].

ويقول سيد قطب في معرض حديثه عن أهداف الجهاد في الإسلام « ... إن هذا الدين إعلان عام لتحرير الإنسان في الأرض من العبودية للعباد.. وقيام مملكة الله في الأرض وإزالة مملكة البشر وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبية من العباد ورده إلى الله وحده.. وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية.. »[٣].

وهو رأى د/ علي بن نفيع العلياني في كتابه أهمية الجهاد[٤] ورأي د/ محمد خير هيكل في كتاب الجهاد والقتال في السياسة الشرعية[٥] وأما الأدلة التي استدلوا بها فهي أدلة القائلين بأن الجهاد كما أنه للدفاع فهو للطلب أيضاً ونشر الإسلام وإزالة الدول الكافرة التي تمنع الناس من تطبيق شرعة الله .

---

(١) العقيدة الطحاوية شرح وتعليق الألباني ص(٢٥).

(٢) مجموعة بحوث فقهية د/ عبدالكريم زيدان ص(٥٣).

(٣) معالم في الطريق ص(٥٩).

(٤) أهمية الجهاد ص(٣٤٠).

(٥) الجهاد والقتال ص(٧٥٥).

فالجهاد في الإسلام له أهداف يمكن إجمالها في النقاط التالية[1]:

١-تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد.

٢-إزالة الطواغيت من الأرض حتى تحقق العبودية لله من العباد الذين خضعوا واستكانوا لحكم الطواغيت التي جعلت نفسها أرباباً من دون الله.

٣-رد اعتداء المعتدين على المسلمين كما قال تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠].

٤-إزالة الفتنة عن الناس حتى يستمعوا إلى دلائل التوحيد من غير عائق وحتى يروا نظام الإسلام مطبقاً ليعرفوا ما فيه من عدل وإصلاح للبشر.

٥-حماية الدولة الإسلامية من شر الكافرين وكيدهم قال سيد قطب « وحقيقة أن حماية دار الإسلام حماية للعقيدة والمنهج والمجتمع الذي يسود فيه المنهج ولكنها هي ليست الهدف النهائي وليست حمايتها الغاية الأخيرة لحركة الجهاد الإسلامي إنما حمايتها هي الوسيلة لقيام مملكة الله فيها ثم لاتخاذها قاعدة انطلاق إلى الأرض كلها وإلى النوع الإنساني بجملته فالنوع الإنساني هو موضوع هذا الدين والأرض هي مجاله الكبير »[2].

٦-إرهاب الكفار وإخزاؤهم وإذلالهم وإيهان كيدهم وإغاظتهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ [الأنفال:٥٩].

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠].

٧-كشف المنافقين فإن المسلمين في حال الرخاء والسعة يضاف إليهم غيرهم ممن يطمعون في تحقيق مكاسب مادية وهم لا يريدون رفع كلمة الله على كلمة الكفر وقد يتصنعون الإخلاص فيخفى أمرهم على كثير من المسلمين وأكبر كاشف لهم هو الجهاد قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ

(١) يراجع أهمية الجهاد للعلياني ص(١٥٨) وما بعده بشيء من التصرف.

(٢) في ظلال القرآن (٣/ ١٤٤١).

نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [محمد:٢٠].

٨-تمحيص المؤمنين من ذنوبهم قال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [آل عمران:١٤٠-١٤٢].

الشبهة الثالثة:

دعواهم أن الرسول ﷺ لم يحارب الحبشة رغم قربها وذلك لأجل أنها منحت المسلمين حرية العبادة ولم تعد العدة لحرب المسلمين كما فعلت فارس والروم وبالتالي فحروب الرسول ﷺ كانت دفاعية لا هجومية[١]. ويرد عليهم بما يلي:

١-ثبت بالسند الصحيح أن ملك الحبشة أصحمة أسلم[٢] فإذا كان ملك القوم أعلن خضوعه للإسلام شريعة وعقيدة فكيف نحاربه.

٢-ورد عن النبي ﷺ قوله: « دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم»[٣].

وقيل في توجيه الحديث: « يبدو أن الإرشاد إلى ترك قتال الترك إنما هو بسبب شدة شوكتهم حينئذ وذلك إلى أن تتوفر لدى المسلمين القوة القادرة على مواجهتهم ،و أما بالنسبة إلى ترك قتال الحبشة فلأن ملكها النجاشي الذي أسلم قد أعلن عن رغبته في منحه فرصة من الوقت حتى يكثر الأعوان »[٤].

٣-إن المذهب الذي ورد عنه استثناء الحبشة والترك من جهاد الطلب هو المالكية

---

(١) سماحة الإسلام د/ أحمد الحوفي (٣/ ٢٤٠).

(٢) انظر: صحيح البخاري مع شرحه لابن حجر.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ٨١١) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم (٤٣٠٢).

(٤) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية هيكل (١/ ٧٥٥).

وقد نصوا على البدء بغيرهم من المشركين وإنما حصل الاستثناء للدليل الوارد قال ابن رشد: « فأما الذين يحاربون فاتفقوا على أنهم جميع المشركين لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال:٣٩] إلا ما روي عن مالك أنه قال: لا يجوز ابتداء الحبشة والترك لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ذروا الحبشة ما وذرتكم »[(١)].

ومما يؤكد ما رجحناه ما هو مشروع في الأصل من أن الجهاد في الإسلام إنما شرع لنشر الدين وتبليغه وفرض سلطان الله على الأرض ما ذكره الله في قصة سليمان مع ملكة سبأ وهذا يؤكد أن الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما أُرسلوا لتحقيق العبودية الكاملة لله والقضاء على جبابرة الأرض الذين يعبدون الناس لغير الله العلي العظيم ورحم الله الشيخ الغزالي حيث يقول: « إن الحرب في الإسلام دفاعية عن الحق هجومية على الباطل لا عدوان فيها ولا إرهاب »[(٢)].

(١) بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٤٤٢).

(٢) قذائف الحق لمحمد الغزالي ص(٩٦).

المبحث الثالث: الأحكام الناتجة عن الجهاد

إن ما ينتج عن الجهاد القتالي في الإسلام إنما هي أحكام ربانية يجب على المسلم تقبلها بالانقياد والطاعة والتسليم ولا يتأثر بالواقع المؤلم من تسلط الكافرين على المسلمين فيرغب أن يغير أحكام الإسلام ليرضى عنه الآخر الكافر والله قد أخبرنا في محكم آياته أن الكافرين لن يرضوا عنا حتى ننسلخ من ديننا قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ...﴾ [البقرة:١٢٠] وإن ما يقوم به بعض المتأثرين بالثقافة الغربية المنبهرين بالتقدم الصناعي من محاولة تقريب أحكام الدين الإسلامي الربانية إلى اختراع العقل البشري في مجال القوانين والأحكام والأنظمة لهي الكارثة الكبرى والمصيبة العظمى الحالقة للدين المعبدة لغير الله الحكيم العليم.

إن حال الأمة من الضعف وتسلط الأعداء لا يكون مسوغاً لعلمائها ومفكريها أن يغيروا في أحكامها ويبدلوا شريعة الله لأن الواقع يفرض علينا ذلك بل يبقى الحكم كما فرض الله وقد لا يعمل به في هذا الزمن من تاريخ الأمة لأسباب لا علاقة لها بصلاحية تطبيق الحكم في هذا الزمن بقدر العجز عن تطبيقه لأسباب الضعف والاستكانة وتسلط الكفرة وإن مما يكون مثالاً واضحاً لذلك ما يتعلق بأحكام الرق والجزية في الإسلام فالرق والجزية سببهما الوحيد ابتداء في الإسلام هو الكفر[١] إذ لا يجوز استرقاق المسلم من قبل أخيه المسلم لأن الإسلام أعزه وأكرمه والكافر أذلهُ الكفر وأهانه لما عبد نفسه لغير الله فاستحق أن يكون ملك يمين ورقيقاً يقوم عليه سيده المسلم بما شرع الله وفرض، فالرق في الإسلام والجزية في الإسلام هي من الحق الذي جاء به الدين العظيم وألزم به الكافر الذي دخل تحت حكم الشريعة العادلة ولا يجوز لنا أن نؤول أو نحرف الأحكام الشرعية ليرضى عنا الآخر الكافر الذي فرض وقعد قوانين وأحكام من عقله القاصر ويريد من المسلمين أن يُلغوا أحكام الله لأحكام البشر وإذا لم نفعل وصفونا بالإرهاب والعنف والتطرف وضيق الأفق وعدم مواكبة العصر ومما يزيد الطين بَلَّةً

---

(١) انظر: الهداية شرح بداية المبتدي/ الشيخ الإسلام أبي الحسن المرغيناني (٢/ ٤٥٢) وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (١/ ٤٦٨) والمغني لابن قدامة (١٣/ ٢٠٣).

إنسياق بعض أبناء المسلمين وراء أفكار القوم وأصبحوا أبواقاً يرددون ما يسمعون دون تفكر وتدبر في عواقب وآثار أقوالهم على شريعتهم وقبل ذلك على إيمانهم، ولو عقلوا لفهموا وأدركوا أن المشرع الغربي الكافر لم يسن ويشرع ما يخالف شريعة الله من إلغاء الرق وإقرار نظام الحريات العامة المخالف لما شرعه الله إلاَّ لإخضاع المسلم فكرياً كما أخضعه عسكرياً وأفقره اقتصادياً، فما تقرره هيئة الإمم المتحدة من قوانين وحقوق الإنسان قد أتى الإسلام بالعدل منها وهم خلطوا الظلم بالعدل ليكيدوا للإسلام وأهله فألغوا الرق وجرموه وحرموه والله أحله وأحلوا الربا والله حرمه، وحرموا الاعتداء على الدول بحجة السيادة ولو كانوا ملاحدة لا يقرون بربٍ ولا خالق، وجرموا قتل الإنسان بسبب الدين والإسلام أمر بقتل المرتد فأي قانون أو نظام يخالف ما شرعه الله فهو باطل لا يجوز قبوله.

وأما نظام الرق في الإسلام فهو العدل والرحمة فقد جاء الإسلام والرق له منابع كثيرة من الحروب والخطف والعجز عن سداد الديون فيسترق الغنيُّ الفقير فجاء الإسلام بأحكامه العادلة فحصر وقصر الرق في الحرب المشروعة بين المسلمين والكفار فقط ولكن الرقيق إذا أسلم لا يعتق بمجرد إسلامه لأن حق سيده مقدم على إسلامه والقاعدة المعروفة عند العلماء والعقلاء أن الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق[1].

فيقر الرقيق على رِقِّهِ وملكه لسيده وله حقوق على سيده حيث يجب عليه أن يطعمه مما يطعم ويكسيه ولا يكلفه من العمل مالا يطيقه وله كامل حقوقه الإيمانية فلا يمنعه من واجب ولا يأمره بحرام ولا يكرهه على ترك دينه. ورغب الإسلام في عتقه إن كان في عتقه مصلحة له أو للأمة وعندما ألغت أوروبا في القرن التاسع عشر نظام الرق كانت دوافعهم مادية لا روحية ولا إنسانية[2]. فيقول محمد الأمين الشنقيطي: « ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: ملك الرقيق المعبر عنه القرآن بملك اليمين في آيات كثيرة كقوله

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٣٨٨).

(٢) حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين/ المجلس العلى للشؤون الإسلامية القاهرة (١٤٢٥) ص(٦٢٠).

تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣] وسبب الملك بالرق: هو الكفر ومحاربة الله ورسوله.. وهذا الحكم من أعدل الأحكام وأوضحها وأظهرها حكمة وذلك أن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه.. كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾ [الذاريات:٥٦] .. فتمرد الكفار على ربهم وطغوا وعتوا وأعلنوا الحرب على رسله لئلا تكون كلمته هي العليا .. فعاقبهم الحكم العدل اللطيف الخبير جَلَّ وعلا- عقوبة شديدة تناسب جريمتهم فسلبهم التصرف ووضعهم من مقام الإنسانية إلى مقام أسفل منه كمقام الحيوانات فأجاز بيعهم وشراءهم وغير ذلك من التصرفات المالية مع أنه لم يسلبهم حقوق الإنسانية سلباً كلياً فأوجب على مالكيهم الرفق والإحسان إليهم.. »[١].

« إن إلغاء الرق في اتفاق دولي شأنه شأنُ إلغاء عقوبة الإعدام على القتل العمد أو عقوبة الزنا عند رضاء الزاني والزانية أو عقوبة قطع اليد عند سرقة النصاب من محرز عند بعض الدول فإلغاء الدول لإحدى هذه العقوبات أو جميعها لا يعيب تقدير الإسلام لعقوبات هذه الجرائم »[٢].

وأما الجزيـة فقال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۝﴾ [التوبة:٢٩] فأوجب الله على الكافر إذا لم يدخل في الإسلام واختار البقاء على الكفر أن يدفع الجزية وهو في حال صغار بسبب كفره فهي حق رباني شرعه الله لا مجال للاعتراض عليه أبداً لا ظلم فيه ولا حيف بل عدل وكمال فالكافر الذي خضع لحكم الإسلام يدفع الجزية في مقابل بقائه على دينه وهو تحت حماية المسلمين وحكمهم يعيش في أمن وأمان فهل في هذا الحق ظلم؟

والإسلام عندما فرض الجزية على أهل الكتاب والمجوس وسائر الكفار ما عدا الملاحدة المنكرين لوجود الله ﷻ إنما فرضها على البالغين القادرين الأغنياء دون النساء

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / للشنقيطي (٣/ ٣٨٦-٣٨٧) بشيء من التصرف.

(٢) الإسلام والرق للبهي ص(٢١).

والصبيان والرهبان والزمن[١].

وأما الحكمة من فرضها فيقول ابن حجر: « قال العلماء الحكمة في وضع الجزية أن الذل الذي يلحقهم يحملهم على الدخول في الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الإطلاع على محاسن الإسلام »[٢].

ويقول ابن العربي: « إذا بذل الجزية فحقن دمه بمال يسير مع إقراره على الكفر بالله هل هذا إلا كالرضا به؟

فالجواب أن نقول: في ذلك وجهان من الحكمة:

١-أن في أخذها معونة للمسلمين وتقوية لهم ورزقاً حلالاً ساقه الله إليهم.

٢-أنه لو قتل الكافر ليئس من الفلاح ووجب عليه الهلكة فإذا أعطى الجزية وأمهل لعله أن يتدبر الحق ويرجع إلى الصواب لاسيما بمراقبة أهل الدين والتدرب بسماع ما عند المسلمين.. »[٣].

وأما مسألة جواز أخذ الجزية من غير أهل الكتاب والمجوس فقد حررها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: « وجمهور العلماء على أنه لا يفرق بين العرب وغيرهم ثم منهم من يجوز أخذها من كل مشرك ومنهم من لا يأخذها إلا من أهل الكتاب والمجوس وذلك أن النبيَّ ﷺ لم يأخذ الجزية من مشركي العرب وأخذها من المجوس وأهل الكتاب فمن قال: تؤخذ من كل كافر قال: إن آية الجزية لما نزلت أسلم مشركوا العرب فإنها نزلت عام تبوك ولم يبق عربي مشرك محارباً ولم يكن النبي ﷺ ليغزو النصارى عام تبوك بجميع المسلمين -إلا من عذر الله- ويدع الحجاز وفيه من يحاربه ويبعث أبا بكر عام تسع فنادى في الموسم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ونبذ العهود المطلقة وأبقى المؤقتة ما دام أهلها موفين بالعهد كما أمر الله بذلك في أول سورة

---

(١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٤٧٩) وتفسير القرطبي (٨/ ١٠٦).

(٢) فتح الباري (٦/ ١٨٣).

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٤٨٢).

التوبة وأنظر الذين نبذ إليهم أربعة أشهر وأمر عند انسلاخها بغزو المشركين كافة قالوا: فدان المشركون كلهم كافة بالإسلام ولم يرض بذل أداء الجزية لأنه لم يكن لمشركي العرب من الدين بعد ظهور دين الإسلام ما يصبرون لأجله على أداء الجزية عن يد وهم صاغرون إذ كان عامة العرب قد أسلموا فلم يبق لمشركي العرب عز يعتزون به فدانوا بالإسلام حيث أظهره في العرب بالحجة والبيان والسيف وقول النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» مراده قتال المحاربين الذين أذن الله في قتالهم لم يرد قتال المعاهدين الذين أمر الله بوفاء عهدهم وكان النبي ﷺ قبل نزول « براءة » يعاهد من عاهده من الكفار من غير أن يُعْطِيَ الجِزْيَة عن يد فلما أنزل الله براءة وأمره بنبذ العهود المطلقة لم يكن له أن يعاهدهم كما كان يعاهدهم بل كان عليه أن يجاهد الجميع كما قال: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [التوبة:٥] وكان دين أهل الكتاب خيراً من دين المشركين ومع هذا فأمروا بقتالِهِمْ حتى يُعْطُوْا الجزية عن يد وهم صاغرون فإذا كان أهل الكتاب لا تجوز معاهدتهم كما كان ذلك قبل نزول براءة فالمشركون أولى بذلك أن لا تجوز معاهدتهم بدون ذلك قالوا: فكان في تخصيص أهل الكتاب بالذكر تنبيهاً بطريق الأَوْلَى عَلَى تَرْكِ معاهدَةِ المشْرِكينَ بدُونِ الصَّغَارِ والجزية كما كان يعاهدهم في مثل هدنة الحديبية وغير ذلك من المعاهدات قَالُوا: وقد ثبت في الصحيح من حديثِ بريدةَ قَالَ: « كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقْبَلْ منهم وكف عنهم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقْبَلْ منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم من على المهاجرين فإن أبوا ن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعْرَابِ المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع

المسلمين فإن هم أبوا فسألهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم.. » قالوا: ففي الحديث أمره لمن أرسله أن يدعو الكفار إلى الإسلام ثم إلى الهجرة إلى الأمصار وإلاَّ فإلى أداء الجزية وإن لم يهاجروا كانوا كأعراب المسلمين والأعراب عامتهم كانوا مشركين فدل على أنه دعا إلى أداء الجزية من حاصره من المشركين وأهل الكتاب والحصون كانت باليمن كثيرة بعد نزول آية الجزية وأهل اليمن كان فيهم مشركون وأهل كتاب وأمر معاذاً أن يأخذ من كل حالم ديناراً أو عدله معافرياً ولم يميز بين المشركين وأهل الكتاب فدل ذلك على أن المشركين من العرب آمنوا كما آمن من آمن من أهل الكتاب ومن لم يؤمن من أهل الكتاب أدى الجزية » [(١)]. وهذا الكلام يمثل رأي من يرى جواز أخذ الجزية من سائر المشركين وهو مروي عن الإمام مالك والأوزاعي وابن القيم[(٢)].

وقال الأوزاعيُّ [(٣)]: « تؤخذ الجزية من كل عابد وثن أو نار أو جاحد أو مكذب وكذلك مذهب مالك فإنه رأى أن الجزية تؤخذ من جميع أجناس الشرك والجحد عربياً أو عجمياً تغلبياً أو قرشياً كائناً من كان إلا المرتد[(٤)].

وأما الرأي الآخر فيرى عدم جواز أخذ الجزية من غير أهل الكتاب والمجوس وهو مروي عن الشافعيّ والمشهور عن أحمد وبه قال أبو ثور وهو مذهب الثوري وأبي حنيفة وأصحابه[(٥)] واستدلوا على ذلك بالآية حَيْثُ خَصَّ الله أهل الكتاب بالذكر فتوجه الحكم إليهم دون من سواهم الذين وجه الله إليهم الحكم بقتالهم حيث قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة:٥]، وقول النبي ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٩-٢٠-٢١-٢٢-٢٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ١٠٥) وانظر: بداية المجتهد لابن رشد (٢١/ ٤٥١).

(٣) الأوزاعي: أبو عمر عبدالرحمن بن عمر بن يحمد الأوزاعي إمام أهل الشام في عصره حافظ فقيه مات عام ١٧٥هـ. انظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٢٧) ومعجم المؤلفين (٥/ ١٦٣).

(٤) أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/ ٣٨٩).

(٥) تفسير القرطبي (٨/ ١٠٥).

يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها »[١].

وهذا عام خص منه أهل الكتاب بالآية والمجوس بقول النبي ﷺ : «سنوا بهم سنة أهل الكتاب »[٢] فمن عداهم من الكفار يبقى على عمومه إما الإسلام أو القتل[٣].
والراجح قول من يرى جواز أخذ الجزية من جميع أهل الكفر لما يأتي:

١-حديث بريدة الصريح الصحيح وفيه: « فإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -الإسلام والجزية والقتال.. »[٤] فالرسول ﷺ قال من المشركين وهذا يشمل أهل الكتاب وَغَيْرَهُمْ وتخصيصه بأهل الكتاب يحتاج إلى دليل ولا دليل فيبقى اللفظ عَلَى عُمُومِهِ.

٢-أخذ الرسول ﷺ الجزية من المجوس دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ أَخْذِهَا مما عداهم فإن عابد النار ليس بأولى من عابد الصنم ومعلوم أن أهل الشرك كانوا أقرب إلى المجوس منهم إلى النصارى كما ذكر الله لنا في سورة الروم قال ابن كثير: « .. عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:١-٣] قال غلبت وغلبت قال: كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب.. »[٥].

٣-وأما ذكر أهل الكتاب في الآية فخرج مخرج الغالب إذ الكفار في ذلك الوقت هم من أهل الكتاب لأن آية الجزية إنما نزلت عام تبوك في السنة التاسعة من الهجرة بعد أن أسلمت جزيرة العرب ولم يبق بها أحدٌ من عباد الأوثان[٦].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (١٣/ ٢٠٨).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٧٣).

(٦) انظر: أحكام أهل الذمة لابن القيم ص(١٧).

والقول بجواز أخذ الجزية من سائر الكفار لا يقتضي السماح لهم بنشر دينهم وعقائدهم وفحشهم بل هم تحت سلطان الدولة الإسلامية يأمنون على أنفسهم وما لهم وأعراضهم لعلهم يدخلون في الإسلام بسبب مخالطتهم للمسلمين وسماعهم القرآن ودلائله وبراهينه.

المبحث الرابع: علاقة الجهاد بالإكراه على الحق

إن استقرار الإيمان في القلوب يكون عن طريق الدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن والموعظة الحسنة كما قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥] بل إن أول أمر إليهم نزل على محمد ﷺ هو أمره بالقراءة التي هي زاد العلماء في دعوتهم إلى الله قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝﴾ [العلق:١-٥]، فالأصل في دخول الناس إلى الإسلام هو الدعوة، والجهاد إنما هو وسيلة لتحقيق هذه الغاية الكبرى « ولذا فإن الحرب تفقد شرعيتها إذا لم يسبقها تلك الدعوة لأن المقصود إزالة الشرك وتثبيت الإسلام فإن تحقق ذلك بدون قتال كان أولى، والآيات والأحاديث في ذلك صريحة : فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ۝﴾ [الإسراء:١٥] وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝﴾ [التوبة:٥]، وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ۝﴾ [التوبة:٢٩] فالآية الأولى تؤكد على ضرورة الدعوة قبل القتال والآيات بعدها تضع نهاية للحرب وتحدد غايته في زوال الشرك وبذل أهل الكتاب للجزية... وهكذا فالدعوة شرط في القتال على الدين فإن تحقق مضت الحرب إلى غايتها[١].

إن تأثير الجهاد في الدعوة إلى الله تأثير كبير يقول ابن القيم عن الرسول ﷺ « وبعثه بالكتاب الهادي والسيف الناصر بين يدي الساعة حتى يعبد سبحانه وحده لا شريك به وجعل رزقه تحت ظل سيف ورمحه »[٢] فالسيف والقتال غايته في الشريعة الإسلامية

(١) العلاقات الدولية في الإسلام وقت الحرب ص(١٣) د/ نادية محمود مصطفى المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

(٢) الفروسية لابن القيم ص(٤).

حماية الدعوة ودفع وقمع أهل الشر والكفر وهم الكاثرة الكاسرة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ۝﴾ [يوسف:١٠٣] يقول سيد قطب: « يخيل إليَّ أحياناً أن طبيعة الفتوح الإسلامية وبواعثها وأهدافها الحقيقية ليست مجهولة من الغربيين فحسب -ممن يَحْسبُونَ المدَّ الإسلاميَّ كان حركة سيف، وهجرة جنس، ودفعة أطماع- بل إنها مجهولةٌ كذلك من كثرة المسلمين، الذين يحسبون مجرد التوسُّعِ في الفتوحات العسكرية كسباً للإسلام، ومأثرة للفاتحين في جميع العصور.

هؤلاء وهؤلاء سواء، في البعد عن إدراك طبيعة الفتوح الإسلامية، وبواعثها وأهدافها الحقيقية. وانه ليحسن أن نصحح تلك الصورة المزَوّرَةَ أو المشوَّهةِ لا للفتوح الإسلامية، بل للفكرة الإسلامية ذاتها في النهاية.

قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾ [الحجرات:١٣].

وسئل رسول الله ﷺ : الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

هذه النصوص الثلاثة من القرآن والحديث تكشف لنا عن طبيعة الحروب الإسلامية وطبيعة الفتوح الإسلامية إجمالاً.

إن الإسلام يستبعد من حسابه أن تقوم حرب، أو يتم فتح، بقصد إكراه أحد على الدخول في الإسلام، وبذلك يستبعد جميع الحروب والفتوحات التي تثيرها العصبية الدينية بهذا المعنى؛ والتي ذاق العالم من ويلاتها لا في الحروب الصليبية المعروفة فحسب، ولا في الاضطهاد الأسباني للمسلمين في الأندلس فحسب، بل في كثير من بقاع الأرض، وفي كثير من أدوار التاريخ؛ والتي ما تزال البشرية إلى يومنا هذا تتجرع مرارتها، وإن كانت تتخفى تحت عنوانات أخرى غير عنوان التعصب الديني!

والإسلام يستبعد من حسابه أن تقوم حرب، أو أن يتم فتح بقصد سيادة عنصر أو تغليب جنس، فالناس قد جعلوا شعوباً وقبائل ليتعارفوا؛ لا ليستذل بعضهم رقاب بعض، ولا ليسود جنس أو شعب، وبذلك يستبعد جميع الحروب والفتوحات التي

تثيرها عصبية الجنس أو اللون أو اللغة، والتي ذاق العالم وما يزال يذوق ثمراتها المرة، حتى في العصور الحديثة، التي يزعم الزاعمون أنها تحضرت، وارتفعت على دوافع القبيلة!

كذلك يستبعد الإسلام من حسابه أن تقوم حرب، أو أن يتم فتح، بقصد جر المغانم، وبذلك يستبعد كافة الفتوح الاستعمارية ، التي تكمن وراءها مطامع اقتصادية، كفتح الأسواق واستجلاب الخامات، واستغلال الموارد؛ أو الحصول على مراكز استراتيجية ، وميزات عسكرية؛ تلك الفتوحات التي عانت البشرية وما تزال تعاني من ويلاتها، والتي تقوم الحضارة الغربية الراهنة على أساسها، لأنها مقوم أساسي من مقوِّماتها.

وأخيراً يستبعد الإسلام من حسابه أن تقوم حرب، أو أن يتم فتح؛ بقصد اكتساب أمجاد شخصية للملوك والقواد، أو إرضاء نزعات الاستعلاء والسيطرة والبروز، التي تهيمن على أولئك الرجال، فيسخرون من أجلها الشعوب، لإضافة شارة إلى تاج، أو وسام إلى رداء!

ومن ثم يتعين باعث واحد، وهدف واحد للفتح الإسلامي، هو الذي يقول عنه الرسول ﷺ : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » .

إنها إذن فكرة هي التي نشرها ويراد تحقيقها: أن تكون كلمة الله هي العليا. فما هي « كلمة الله » المعنية في هذا الحديث؟ ما طبيعتها؟ وما حدودها؟ إنه لا بد لنا أن ندرك طبيعة هذه الفكرة وحدودها لكي ندرك طبيعة الفتح الإسلامي، ولكي ندرك الفارق بينه وبين الفتوح العسكرية الأخرى. ثم لندرك أن الفتوح الإسلامية كانت في حدود الفكرة الإسلامية؛ وأيها لم يكن ولو أنه تم على أيدي المسلمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥].

فتحقيق كلمة الله وجعلها هي العليا يتضمن أن يصبح الإسلام لله هو دين البشرية كَافَّةً . الإسلام لله على إطلاقه بمعنى إخلاص القلب لله دون سواه، والنظرية الإسلامية

تعتبر أن جميع الرسل قد جاءوا بالإسلام على هذا المعنى، وأن جميع الرِّسَالاَتِ قد قامت على أساسه، أن محمداً ﷺ : إنما جاء بالإسلام في صورته الأخيرة التي ارتضاها الله للبشرية كافة؛ وأن القرآن إنما جاء ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]، ومن ثم ينبغي أن يفيء الناس كلهم إليه، فتتحقق كلمة الله في الأرض، وتصبح كلمة الله هي العليا وهذه إحدى معاني كلمة الله في هذا السياق.

إلا أن الطريقة لأن يفيء الناس إلى هذا الدين الأخير لا يجوز أن تخرج على القاعدة الكلية التي قرؤها: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]، والمطلوب من رسول الإسلام ومعتنقيه أن يحاولوا هداية الناس إليه بالدعوة اللينة والموعظة الحسنة: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

فإذا وقفت قوة مادية في وجه الدعوة السلمية، فهنا فقط يجوز حمل السلاح، لتقرير حرية الدعوة، كذلك إذا تعرضت هذه القوة للذين استجابوا للدعوة كي تفتنهم عن دينهم الذي ارتضوه بملء حريتهم، وذلك لتقرير حرية العقيدة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة:١٩٣].

وفي مثل هذه الحالة يبدو واضحاً معنى القتال لتكون كلمة الله هي العليا، فكلمة الله هنا تعني كذلك حرية الدعوة وحرية الاعتقاد وكل قوة مادية تقوم في وجه هاتين الحريتين أو إحداهما هي قوة معتدية مضادة لكلمة الله الذي كرم الإنسان، وجعله على نفسه بصيرة، وجعل عقله هو الحكم، وإرادته هي مناط التكليف؛ واعتبر الوقوف بالقوة في وجه الدعوة، أو استخدام القوة للإكراه على العقيدة، معطلاً لكلمة الله، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله.

وفي هذا السبيل كانت الحروب والفتوح الإسلامية في عهدها الأول، الذي نشر الإسلام وقرره في مواطنه الرئيسية في داخل الجزيرة أو خارجها وقد سبقت الدعوة إلى الإسلام تلك الحروب والفتوح جميعاً، ولم تتقرر الحرب إلا في حالة من حالتين: الوقوف بالقوة المادية في وجه الدعوة السلمية، أو الاعتداء على حرية العقيدة وفتنة المسلمين عن دينهم أفراداً أو جماعات.

وإن كان هذا لا ينفي أن بعض من خرجوا في هذه الفتوح كانت الغنائم والأسلاب والفيء حافزاً من حوافزهم، ولكن العبرة في هذه الحالة ليست بدوافع بعض الأفراد، إنما العبرة بأهداف القيادة، فأنا لا أحاسب دولة دخلت الحرب بطمع أفراد من جيوشها في مغانم وأسلاب، أو مغامرات ومتاع، إنما أحاسبها على اللغة العربية فكرة التي من أجلها دخلت الحرب، والهدف المرسوم من ورائها.

وما من شك أن القيادة الإسلامية في فتوحها الأولى على وجه التحديد، وفي كثير من فتوحاتها المتأخرة كذلك ، ما كانت تهدف إلى أكثر من أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الإسلامُ هو دينَ البشرية كافة؛ لا عن طريق الإكراه، ولكن عن طريق الدعوة، وضماناً لحرية الدعوة، ولحرية العقيدة، ساقت الجيوش وخاضت المعارك، وفتحت البلاد بعد أن قدمت الدعوة بين يديها، وأعلنت أنها الغاية الأُولَى والأَخِيرَةُ.

ومن ثم تتهاوى جميع الأباطيل والمفتريات، التي تقوَّلَهَا الغَرْبِيُونَ على الفتوحات الإسلامية طبيعتها وبواعثها، والتي نشأ بعضها عن التعصب الديني ضد الإسلام والمسلمين؛ ونشأ البعض الآخر عن سوء التفسير، بسبب قياس المؤرخين الغربيين لفتوحات الإسلام على فتوحاتهم هم، وقياس بواعث الفتوحات الإسلامية على الفتوحات الامبراطورية الاستعمارية عندهم في القديم والحديث!

وثمة مفهوم ثالث لجعل كلمة الله هي العليا، مشتقّ من المفهومين السابقين ومكمل لهما:

إن الإسلام عقيدة وجدانية تنبثق منها شريعة قانونية، ويقوم عليها نظام اجتماعي: نظام متميز عن سائر النظم الاجتماعية التي عرفتها البشرية، ذو مقومات خاصة به، قد تشترك معه في بعضها بعض النظم الأخرى، ولكنه في مجموعه يبدو متميزاً عن سائر النظم بكل تأكيد.

من هذه الخصائص أنه نظام عالمي مبرأ من العصبية العنصرية ومن التعصب الديني، ومن ثم فهو يسمح لكل إنسان أن ينضم إلى موكبه في يسر، وأن يتمتع فور انضمامه إليه بكافة الحقوق التي يتمتع بها أول مسلم من أي جنس ومن أي قبيلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات:١٣].

ومنها أنه نظام عادل يضمن لجميع الأفراد حقوقاً متساوية، ولا يجعل للحاكم أو الأسرة أو لطبقة أي حق زائد عن حقوق الفرد العادي، ويضمن العدالة المطلقة في علاقات الطوائف والأمم، فلا يقيم وزناً للعداوة والشنآن، كما أنه لا يقيم وزناً للصداقة والقربى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ ﴾ [الأنعام:١٥٢].

وحتى ما يسمونه في العصر الحديث باسم « مصلحة الدولة » فإنه لا يبرر في عرف الإسلام أن تحيد الدولة عن العدل المطلق في معاملتها مع الأفراد والجماعات أو الأمم، فمرد الأمر كله إلى تحقيق شريعة الإسلام لتكونَ كلمةُ الله هي العليا.

ومن ثم يدعو الإسلام أهله أن يكونوا أمناء على تحقيق العدل في الأرض كلها، ومنع الجور، وردَّ الطغيان، تحقيقاً لكلمة الله فحيثما كان ظلم وكان بغيٌ، فالمسلمون منتدبون لدفعه ورفعه، دون نظر إلى من وقع منه الظلم والبغي، أو إلى من وقع عليه الظلم والبغي، في أية صورة، وتحت أي عنوان، سواء أكان ظلم فرد لفرد، أو ظلم فرد لجماعة، أو ظلم جماعة لفرد، أم ظلم جماعة لجماعة كله سواء، لأن الناس كلهم سواء: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجرات:٩].

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [النساء:٧٥].

ومن رفع الظلم وتحقيق العدل، كل ما يتعلق بتحقيق العدالة الاجتماعية والإسلام فوق أنه يعدُّ العدالة الاجتماعية في أدق صورها شريعة من شرائعه، وتكليفاً من تكاليفه؛ يعدّها في الوقت نفسه عبادة من عباداته ينهض بها الفرد المسلم؛ وتنهض بها الدولة المسلمة، ابتغاء لثواب الله وتجنباً لعقابه، ومن ثم يربطها بالدين فوق كفالتها بالقانون؛

ويفرض القتال لتحقيقها إذا لم تكن ثمة وسيلة أخرى سوى القتال.

والنتيجة التي تخلص من هذه المقدمات كلها، أن الحروب الإسلامية والفتوح ملحوظ فيها أن تحقق إلى جانب حرية الدعوة وحرية العقيدة العدالة المطلقة لجميع الناس، فإذا هي لم تحمل هذه المقدمات معها لأهلها وللبلاد المفتوحة كذلك، لم تكن حرباً إسلامية ولا فتحاً إسلامياً، ولم تزد ثمرتها على ضم رقعة من الأرض إلى العَلَم الإسلامي. وزيادة رقعة الأرض لم تكن يوماً ما ذات قيمة في حساب الإسلام إنما القيمة كلها لتحقيق النظام العادل الكامل الذي يقوم على الشريعة الإسلامية المنبثقة من العقيدة الإسلامية وهذا هو الذي كان يضيف إلى الإسلام قلوباً وشعوباً وهذه هي غاية الفتح الإسلامي لا الأرض، ولا الفيء، ولا الغنيمة، ولا الغلبة على البلاد والعباد.

جاء في كتاب « الدعوة إلى الإسلام ، تأليف. ت. أرنولد » وترجمة حسن إبراهيم حسن وزميليه في ص٥٣ وما بعدها: « وقد استطاع ميشيل الأكبر بطريق انطاكية اليعقوبي أن يحبذ -فيما كتبه في النصف الثاني من لقرن الثاني عشر- ما كتبه إخوانه في الدين، وأن يرى إصبع الله في الفتوح العربية، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكمَ الإسلاميَّ خمسةَ قُرُونٍ. وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات هرقل: (وهذا هو السبب في أن إله الانتقام -الذي تفرد بالقوة والجبروت، والذي يديل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء، ويرفع الوضيع- لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة، فنهبوا كائسناً، وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم، وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب لتخليصنا على أيديهم من قبضة الروم. وفي الحق إننا إذا كنا قد تحملنا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا، وإعطائها لأهل خلقيدونية، فقد استمرت هذه الكنائس في حوزتهم، ولما أَسلمت المدن للعرب خصص لكل طائفة الكنائس التي في حوزتها (وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حران). ومع ذلك فلم يكن كسباً هيناً أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم، وحنقهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وَسَلامٍ).

« ولما بلغ الجيشُ الإسلاميُّ وادِيَ الأُرْدُن، وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: « يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا » .

وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم.

لقد كان الفتح الإسلامي فتحاً فريداً في تاريخ البشرية كلها، لم تعرف له من قبل ولا من بعد نظيراً، إنه لم يكن فتحاً للأرض وكنوزها، إنما كان فتحاً لقلوبِ ساكنِي الأَرْضِ، وغرس بذرة العدل والتسامح والمساواة والإخاء فيها.

وإن أي إنسان مخلص للإنسانية، يعرف طبيعة الفتح الإسلامي ويدرك أهدافه وبواعثه ليتمنى أن لو كان مد الإسلام الأول قد غمر الأرض جَمِيعاً، وألقى فيها تلك البذرة الطيبة الخيرة، وأن الرجاء لمعقود -بعون الله- على مد الإسلام الثاني، الذي أخذت بوادره تظهر في يقظة العالم الإسلامي، وانبعاث الفِكْرَةِ الإسلامية أن يغمر الأرض ومن عليها »[1].

ويقول الشيخ تقي الدين البخاري: « الجهاد لا يُكره الأفراد » على اعتناق الإسلام إنما يعني: إخضاع الشعوب لحكم الإسلام فيدْعَوْنَ إلى الإسلام فمن أسلم من الأفراد فقد عصم دمه وماله وحرم قتاله لأنه استجاب للدعوة ولو كان فرداً ومن لم يسلم أجبر على الخضوع لأحكام الإسلام وإلا قُوتِلَ واستمر قتالُهُ حتى يتم إخضاعه لأحكام الإسلام »[2] .

إذاً فالإكراه على الحق الواجب هو إكراه الدول الكافرة والمجتمعات الكافرة للدخول تحت سلطان المسلمين أما الإكراه على الدين فهذا ممنوع بنص القرآن لأن

(١) دراسات إسلامية ص(٣٧-٤٧) ط(١٠) ١٤٢٢هـ، دار الشروق.

(٢) بحث في الجهاد للشيخ تقي الدين البخاري نقلاً عن كتاب الجهاد والقتال لهيكل (١/ ٧٤٦).

الإيمان لا يكون إلاَّ بالإقنَاعِ والمجادلة بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ.

وأما كلمة أن الإسلام انتشر بالسيف فهي كلمة حق أريد بها باطل، وتوضيح ذلك أن الإسلام جعل ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله ورتب على الجهاد مكاسب دنيوية وأخرى عظيمة وهي الشهادة في سبيل الله.

فإن كان القائل يريد بهذه الكلمة أن الإسلام يُكره أفراد الناس على الدخول فهذا مالا يُجوِّزه الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] وأما إن كان القائل يريد بهذه الكلمة إنكار الجهاد كوسيلة من وسائل تبليغ الدين فهذا مالا يقره الإسلام فالجهاد وسيلة لإخضاع الدول الكافرة والمجتمعات الكافرة لعدل الإسلام وسماحته وتشريعاته العظيمة فالإسلام انتشر بالسيف وبغير السيف في البلاد التي أتيحت للدعاة فيها الدعوة إلى الله فاستجاب لهم أصحاب السلطة والسياسة والمال والجاه فأقاموا المجتمع على أساس الشريعة الإسلامية فكانت دولاً إسلامية يقول المستشرق بارنولد « انتشر الدين الإسلامي في القرن الرابع الهجري في قبائل الترك الرحل وفي بعض مدن تركستاني الصينية بواسطة التجارة وبدون استخدام أي سلاح فكان الأتراك الذين استولوا على البلاد الإسلامية في القرن الرابع الهجري مسلمين »(١). وقال المستشرق البريطاني سيرتوماس (٢) ارنولد: « ... لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فروديايرزابلا دين الإسلام من أسبانيا أو التي جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانس مذهباً يعاقب عليه متبعوه في فرنسا أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن انكلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد

---

(١) قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص(٢٦٩).

(٢) بير توماس أرنولد: مستشرق بريطاني ولد في عام ١٨٦٤م ومات عام ١٩٣٠م وأهتم بالدراسات الإسلامية وله كتاب « الدعوة الإسلامية » وكتاب « الخلافة » . انظر: موسوعة المستشرقين د/ عبدالرحمن بدوي ص(٩).

انعزلت انعزالاً تاماً عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع أنحائه أحد يقف إلى جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم »[1].

وقال ادوار بروي: « انتظمت العلاقات بين الدولة وسكان البلاد الأصليين بسهولة كلية وفقاً لروح القانون المعمول به في البلاد ... وبقيت كل ملة أو طائفة محتفظة بقانونها الخاص وبالموظفين الذين يسهرون على الشؤون الدينية عندها باستثناء ما كان منها تابعاً للحق العام... ونلاحظ تطوراً ملحوظاً يطرأ على وضع النصارى بعد أن احتفظت بيعهم بجانب من ممارسة العدالة في الأمم الخاصة.. وهكذا برز البطاركة والأساقفة الرؤساء الأعلين لطوائفهم تعلو سلطتهم سلطة الموظفين الإداريين المحلين حتى أن اليهود أنفسهم لم يجدوا بأساً في الاحتفاظ برؤسائهم الدينيين وبربابنتهم وبحاخامهم الأكبر »[2].

وقال: مارسيل بوازار: « فتح الإسلام الباب للتعايش على الصعيد الاجتماعي والعرقي حين اعترف بصدق الرسالات الإلهية المنزلة من قبل على بعض الشعوب.. لكنه بدأ أنه يرفض الحوار في الوقت ذاته على الصعيد اللاهوتي حين أزال من العقيدة كل ما اعتبر زيفاً مخالفاً للتوحيد بالمعنى الدقيق للكلمة وأتاح منطق تعاليمه القوي وبساطة عقيدته وما يرافقها من تسامح أتاح كل هذا للشعوب التي فتح بلادها حرية دينية تفوق بكثير تلك التي أتاحتها الدول المسيحية نفسها »[3].



---

(١) قالوا عن الإسلام د/ عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص(٢٦٦)، وانظر: كتاب أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية المماليك د/ قاسم عبده قاسم.

(٢) قالوا عن الإسلام ص(٢٧٢).

(٣) المرجع السابق ص(٢٧٤)، وانظر: كتاب الإسلام في عيون غربية محمد عمارة دار الشروق.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله ومنه وكرمه، يوفق عباده لكل خير فهو المنعم أولاً وأخيراً، فأحمده على إتمام هذا البحث، وأسأله التوفيق في كل الأمور وبعد..

فهذه خاتمة ضمنتها نتائج البحث وهي كالتالي:

١-أن الغاية من خلق الخلق تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى في جميع الأمور وعلى كل الأحوال.

٢-أن سنة التدافع بين الحق والباطل سنة ربانية ثابتة وأن انتصار الحق لا بدله من شروط إن حققها أهله انتصروا وإن تركوها ذلوا وانتفش الباطل.

٣-أن البشرية في أمس الحاجة إلى الإسلام لإنقاذها من الضياع الكبير الذي تعيشه لأنه دين يوافق الفطر ولا يصادمها.

٤-أن المدنية الغربية لا يمكن أن تحقق لأفرادها السعادة القلبية ولا القناعة العقلية في القضايا الغيبية.

٥-أن الإسلام الذي أتى به محمد ﷺ عقيدة شريعة هو دين الرسل جميعاً ولن يقبل الله من أحدٍ غيره وهو الذي يحقق السعادة القلبية ويجيب عن الأسئلة المحيرة ويوافق الفطر السوية.

٦-أن الحق في أصول الدين واحدٌ لا يتعدد وأن من قال بتعدده فقد خالف العقل والنقل.

٧-أن الإكراه على الحق بالمفهوم الصحيح يتفق مع العقول المستقيمة والفطر السوية وهو في الإسلام في أمور ثلاثة:

أولاً-إكراه الكافر الأصلي على قبول أحد أمرين الإسلام أو الجزية.

ثانياً-إكراه المرتد على العود إلى الإسلام.

ثالثاً-إكراه المسلم على الالتزام بأحكام الإسلام.

٨-إن الدعوة إلى حرية الاعتقاد بالمفهوم الدولي تخالف أصول الإسلام العظام.

٩-إن مصطلح حرية الاعتقاد بالمفهوم الإسلامي يُقبل في جانب الرد على المخالف ويُرفض في جانب التقرير.

١٠- إن قتل المرتد لا يتنافي مع مبدأ لا إكراه في الدين لأن المرتد لا يمثل نفسه فقط بل هو يمس أعظم شيء في المجتمع المسلم ألا وهو الأمن العقدي فالمرتدون في كيان الأمة الإسلامية يضرون بأمن المجتمع المسلم العقدي لأنهم يشككون المسلمين في صحة عقيدتهم فكان لزاماً قتلهم حفظاً لأمن المجتمع العقدي.

١١- إن إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تتنافى مع الحريات المتجهة المثمرة أما الحريات المدمرة المفسدة فلا حرية فيها.

١٢- إن إقامة شرع الله على عباد الله من صلب عقيدة المسلم فدخوله في الإسلام التزام منه بأركانه وشروطه وواجباته والابتعاد عن النواهي.

١٣- إن إقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله من صلب عقيدة المسلم وذروة سنام الإسلام فالجهاد شرع في الإسلام لمقاصد عظيمة منها إكراه الدول الكافرة وآحاد الكفار على الخضوع لسلطان الدولة الإسلامية لا إكراه الأفراد على الدخول في الإسلام.

وأخيراً يوصي الباحث بعدة أمور:

١- توضيح الفكر الإسلامي السليم الصحيح في هذه المسألة وفي غيرها عبر الوسائل الإعلامية المتاحة.

٢- تبني الأقسام الشرعية ترجمة الكتب والرسائل الجامعية التي تبين وتوضح المفاهيم الإسلامية الصحيحة لكثير من القضايا الفكرية المطروحة في الساحة الإسلامية وغير الإسلامية اليوم تحت إشراف علماء متخصصين في هذا المجال.

٣- إنشاء جمعيات إسلامية تتبنى الفكر الإسلامي الصحيح بمنظور سلفي يحافظ على الأصول دون تمييع ويعالج قضايا الفكر بواقعية حكيمة.

والله الهادي إلى سواء السبيل.





وفيـــــه:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾	البقرة: ٢١-٢٢	٢	١٦٨
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ﴾	البقرة: ٢٣-٢٤	٢	١١٥
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾	البقرة: ٣٩	٢	١٦٨
﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾	البقرة: ٤٢	٢	١٥٩
﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	البقرة: ٤٣	٢	٢٧٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾	البقرة: ٦٢	٢	١٩٧، ١٩٨
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾	البقرة: ٧١	٢	٢٦
﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾	البقرة: ٧٣	٢	٦٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا﴾	البقرة: ١٠٤	٢	٢٤٠
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾	البقرة: ١٠٩	٢	٢٦٥
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾	البقرة: ١١٤	٢	٢٧

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾	البقرة:١٢٠	٢	١٩٩، ٣٧٩
﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)﴾	البقرة: ١٣٢	٢	٨١
﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ (١٣٦)﴾	البقرة:١٣٦	٢	١٢٣
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾	البقرة:١٣٨	٢	٣٩
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾	البقرة:١٤٦	٢	١٣٦
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)﴾	البقرة:١٦٤	٢	٨٦
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)﴾	البقرة:١٧٨	٢	٢٣٧، ٢٣٩
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)﴾	البقرة:١٧٨-١٧٩	٢	٣٤١
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	البقرة:١٨٥	٢	٤٨

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾	البقرة:١٩٠	٢	٣٥١، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٦
﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾	البقرة:١٩١	٢	٣٦٧، ٣٦٨
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾	البقرة:١٩٣	٢	١٧٢، ٢١٥، ٢٢٨، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٣، ٣٩٠
﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾	البقرة:١٩٤	٢	٢١٥، ٣٧٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾	البقرة:٢٠٨	٢	٣٧٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾	البقرة:٢٠٩	٢	٣١٠
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾	البقرة:٢١٣	٢	١٦٥، ٣٢٠
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾	البقرة: ٢١٦	٢	٣٦٧، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٦٢
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾	البقرة:٢١٧	٢	٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٩

الآيـــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾	البقرة:٢٥١	٢	٢٢
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾	البقرة:٢٥٣	٢	١٢٣
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾	البقرة:٢٥٦	٢	٢١١، ٢٢٨، ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٩١، ٣٦٧، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩٥
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾	آل عمران:١٩	٣	٣٨، ١٤٦، ١٦١، ٣٨٩
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	آل عمران:٣١	٣	١٧٤
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾	آل عمران: ٣١-٣٢	٣	٣١٩
﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾	آل عمران:٣٥	٣	٢٣٩
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾	آل عمران:٦٧	٣	٤١، ٨١
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾	آل عمران:٧٨	٣	١٩٢
﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾	آل عمران:٨٣	٣	٢٠٩
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾	آل عمران:٨٥	٣	١٤٦، ١٥٥، ١٦١، ١٨٥، ٣٨٩
﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾	آل عمران:٨٦-٨٩	٣	١٦٠

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾	آل عمران:١٠٠	٣	٢٦٦
﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾	آل عمران:١٠٤	٣	٢٩٧
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾	آل عمران:١١٠	٣	٢٩٧، ٣٠٩
﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾	آل عمران: ١١٣-١١٤	٣	٢٩٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨﴾	آل عمران:١١٨	٣	٦٩
﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٢١﴾	آل عمران:١٢١	٣	٣٥٠
﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧﴾	آل عمران:١٣٧	٣	٨٦
﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾	آل عمران: ١٤٠-١٤٢	٣	٣٧٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾	آل عمران:١٤٩	٣	٢٦٦
﴿وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾	آل عمران:١٨١	٣	٢٤٦
﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾	آل عمران:١٨٥	٣	٣١
﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾	النساء:٣	٤	٣٨١

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)﴾	النساء: ١٨	٤	١٦٨
﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾	النساء: ٣٣	٤	٢٤٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾	النساء: ٥٨	٤	٥٢
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾	النساء: ٥٩	٤	١٧٤، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣٠
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا (٦٣) وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا (٦٤) فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٦٥)﴾	النساء: ٦٠-٦٥	٤	٣١٧
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾	النساء: ٦٥	٤	٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾	النساء: ٧٥	٤	٣٩٢

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ....﴾	النساء:٧٧	٤	٣٦٠
﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾	النساء:٧٩	٤	٤٤
﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾	النساء:٩٠	٤	٣٦٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	النساء:٩٤	٤	٢١٧
﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾	النساء:٩٥	٤	٣٥٠
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾	النساء:١٠٥	٤	٣٢١
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾	النساء:١٢٥	٤	١٢٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾	النساء:١٣٧	٤	٢٦٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾	النساء:١٣٧	٤	٢٦٧
﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾	النساء: ١٦٠-١٦١	٤	٥٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾	النساء:١٧٠	٤	١٦٠
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ﴾	النساء:١٧٦	٤	٣٦٤
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾	المائدة:٣	٥	١٩٢،٤٦
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	المائدة:٥	٥	٢٦٣

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾	المائدة:١٣	٥	٣٦٧
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴿١٧﴾﴾	المائدة:١٧	٥	١٩٨
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾	المائدة:١٩	٥	٤٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾	المائدة:٣٥	٥	٢٩
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾	المائدة:٣٨	٥	٣٤٣
﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾	المائدة:٤٢	٥	٣٣٦
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾	المائدة:٤٥	٥	٥٤
﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾	المائدة:٤٨	٥	١٤٦، ٣٩٠
﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾	المائدة:٤٩	٥	٣٢٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾	المائدة:٥٤	٥	٢٦٦
﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾	المائدة:٦٤	٥	٢٥

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)﴾	المائدة:٦٩	٥	١٩٧
﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥)﴾	المائدة:٧٥	٥	١٤٧
﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾	المائدة:١٠٥	٥	٣٠٠
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)﴾	الأنعام:٢	٦	٩٤
﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	الأنعام:١٤	٦	٣٥
﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾	الأنعام:٢٨	٦	٢٦٢
﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤)﴾	الأنعام:٤٤	٦	٨٦
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (٧٣)﴾	الأنعام:٧٣	٦	١٥٣
﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩)﴾	الأنعام:٧٩	٦	٦٠
﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾	الأنعام:٩٣	٦	٣١٥
﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	الأنعام:١٠٦	٦	٣٦٧
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (١١٥)﴾	الأنعام:١١٥	٦	٣٤٦
﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (١٢٩)﴾	الأنعام:١٢٩	٦	٣٠،٢٣
﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾	الأنعام:١٣٦	٦	٣٢٢

الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾	الأنعام: ١٥١-١٥٣	٦	٣٣٨،٤٧
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾	الأنعام:١٥٢	٦	٣٩٢
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾	الأنعام:١٥٣	٦	١٦٢
﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)﴾	الأنعام:١٥٧	٦	٢٦٢
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	الأنعام:١٦٤	٦	٣٠٠
﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)﴾	الأعراف:٢٩	٧	٣٤٦
﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)﴾	الأعراف:٣٣	٧	٥٤
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)﴾	الأعراف:٥٤	٧	٣١٤
﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢)﴾	الأعراف:٨٢	٧	٢٨
﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨)﴾	الأعراف:٨٨	٧	٢٨

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾	الأعراف:١٥٧	٧	١٣٦
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	الأعراف:١٥٨	٧	٤٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)﴾	الأعراف: ١٧٢-١٧٤	٧	١٧
﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢)﴾	الأنفال:٢٢	٨	٧٥
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾	الأنفال:٣٨	٨	٣٨٧
﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ﴾	الأنفال:٣٩	٨	٣٧٨
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)﴾	الأنفال:٥٩	٨	٣٧٦
﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾	الأنفال:٦٠	٨	٣٧٦
﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦١)﴾	الأنفال:٦١	٨	٣٥٨،٣٠
﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾	الأنفال:٦١	٨	٣٦٧
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ﴾	الأنفال: ٧٢	٨	٢٨٢
﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ﴾	الأنفال:٧٢	٨	٣٧٢
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤)﴾	التوبة:٤	٩	٣٦٨

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥)﴾	التوبة:٥	٩	٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٧
﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣)﴾	التوبة:١٣	٩	٣٥٨
﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤)﴾	التوبة:١٤	٩	٣٥١
﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾	التوبة:٢٠	٩	٣٥٠
﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)﴾	التوبة:٢٩	٩	٢٢٠، ٢٥٨، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨٧
﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	التوبة:٣١	٩	١٧، ٣١٦، ٣٢٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥)﴾	التوبة:٣٥	٩	٣٥٠
﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾	التوبة:٣٦	٩	٢١٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٨
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)﴾	التوبة:٧١	٩	٢٩٦، ٢٩٨
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)﴾	التوبة: ٧٣	٩	١٦٨

الآيــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)﴾	التوبة:٧٤	٩	٢٦٧
﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	التوبة:١١٢	٩	٢٩٦
﴿والنَّاهُوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	التوبة:١١٢	٩	٢٩٦
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾	التوبة:١٢٢	٩	٨٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ (١٢٣)﴾	التوبة:١٢٣	٩	٣٥١، ٣٦٤، ٣٦٥
﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦)﴾	يونس:١٦	١٠	١٢٨
﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)﴾	يونس:١٩	١٠	١٦٥
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٩)﴾	يونس:٣٨-٣٩	١٠	١١٥
﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥)﴾	يونس:٥٥	١٠	١٥٣
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩)﴾	يونس:٥٩	١٠	٣١٥
﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾	يونس: ٨٤	١٠	٨١
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٩٩)﴾	يونس:٩٩	١٠	٢١٢، ٢١٨
﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٥)﴾	يونس:١٠٥	١٠	٤٢

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَـٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾	هود:١٣-١٤	١١	١١٥
﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾	هود:٥١	١١	٣٥
﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾	هود:٥١	١١	٣٩
﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾	هود:١٠٥	١١	١٦٦
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾	هود:١١٨-١١٩	١١	١٦٥
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾	هود:١١٩	١١	٤٦
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾	يوسف:٤٠	١٢	٣١٦
﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾	يوسف:١٠٣	١٢	٣٨٨
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾	يوسف: ١٠٦	١٢	١٨
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾	الرعد:١١	١٣	٨٦
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾	الرعد:١٥	١٣	٢٠٩
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾	الرعد:١٥	١٣	٢١٩
﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾	الرعد:٢٨	١٣	٦٥

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾	الرعد:٣٦	١٣	٢٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾	الرعد:٧٣	١٣	٣٥٠
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	ابراهيم:١٠	١٤	٢٠٦
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾	ابراهيم:٤٨	١٤	٩١
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	الحجر:٩	١٥	٤٩، ١١٧، ١٩٢
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾	الحجر:٢٦	١٥	٩٤
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾	الحجر:٢٨	١٥	٩٤
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾	الحجر:٢٨-٢٩	١٥	٩٥
﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾	الحجر:٤٢	١٥	١٦
﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾	الحجر:٨٥	١٥	٣٦٧
﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾	الحجر:٩٠-٩١	١٥	٢٧
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾	الحجر:٩٤	١٥	٣٦٧
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ﴾	النحل:٣٥	١٦	٨٤
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾	النحل:٣٦	١٦	٣٥٤
﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	النحل: ٦٠	١٦	٧٣

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾	النحل:٧٣	١٦	١٨
﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾	النحل:٧٨	١٦	٣٦، ٨٤
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾	النحل:٩٠	١٦	٣٤٦
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾	النحل:١٠٦	١٦	٢٦٨
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾	النحل:١٢٥	١٦	٢٨، ٢٠٣، ٢٠٦، ٣٥٤، ٣٦٧، ٣٨٧، ٣٩٠
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾	الإسراء:١	١٧	١٣٤
﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾	الإسراء:٦	١٧	٢٦٢
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾	الإسراء:١٥	١٧	٥٤، ٣٨٧
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾	الإسراء:٧٠	١٧	١٩
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾	الإسراء:٨٥	١٧	٩٥
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾	الإسراء:٨٨	١٧	١١٦
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾	الكهف:٧	١٨	١٦
﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾	الكهف:٢٩	١٨	٢١٩

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾	مريم:٩٣	١٩	١٦، ١٧
﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾	طه:٥٠	٢٠	٣٧
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	الأنبياء:٢٥	٢١	٣٥٤
﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠﴾	الأنبياء:٣٠	٢١	٩١، ٩٤
﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾	الأنبياء:١٠٤	٢١	٩١
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾	الأنبياء:١٠٧	٢١	٤٤، ١٢٦
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾	الحج:٣	٢٢	٢٥
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾	الحج:٨	٢٢	٢٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾	الحج:١٧	٢٢	١٩٧
﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾	الحج:٣٨-٤٠	٢٢	٣٦١
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾	الحج:٣٩	٢٢	٣٦١، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٧، ٣٦٨
﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾	الحج:٤٠	٢٢	٢٢
﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾	الحج:٤٠	٢٢	١٣١

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾	الحج:٤١	٢٢	٢٩٧
﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾	الحج:٤٦	٢٢	٦٩
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾	الحج:٧٨	٢٢	٤٨
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾	المؤمنون:١٢	٢٣	٩٤
﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾﴾	المؤمنون:٧١	٢٣	١٥٣
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾	المؤمنون:٩١	٢٣	٢٠٦
﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾	المؤمنون:١١٥	٢٣	٨٥
﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾	النور:٢	٢٤	٣٤٢
﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾﴾	النور:٤	٢٤	٣٤٢
﴿وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾	النور:٢٥	٢٤	١٥٣
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾	النور:٥١	٢٤	٣١٨
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾	النور:٥٥	٢٤	١٦، ١٣١
﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾	النور:٦٣	٢٤	١٧٤، ٢٧٥
﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾﴾	الفرقان:٥١-٥٢	٢٥	٣٦٦

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾	الفرقان:٥٢	٢٥	٣٥٠، ٣٥٤
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾	الفرقان:٥٤	٢٥	٩٤
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾	الفرقان:٦٣	٢٥	١٦
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾	الشعراء:٢١٤	٢٦	١٢٦
﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾	النمل:١٤	٢٧	١٦٧، ١٧٦
﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ﴾	النمل: ٦١	٢٧	١١٩
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾	النمل:٧٩	٢٧	١٥٣، ١٥٦
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾	القصص:٣٨	٢٨	٢٤٤
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾	القصص:٣٨-٤٠	٢٨	٢٤٤
﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾	القصص:٤٨-٥٠	٢٨	١١٥
﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾	القصص:٤٩	٢٨	١١٥
﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾	القصص:٨٨	٢٨	٣١٥
﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ﴾	العنكبوت:٦	٢٩	٣٥٠
﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾	العنكبوت:٤٣	٢٩	٧٥

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾	العنكبوت:٤٦	٢٩	٢٠٦،٢٨
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾	العنكبوت:٦١	٢٩	١٨
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾	العنكبوت:٦٩	٢٩	٣٥٠،٢٩
﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾	الروم: ١-٥	٣٠	١١٨
﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾	الروم:١-٣	٣٠	٣٨٥
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾	الروم: ٢٧	٣٠	٧٣
﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾	الروم: ٢٨	٣٠	٧٣
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾	الروم:٣٠	٣٠	٣٩،٣٧
﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾	لقمان:١٧	٣١	٢٩٦
﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾	لقمان:١٧-١٩	٣١	٥٤
﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾	لقمان:٢٢	٣١	١٨
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾	لقمان:٢٥	٣١	١٧٦،١٤

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (٣٠)﴾	لقمان:٣٠	٣١	١٥٣،١٨
﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ (٧)﴾	السجدة:٧	٣٢	٩٤
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)﴾	السجدة:٢٤	٣٢	٣١٤
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾	الأحزاب:٣٦	٣٣	٣١٩،٢٧٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦)﴾	الأحزاب:٤٥-٤٦	٣٣	٣٢٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤)﴾	الأحزاب: ٦٤	٣٣	١٦٨
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	سبأ:٢٨	٣٤	٤٤
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ﴾	فاطر:٢٨	٣٥	١٧
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)﴾	فاطر:٣٩	٣٥	١٦
﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)﴾	يس:٢٢	٣٦	٦٠،٥٩
﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤)﴾	يس: ٢٣-٢٤	٣٦	٥٩
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	يس:٨٢	٣٦	٣١٤
﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾	ص:٢٢	٣٨	١٥٣
﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ (٢٦)﴾	ص:٢٦	٣٨	٥٤،١٦
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾	الزمر:٨	٣٩	٦٤
﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (١٨)﴾	الزمر:١٨	٣٩	٨٤

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾	الزمر:٢٩	٣٩	٣١٠
﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾	غافر:٢٩	٤٠	٢٤٤، ٣١٥
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾	فصلت:١١	٤١	٩١
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾	فصلت:٤٦	٤١	٣٤٦
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾	فصلت: ٥٣	٤١	٧٥
﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾	الشورى:٧	٤٢	٢٥٩
﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾	الشورى:١٠-١١	٤٢	٣١٥
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾	الشورى:١١	٤٢	٦١
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾	الشورى:١٣	٤٢	١٢٢
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾	الشورى:٢١	٤٢	٨٤، ٣٢٢
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾	الزخرف:٩	٤٣	١٨
﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾	الزخرف:٢٩	٤٣	١٥٣
﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾	الزخرف:٤٥	٤٣	١٢٣
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾	الجاثية:١٨	٤٥	٤٤

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾	الجاثية:١٨-١٩	٤٥	٣١٩
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١)﴾	الجاثية:٢١	٤٥	٢٥٩
﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾	الأحقاف:٩	٤٦	١٢٢
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾	الأحقاف:١٨	٤٦	١٥٣
﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠)﴾	محمد:٢٠	٤٧	٣٧٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥)﴾	محمد:٢٥	٤٧	٢٦٦
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦)﴾	محمد:٢٦	٤٧	٢٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١)﴾	الحجرات:١	٤٩	٣١٩
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦)﴾	الحجرات:٦	٤٩	٢٥
﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩)﴾	الحجرات:٩	٤٩	٣٩٢
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	الحجرات: ١٣	٤٩	٨١، ٣٨٨، ٣٩١
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾	الحجرات:١٥	٤٩	٣٥٠
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾	الذاريات:٢٠-٢١	٥١	٧٥

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾	الصف:١١	٦١	٢٩، ٣٥٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾	التحريم:٩	٦٦	٢١٣، ٣٥٤
﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾	الملك:١٠	٦٧	٦٩
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾	القلم:٤	٦٨	٥١، ١٢٩
﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾	نوح:١٧	٧١	٩٤
﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾	نوح:٢٨	٧١	٢٣٥
﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾	الجن: ١-٢	٧٢	١٢٠
﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾	النازعات:٢٤	٧٩	٢٤٤
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾	الطارق:١٥-١٧	٨٦	٢٦
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾	الأعلى:٢-٣	٨٧	٣٧
﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾	الغاشية:٢١-٢٢	٨٨	٧٥
﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾	الفجر:٢٠	٨٩	٥٣
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾	العلق:١-٥	٩٦	٣٨٧
﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾	البينة:٥	٩٨	١٧، ٤٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ﴾	البينة:٦	٩٨	١٧٦

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾	الكافرون:١-٦	١٠٩	٢٢١
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾	الإخلاص:١-٤	١١٢	١٤٧

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام المترجم لهم



فهرس المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم.

❖ الأبعاد التنويرية للفلسفة الرشدية: د/ عصمت نصار، المكتبة المصرية، ٢٠٠٤م.

❖ ابن رشد سيرة وفكر، دراسة ونصوص: لمؤلفه د/ محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠٠١م.

❖ الاتجاهات العقلانية الحديثة: د/ ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الفضيلة، ط١، ١٤٢٢هـ.

❖ أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع: د/ محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

❖ أحاديث الدين والدنيا: أحمد البغدادي، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، ٢٠٠٥م.

❖ أحكام الردة والمرتدين من خلال شهادتي الغزالي ومزروعه: د/ محمود مزروعة، ط١، ١٤١٤هـ.

❖ أحكام القرآن: لابن العربي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ.

❖ أحكام أهل الذمة: لابن قيم الجوزية، دار الجيل، ط١، ١٤٢١هـ، ت/ أيمن عارف الدمشقي.

❖ الإحكام في أصول الأحكام: لأبي محمد بن حزم ت/ أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

❖ الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد: د/ سعود العريفي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤١٩هـ.

❖ أساس البلاغة: للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

❖ أسباب نزول القرآن: للإمام الواحدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ، ت/ كمال بسيوني زغلول.

❖ الإسلام والآخر: محمد عمارة، دار الشروق.

❖ الإسلام والتحديات المعاصرة: محمد عمارة، نهضة مصر، ط١، ٢٠٠٥م.

❖ الإسلام والحرية الدينية: محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ١٤٢٥هـ.

❖ الإسلام والحوار بين الأديان د/ محمود حمدي زقزوق.

❖ الإسلام والغرب: أبحاث ووقائع المؤتمر التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٩هـ.

❖ الإسلام والغرب: المواجهة والحل: د/م محمد الحسيني إسماعيل، مكتبة وهبة ط١، ١٤٢٦هـ.

❖ الإسلام والغرب: محمود حمدي زقرزق، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ١٤٢٦هـ.

❖ الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا، دار الفكر الإسلامي.

❖ الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١١هـ.

❖ أصل الإنسان بين العلم والفلسفة والدين: د/ سامي عابدين، دار الحرف العربي، ط١، ١٤٢٧هـ.

❖ أصول الشريعة : المستشار محمد سعيد العشماوي، الانتشار العربي، ط٥، ٢٠٠٤م.

❖ الأصولية الانجيلية: صالح بن عبدالله الهذلول، دار المسلم .

❖ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للإمام الشنقيطي مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ.

❖ أطلس الفلسفة: بيتر كونزمان خرانز، بيتر بوركادفرانز فيدمان ترجمة د/ جورج كتورة، الناشر، المكتبة الشرقية، طبعة أولى، ٢٠٠م.

❖ إظهار الحق:رحمة الله الهندي، ت/ د محمد ملكاوي، نشر الرئاسة العامة الإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

❖ الاعتصام للإمام الشاطبي، دار عفان، ط١، ١٤١٢هـ، ت/ سليم عيد الهلالي.

❖ إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية، دار الجيل.

❖ الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.

❖ الإمامة في الإسلام أسس ومبادئ وواجبات: د/ عبدالله بن عبدالمحسن الطريقي، ط١، ١٤١٨هـ.

❖ الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر عنـد الأصـوليين: د/ عـادل السـكري، الزهـراء للإعـلام العربي، ط١، ١٤١٣هـ.

❖ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر وأثرهمـا في حفـظ الأمـة : د/ عبدالعزيز بـن أحمـد المسعود، دار الوطن، ط٢، ١٤١٥هـ.

❖ الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر: السيد جـلال الـدين العمـري، ترجمـة محمـد أجمـل أيـوب الإصلاحي، شركة الشعاع للنشر الكويت.

❖ انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء: د/ نبيل لوقا، دار البياوي للنشر.

❖ إنجيل برنابا: طبع على نفقة مطبعة المنار لصاحبها السيد محمد رشيد رضا.

❖ إنصاف الإسلام للبشرية: محمد محمود عبدالله الوراق للنشر والتوزيع.

❖ أهميـة الجهـاد في نـشر الـدعوة الإسـلامية والـرد علـى الطوائـف الـضالة فيـه: د/ علـي بـن نفيـع العلياني، دار طيبة، ط٤، ١٤٢٤هـ.

❖ البداية والنهاية: للحافظ ابن كثير، دارم أم القرى.

❖ بذل المجهود في إفحام اليهود: للسموءل بن يحي بن عباس المغربي، دار القلم، ط١، ١٤١٠هـ.

❖ بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز: للفيروز أبادي، المكتبة العلمية.

❖ تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي، دا رالفكر.

❖ تاريخ الفكـر الأوروبي الحديث: رونالد سترومبرج، تجرمة أحمـد الشيباني دار القـارئ العربـي، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

❖ تـاريخ الفلسفة : إميل برهييـه، دار الطليعـة، بيروت، ترجمـة جـورج طـرابيش، الطبعـة الثانيـة، ١٩٨٧م.

❖ تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، دار المعارف.

❖ تاريخ الفلسفة العربية: جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٥هـ.

❖ تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ : د/نصر الله أبو طالب، دار الوفاء، ط١، ١٤٢٥هـ.

❖ التجديد في الفكر الإسلامي : أبحاث ووقائع المؤتمر الثالث عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

❖ التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

❖ تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عبدالله بن صالح القصير، در الوطن، ط٢، ١٤١٧هـ.

❖ التسامح في الإسلام: د/ شوقي ابو خليل، دار الفكر، ط١، ١٤٢٥هـ.

❖ التسامح في الحضارة الإسلامية أبحاث ووقائع المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

❖ التعريفات : للعلامة الشريف الجرجاني، دار النفائس، ط١، ١٤٢٤هـ، ت د/ محمد عبدالرحمن المرعشلي.

❖ التعريفات الاعتقادية: سعد بن محمد آل عبداللطيف، دار الوطن، ط١، ١٤٢٢هـ.

❖ التفريق بين الأصول والفروع: د/ سعد بن ناصر الشتري، دار المسلم، ط١، ١٤١٧هـ.

❖ تفسير ابن مسعود ﷺ : جمع وتحقيق ودراسة محمد أحمد عسوي، مؤسسة الملك فيصل الخيرية، ط١، ١٤٠٥هـ.

❖ تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل: دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

❖ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٥هـ.

❖ تفسير القرآن العظيم لابن كثير، طبعة دار الباز.

❖ تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا دار المعرفة، بيوت، ١٤١٤هـ.

❖ تفسير ظلال القرآن سيد قطب، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، ١٤١٢هـ.

❖ التقرير والتحبير: شرح العلامة ابن أمير الحاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

❖ التمهيد: لابن عبدالبر، مكتبة السوادي للتوزيع.

❖ جامع البيان عن تأويل أي القرآن : لابن جرير الطبري، دار الفكر ١٤٠٨هـ.

❖ الجامع الصحيح للترمذي: المكتبة التجارية مكة المكرمة، ت/ أحمد محمد شاكر إلى المجلد الثالث.

❖ جامع العلوم والحكم لابن رجب الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ت/ شعيب الأرنؤط، وإبراهيم باجس.

❖ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله القرطبي دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ، ت/ د/ محمود حامد عثمان.

❖ الجحهاد في الإسلام: د/ محمد سعيد البوطي، دار الفكر دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ.

❖ جريمة الردة وعقوبة المرتد في ضوء القرآن والسنة: د/ يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٦هـ.

❖ الجهاد في الإسلام: د/ عبدالحليم محمود، دار المعارف.

❖ الجهاد في سبيل الله: محمود شاكر، مكتبة ا لعبيكان، ط١، ١٤١٩هـ.

❖ الجهاد: جمال البنا، دار الفكر الإسلامي.

❖ الجهاد: د/ محمد الرحموني، دار الطلعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

❖ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح:لابن تيمية، مكتبة ابن تيمية.

❖ الحدود في الإسلام ومقارنتها بالقوانين الوضعية: د/ محمد بن محمد أبو شهبة، الهيئة العامة لشؤون المطالع الأميرية، ١٣٩٤هـ.

❖ الحدود في الشريعة الإسلامية: د/ عبدالحليم عويس، كتاب الشرق الأوسط.

❖ حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية: د/ أحمد رشاد طاحون، إيتراك للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.

❖ حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية: د/ عبدالله ناصح علوان، دار السلام، ط٤، ١٤٢٤هـ.

❖ حرية الاعتقاد في القرآن الكريم: دراسة في إشكاليات الردة والجهاد والجزية: د/ عبدالرحمن حللي، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠١م.

❖ حرية الاعتقاد في ظل الإسلام: د/ تيسير خميس العمر، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ.

❖ حرية الراي « الواقع والضوابط » المستشار سالم البهنساوي، دار الوفاء، ط١، ١٤٢٤هـ.

❖ حرية الرأي في الميدان: د/ عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي للنشر، ط١، ١٤٢٣هـ.

❖ حرية الفكر في الإسلام: عبدالمتعال الصعيدي، دار المعارف.

❖ الحرية في الإسلام: محمد الخضر حسين، دار الاعتصام.

❖ حفاروا القبور: روجية جارودي، دار الشروق، ط٣، ١٤٢٣هـ.

❖ حق الحرية في العالم: أ.د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤٢١هـ.

❖ حقائق الإسلام في مواجهة المشككين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط٢، ١٤٢٥هـ.

❖ حقوق الإنسان في الإسلام: د/ سهيل حسين الفتلاوي، دار الفكر العربي، ط١، ٢٠٠١م.

❖ حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: د/ حمد بن ناصر العمار، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ.

❖ حقيقة الخلق ونظرية التطور: محمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤هـ.

❖ حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي: أحمد محمد زايد، دار المعالي، ط١، ١٤٢٠هـ.

❖ الحقيقة المطلقة الله والدين والإنسان: د/ م محمد الحسيني إسماعيل مطابع الإهرام بكرنيش النيل.

❖ حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: د/ توفيق الواعي، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

❖ خصائص جزيرة العرب: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٢هـ.

❖ الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية د/ قاسم عبده قاسم عين للداسات والبحوث الإنسانية.

❖ درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: ت/ محمد رشاد سالم.

❖ دراسات إسلامية: سيد قطب، دار الشروق، ط١٠.

❖ دراسات في اليهودية: د/ محمود مزورعة، دار الطباعة المحمدية، ط١، ١٤٠٧هـ.

❖ دعوة التقريب بين الأديان: د/ أحمد بن عبدالرحمن القاصي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ.

❖ دعوة الفطرة د/ يوسف محي الدين أبو هلالة، دار العاصمة.

❖ الدين السرمري : خزعل الماجد، دار الشروق للنشر عمّان، ١٩٩٨م.

❖ الدين د/ محمد عبدالله دراز، دار القلم، الكويت.

❖ الدين والأيدلوجيا: محمد الرحموني، دار الطليعة، ط١، ٢٠٠٥م.

❖ الرد على المنطقيين: لابن تيمية، المكتبة الإمدادية، مكة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ.

❖ الردة عن الإسلام: كمال الدين قاري، مركز الراية للتنمية الفكرية، ط١، ١٤٢٦هـ.

❖ الردة في الإسلام: حسن غريب، دار الكنوز الأدبية، ط٢، ٢٠٠٢م.

❖ ردود على أباطيل وشبهات حول الجهاد: عبدالملك البراك، النور للأعلام الإسلامي، ط١، ١٤١٨هـ.

❖ رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء: ت/د عارف تامر، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

❖ زاد المعاد في هدي خير العباد: لابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة ط٨، ١٤٠٥هـ، ت شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الأرنؤوط.

❖ السراج الوهاج شرح العلامة الشيخ محمد الغمراوي على متن المنهاج، دار الجبيل، ١٤٠٨هـ.

❖ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

❖ السماء في القرآن الكريم: د/ زغلول النجار، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

❖ السنة: لأبي عاصم، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة/ محمد ناصر الدين الألباني.

❖ سنن ابن ماجة: ت/ محمود فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث.

❖ سنن أبي داود: دار الباز للنشر والتوزيع، مراجعة محمد محي الدين عبدالحميد.

❖ سنن النسائي: ت/ عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٠٩هـ-

❖ سير أعلام النبلاء: للذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ، ت/ شعيب الأرنؤوط.

❖ السير النبوية الصحيحة: د/ أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم.

❖ شبهات حول الإسلام: محمد قطب، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط٣، ١٩٨٥م.

❖ شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: د/ فضل إلهي، دار الاعتصام، ط٥، ١٤١٨هـ.

❖ شرح السنة للإمام البغوي، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ، ت/ زهير الشاويش وشعيب الأرنؤزط.

❖ شرح الكوكب المنير: لابن النجار الحنبلي، طبع جامعة أم القرى، ت/ محمد الزحيلي، ود/ نزيه حماد، ط١، ١٤٠٨هـ.

❖ شرح حدود ابن عرفة: لأبي عبدالله الرصاع، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

❖ شرح مختصر الروضة: للطوفي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٠هـ، ت/ د عبدالله التركي.

❖ شفاء العليل: لابن القيم، دار التراث، القاهرة.

❖ الصارم المسلول على شاتم الرسول: لابن تيمية، رمادي للنشر، ط١، ١٤١٧هـ، ت/ محمد بن عبدالله الحلواني، محمد كبير أحمد شودري.

❖ صحيح مسلم بشرح النووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

❖ صحيح مسلم ت/ محمد فؤاد عبدالباقي، مؤسسة قرطبة مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

❖ صدام الحضارات صامويل هنتجتون، ١٩٧٨م، تعريب طلعة الشايب.

❖ الصراع الثقافي والحوار الحضاري في فلسفة محمد إقبال: د/ عصمت نصار، دار الهداية، القاهرة.

❖ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: لابن القيم، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ، ت/ د علي الدخيل الله.

❖ العبودية: لابن تيمية المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٤٠٣هـ.

❖ العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى الحنبلي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ ت/ د أحمد سير المباركي.

❖ العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر، مكتبة الكوثر، ط١، ١٤١٧هـ.

❖ عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة: لابن شاس المالكي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ، ت/ د حميد بن محمد لحمر.

❖ عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د/ عبدالعظيم المطيعي، مكتبة وهبة، ط١، ١٤١٤هـ.

❖ العلاقات الدولية في الإسلام : الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ.

❖ العلاقات الدولية في الإسلام وقت الحرب : نادية محمود مصطفى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ.

❖ العلمانية: د/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي، مطبعة جامعة أم القرى، الطبعة الأولى.

❖ عون المعبود شرح سنن أبي داود: للعلامة شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.

❖ فتاوى ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ.

❖ فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، دار الحرمين، الطبعة السلفية الثالثة، ١٤٠٧هـ.

❖ الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر: د/ حسن الكحلاني، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٤م.

❖ الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم سعد رستم، الأوائل للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٥م.

❖ فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال: لابن رشد، مكز دراسات الوحدة العربية، ط٣، ٢٠٠٢م، تقديم د/ محمد عابد الجابري.

❖ فقد الجهاد: حسن أيوب، دار السلام، ط٢، ١٤٢٥هـ.

❖ الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه: د/ حسن ظاظا، دار القلم دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

❖ الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه: د/ محمود عبدالحكيم عثمان، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ.

❖ فلسفة الجهاد في الإسلام: تأليف عبدالحافظ عبد ربه، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ.

❖ الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم: د/ إبراهيم مصطفى عثمان، دار الوفاء، ط١، ٢٠٠١م.

❖ فلسفة الحرب في الإسلام: د/ نادية حسني صقر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، ١٤١٠هـ.

❖ الفيزياء ووجود الخالق: جعفر شيخ إدريس، المنتدى الإسلامي.

❖ قالوا عن الإسلام: إعداد د/ عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

❖ قصة الفلسفة ويل ديورانت: ترجمة أحمد الشيباني، القارئ العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

❖ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ: إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، مكتبة الرشد: ت/ د عبدالعزز الشهوان، الطبعة السادسة، ١٤١٨هـ.

❖ كشاف اصطلاحات الفنون: للإمام التهانوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، دار المعرفة، بيروت.

❖ الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة: لابن رشد مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠٠١م.، تقديم د/ محمد عابد الجابري.

❖ كلمة الحق في القرآن الكريم: الشيخ محمد الراوي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤١٥هـ.

❖ لا إكراه في الدين إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د/ طه جابر العلواني، مكتبة الشروق الدولية، ط١، ١٤٢٤هـ.

❖ لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥م.

❖ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية: للإمام السفاريني المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤١٥هـ.

❖ مجلة البيان.

❖ مجلة المجتمع.

❖ مجلة المسلم المعاصر.

❖ المحلي : لابن حزم، مكتبة دار التراث، ت/ أحمد محمد شاكر.

❖ محمد ﷺ كما ورد في كتاب اليهود والنصارى: البروفيسور عبدالأحد داود، مكتبة العبيكان، ترجمة/ محمد فاروق الزين، ط١، ١٤١٨هـ.

❖ مختار الصحاح: لمحمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٦هـ.

❖ مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ.

❖ المستصفى للإمام الغزالي: ت/ محمد سليمان الأشقر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٧هـ.

❖ المعجم الفلسفي: جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٤م.

❖ معجم المقايس في اللغة: لابن فارس، دار الفكر، ط١، ١٤١٥هـ.

❖ معجم مصطلح الأصول: هيثم هلال، مراجعة وتوثيق د/ محمد ألتونجي، دار الجيل، ط١، ١٤٢٤هـ.

❖ المعرفة: د/ عبدالله بن محمد القرني، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤١٩هـ.

❖ المغني: لابن قدامة، هجر للطباعة والنشر ط ١٤٠٦هـ ت د/ عبدالله التركي و د/ عبدالفتاح الحلو.

❖ مفتاح دار السعادة: لابن قيم الجوزية، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ، ت/ علي حسن الحلبي.

❖ مفردات ألفاظ القرآن: للعلامة الراغب الأصفهاني، دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

❖ مقدمة في الفلسفة المعاصرة: أ.د/ محمد مهران، د/ محمد مدين، دار قباء للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.

❖ الملل والنحل: لأبي الفتح الشهرستاني، ت/ محمد سيد كيداني.

❖ الموافقات للإمام الشاطبي: ت/ مشهور سليمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.

❖ موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي من نبع السيرة الشريفة وهدي الخلفاء الراشدين: إعداد خديجة النبراوي، دار السلام.

❖ موسوعة الفلسفة والفلاسفة: د/ عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي.

❖ موسوعة المستشرقين: د/ عبدالرحمن بدوي دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.

❖ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ.

❖ موسوعة مقارنة الأديان السماوية د/ مهدي حسين التميمي، دار اسامة للنشر والتوزيع ٢٠٠٥م.

❖ النبوات: لابن تيمية: ت/ عبدالعزيز الطويان، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ.

❖ النبوة والسياسة غريس هالسل، دار الشروق، ترجمة السماك، ط٢، ١٤٢٤هـ.

❖ نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي، د/ عبدالفتاح العيسوي، دار الوفاء ٢٠٠٢م.

❖ نقد التوراة: أحمد حجازي السقا.

❖ نقد الحقيقة على حرب المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٥م.

❖ نهاية التاريخ فرانسيس فوكاياما، تعريب حسين الشيخ ط دار العلوم العربية بيروت.

❖ الهداية شرح بداية المبتدي : لأبي الحسن المرغيناني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ.

❖ هذا هو الإسلام: هاني المبارك، د/ شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٧هـ.

❖ هل يمكن تطبيق الشريعة؟ : جمال البنا، دار الفكر الإسلامي، ١٤٢٦هـ.

❖ الوجوب والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز: لمؤلفه أبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤٢٤هـ.

❖ الوحدانية: د/ بركات دويدار، دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٦م.

❖ يد الله غريس هالسل، دار الشروق، ترجمة محمد السماك، ط٢، ١٤٢٣هـ.

❖ اليهودية د/ أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط١٢.

❖ اليهودية: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٩٧م.

❖ يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة: جيمس بارتسون، بيتر كيم، ترجمة د/ محمد بن سعود البشر.

فهرس الموضوعات

* * * * * *